# الشبح

## الذي جاء يعتذر

مختارات قصصية

ترجمة: هشام فهمي

منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING

جديد بدف®
jadidpdf.com

# الشَّبح الذي جاء يعتذر

## مختارات قصصيَّة عالميَّة

ترجمة

**هشام فهمي**

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
مرايا

جديد بدف®
jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية

بحجم خفيف جدا على مكتبة جديد بدف

https://jadidpdf.com

# الشَّبح الذي جاء يعتذر

جديد بدف®
jadidpdf.com

عنوان الكتاب: الشبح الذي جاء يعتذر

ترجمة: هشام فهمي

تصميم الغلاف: الشاعر محمد النبهان

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-723-44-1

الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2019

2000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

publishing@takweenkw.com
takweenkw
www.takweenkw.com
@takweenKw

لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: 683 345 1 961+ / 980 541 1 961+

بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي

تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com
Dar alrafidain
info@daralrafidain.com
Dar.alrafidain
www.daralrafidain.com
@Dar alrafidain

جديد بدفـا®
jadidpdf.com

## إلى أمِّي،

التي من أجلها ترجمتُ -عن حُبٍّ- للمرَّة الأولى في حياتي، فعثرتُ على شغفي الحقيقي أخيرًا ومنذ ذلك الحين لم أتوقَّف

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

# المحتويات

مقدِّمة المُترجم
• من أجلك أنت ........................................ ١٣

ستيڤن كينج
• إنهم يعودون أحيانًا ........................................ ٢١

أنطون تشيخوف
• تذكرة اليانصيب ........................................ ٧٤

خورخي لويس بورخيس
• الأطلال المستديرة ........................................ ٨٢

وودي آلن
• مذكرات حلّاق جناب الفوهرر ........................................ ٩١

فرانتس كافكا
• الهجين ........................................ ١٠٠

https://jadidpdf.com

جسي آيزنبرج

• مراجعة أمينة لفيلم .............................. ١٠٤

نيل جايمان

• لا تسأل جاك .............................. ١٠٨

هـ. پ. لاڤكرافت

• أزاثوث .............................. ١١٢

تشاك پولانك

• قصَّة حُب .............................. ١١٥

دين ر. كونتز

• قِطط صغيرة .............................. ١٢٧

آلكس شڤارتسمان

• العائلة النوويَّة .............................. ١٣٧

فرانتس كافكا

• بنات آوى والعرب .............................. ١٤٠

رون كولنز

• بَعد .............................. ١٤٧

پيتر بيكسل

• رجل الذَّاكرة .............................. ١٤٩

https://jadidpdf.com

نيل جايمان

• يوم جاءت الأطباق الطائرة ........................ ١٥٤

فرانتس كافكا

• حُلم ........................................ ١٥٧

ڤيرجينيا وولف

• ثلاث صُور ................................ ١٦١

آرثر كونان دويل

• فضيحة في بوهيميا ........................ ١٦٧

تِري بيسون

• كعكة السُّم ................................ ٢٠٥

تشاك پولانك

• دعم سلبي ................................ ٢١٢

نيل جايمان

• صفحات من مفكِّرة ........................ ٢١٨

جو هيل

• شجر ميت ................................ ٢٢٥

آرثر ت. كلارك

• أسماء الله التسعة بلايين ................... ٢٢٨

https://jadidpdf.com

ريتشارد ماثيسون
• المرحومة ........................................ ٢٣٩

كلايف باركر
• يَسقُط إبليس! ........................................ ٢٤٣

ستيڤن كينج
• الرجل الذي أحبَّ الزهور ........................................ ٢٥١

وودي آلن
• نظرة على الجريمة المنظَّمة ........................................ ٢٥٩

نيل جايمان
• ڤيروس ........................................ ٢٦٦

هـ. ب. لاڤكرافت
• من النِّسيان ........................................ ٢٦٩

فرانتس كافكا
• رسالة الإمبراطور ........................................ ٢٧٣

أ. ت. جرينبلات
• رسائل من الباطن ........................................ ٢٧٥

تشاك بولانك
• العنقاء ........................................ ٢٧٧

https://jadidpdf.com

دين ر. كونتز

• نحن الثلاثة ................................ ٣٠٥

نيل جايمان

• الثَّمن ........................................ ٣١٧

إرنستو تشي جيفارا

• الحَجر ....................................... ٣٢٧

نيل جايمان

• كنَّاس الأحلام .............................. ٣٣٥

آلكس شفارتسمان

• الحُب الحقيقي ............................... ٣٣٨

هـ. ب. لافكرافت

• ذِكرى ........................................ ٣٤١

تشاك بولانك

• الشَّبح الذي جاء يعتذر ...................... ٣٤٣

ستيفن كينج

• الأشياء التي تركوها وراءهم .................. ٣٥٢

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

# من أجلك أنت

## *مقدِّمة المُترجم*

في «آليس في بلاد العجائب» تظهر أغنيَّة سحريَّة لآليس، فتتوصَّل إلى وسيلة لقراءتها عن طريق حملها أمام المرآة، لكنها تجد صعوبةً في فهم بعض الكلمات، وباستخدام الكلمات التي تعرفها مع أصوات الكلمات الأخرى غير المفهومة، تصل إلى نتيجة أن «أحدهم قتل شيئًا ما، وهذا واضح في جميع الأحوال».

هنا تفعل آليس ما يفعله من يقرأ الرواية في الآن نفسه؛ تحاول أن تدرك المراد مما يقوله صاحِب المكتوب. الشيء نفسه ينطبق على جميع أنواع الأدب الذي هو واحد من صور الفن، وكما قال أوسكار وايلد، فإن «الفنان هو خالق الأشياء الجميلة»، وهكذا يخلق الفنان أو الأديب روايته أو قصته أو قصيدته وينشرها على الملأ، ليأتي بعدها دور القارئ في تكوين رأيه في العمل الأدبي والمعاني المحتملة له، وما إن كان يحمل أي معنى أصلًا. قد يستخدم الكاتب في أدبه تلميحاتٍ ما هنا وهناك، كأن يستعين بكلمةٍ بدلًا من أخرى، أو يضع أحداثه في محيطٍ معين كي ينقل المزاج المطلوب إلى القارئ،

https://jadidpdf.com

لكن في كلِّ الأحوال يظلُّ معنى النص بعد خروجه من تحت قلم الكاتب تجربة القارئ وحده، فعند قراءة نصٍّ أدبيٍّ ما يستطيع القارئ أن يرى الأحداث والشخصيات بعين الخيال، وحسب قدر التفاصيل والمعلومات التي يعطيها الكاتب تختلف الصورة التي يراها كلُّ قارئٍ عن غيره كثيرًا؟

أتكلَّمُ هنا عن العلاقة المباشرة بين كاتبٍ وقارئٍ يتحدثان اللغة نفسها، فما بالك عندما يتعلَّق الأمر بمُترجمٍ دوره أن ينقل إلى القارئ بلغةٍ أخرى أسلوب الكاتب وروح النص وما قد يحويه من معانٍ ضمنيَّة؟

كمُترجم، أحاولُ عن نفسي دائمًا أن أضع القارئ نُصب عينيّ، وأن أضع نفسي في مكانه لأتصوَّر ما قد يروقه أو لا يروقه وما قد يفهمه أو لا يفهمه، وإن كان هذا لا يعني أنني أقيِّدُ نفسي طوال الوقت بما يريد قراءته وبأيِّ أسلوب، لأني في النهاية راغبٌ في أن أقدم تجربتي الخاصة في الترجمة، التي تتضمَّن أن أعرض على القارئ نصوصًا جديدة لكُتَّاب ربما لم يقرأ لهم شيئًا من قبل، سواء لأنهم لم ينالوا نصيبًا من الشهرة في العالم العربي، أو لمجرَّد إعجابي بكتاباتهم (وهو معياري الأول في اتِّخاذ قرار الترجمة، يليه الاقتناع بقدرتي عليها).

أعدُّ نفسي متخصِّصًا في ترجمة كلِّ ما يتعلَّق بالأدب الشَّعبوي (Pop Lit)، ليس عن عجزٍ عن خوض الألوان الأدبيَّة الأخرى (ولو أن هناك مناطق أدبيَّة لا أجرؤُ على طرقها بالفعل، وثمَّة من هُم

https://jadidpdf.com

أقدر مني كثيرًا على ترجمتها)، وإنما عن شغف. طيلة عُمري، وعلى الرغم من تعدُّد قراءاتي بالعربية والإنجليزية، فضلًا عن دراسة الأدب الإنجليزي في الجامعة، كان الأدب الشَّعبوي، الذي يضمُّ كتابات الفانتازيا والخيال العلمي والرعب والجاسوسية والقصص البوليسية وخلافه، هو المفضَّل عندي على غيره، وأكثر ما تستغرقني قراءته، بشرط أن يحتوي العمل في الآن نفسه على قيمةٍ أدبيَّةٍ ما وشخصيات تجذب الاهتمام ويستطيع القارئ أن يتفاعل معها ويهتمَّ برحلتها.

هنا يأتي دور من هُم مثلي ممن يمارسون الترجمة في هذا المجال لتقديم أعمال قيِّمة حقيقية، خصوصًا أننا ننقل نصوصًا آتية من بحرٍ شاسع من أعمال الأدب الشَّعبوي الشائع جدًّا في الخارج، وينافس الكتابات الكلاسيكيَّة، ويفوز أيضًا بجوائز مهمَّة وله ملايين من الأتباع والمتابعين، وتُجرى عنه الأبحاث والرسائل العلميَّة في أكبر جامعات العالم، ناهيك باعتماد السينما عليه كمصدرٍ أساسي للأفلام.

أظنُّ أن البداية الفعلية كانت مع السينما، بدايتي في هذا المجال. لا أعتقدُ أن عملًا سينمائيًّا فتنَني في حياتي كلها كالجزء الأول من ثلاثية «سيِّد الخواتم» عندما شاهدته للمرة الأولى. حينها كتبت صحيفة «النيويورك تايمز» تقول إن العالم انقسم إلى قسمين: من قرأوا ثلاثية تولكين التي اقتبستها السينما، ومن سيشرعون في قراءتها قريبًا. كنتُ أنا ضمن هذا القسم الثاني، وسعيتُ في الحال إلى

https://jadidpdf.com

اقتنائها رغبةً في الانغماس أكثر في تفاصيل هذا العالم الخيالي الرائع، وشوقًا إلى معرفة ما سيحدث في الجزئين التاليين.

وقتها حدثت عدة أشياء في آن واحد؛ أدركتُ أن الكتاب غالبًا أفضل وأعمق من الفيلم المقتبس عنه مهما كان عظيمًا، ووجدتُ نفسي مهتمًا لأول مرة بترجمة فيلم (ولاحقًا كتاب)، وعلمتُ أن هناك لونًا كاملًا من الأدب كنت أجهل عنه كل شيء. الحقيقة أن الفانتازيا أثرت فيَّ كثيرًا قبل أن أعرف ماهيتها، فلم تكن بوابة واسعة إلى عوالم جديدة لم يسبق لي أن أطرقها فحسب، بل وأثارت في نفسي الرغبة في أن أكون مترجمًا لهذه العوالم بالذات.

بعد سنواتٍ تحقَّقت رغبة ترجمة الأفلام، وبالفعل ترجمتُ الثلاثية لجمهور من شخصٍ واحد، هو أمي رحمها الله، التي أردتُ أن تستمتع بالأحداث بترجمة مقبولة، خصوصًا أنها كانت معلِّمة لغة عربية، وبعدها تحققت رغبة ترجمة الروايات، وعلى مدى عام عملتُ مع اثنين من الزملاء المتحمسين على ترجمة «سيِّد الخواتم» بأجزائها الثلاثة، بالإضافة إلى روايتي «السيلماريليون» و«الهوبيت»، وإن لم يحظَ من ترجمتنا بفرصة النشر إلا الكتاب الأخير للأسف، لكني نلتُ -على الأقل- شرف أن يضم غلافٌ واحد اسمي تحت اسم عظيم كتولكين.

هكذا أقومُ منذ ذلك الحين بدوري كمُترجمٍ شغوف بهذا المجال كي أنقل شيئًا منه إلى القارئ العربي... لكن كيف أنقله بالضبط؟

أمارسُ الترجمة -لحظة كتابة هذه السطور- منذ ستة عشر عامًا

https://jadidpdf.com

كاملة، وقد ترجمتُ في مجالاتٍ عديدة قبل أن أقرِّر احتراف الترجمة الأدبية، ومرَّت عليَّ ترجمات قانونية وطبية ورياضية وتاريخية وفلسفية وعلمية، ومارستُ أيضًا ترجمة الأفلام والمسلسلات، وقضيتُ عامًا أو أكثر في ترجمة وصفات الطهي والتطريز وموضوعات المرأة والطفل، وخلال كلِّ هذا كنتُ أحاولُ -بالتدريج ومع سنين الخبرة والتعلم- أن أوصِّل النص العربي الناتج للقارئ بأسلس طريقةٍ ممكنة، لكن هذا لا يعني أنني أركِّزُ على استخدام الكلمات السهلة جدًّا فقط فأقلِّلُ من قيمة النص إذا كانت لغته تحتاج إلى أسلوبٍ أكثر بلاغة، أو أن أجنح إلى استخدام الكلمات المتكلِّفة المعقدة في نصٍّ لا يحتمل ذلك.

عندما ترجمتُ رواية «فرانكنشتاين» لماري شِلي مثلًا، حرصتُ على أن تكون اللغة جديرة بكلاسيكيَّة النص وما فيه من تعبيرات منمقة، وفي الوقت نفسه حاولتُ قدر المستطاع أن تكون اللغة عصريَّة تجذب القارئ إلى الرواية ولا تنفره منها، لأن هناك كثيرين يشتكون من أن ترجمات الأعمال الكلاسيكيَّة بالذات معقدة جدًّا ولغتها أصعب من اللازم، وهو ما يجعل أعمالًا عظيمة تفوتهم لمجرَّد ثِقل الترجمة. التزمتُ المنهج نفسه عندما ترجمتُ نصوصًا لفرجينيا وولف ولافكرافت وبورخيس وكافكا وآرثر كونان دويل (كما سترى في هذا الكتاب)، وهو النسق ذاته الذي أسيرُ عليه في ترجمة سلسلة «أغنيَّة الجليد والنار» لجورج ر. ر. مارتن (على الرغم من أن لغة الرواية ليست كلاسيكيَّة بالضبط، وإن كانت أجواؤها أقرب إلى هذه الأعمال). لكن حين ترجمتُ نصوصًا لتشاك بولانك -كروايتي

https://jadidpdf.com

«الناجي الأخير» و«أغنيَّة المهد»- وجدتُ الرجل يكتب بالعامية الأمريكية، وهو ما يعني أن استخدام العربية الفصحى في الترجمة بشكلٍ حصري سيُدمِّر النص تمامًا، فحاولتُ الموازنة بين الفصحى والتعبيرات العامية التي ليس لها مقابل في الفصحى العربية أصلًا، والشيء نفسه ينطبق على ترجماتي لستيفن كينج ونيل جايمان ووودي آلن وجورج كارلن وغيرهم؛ كلٌّ حسب لغته وكيف يمكنني كمترجم التعامل معها وإعادة تشكيلها بعربية سلسة مفهومة.

أحاولُ قدر الإمكان أن أتابع ردود أفعال من يقرأون ترجماتي، ومن خلال هذا يتَّضح لي نوع النصوص التي تروقهم أكثر، والنصوص التي قد أنجحُ في أن أفرضها عليهم مع الوقت، وأستخدمُ هذا كمؤشِّر للنجاح والفشل. طبعًا لا ألزمُ نفسي طوال الوقت رأي القارئ، فأنا في النهاية أترجمُ ما أحبُّ وأحبُّ ما أترجمُ، وأحاولُ أن تكون لمشروعي مساحة على الصفحات المطبوعة وصفحات الفضاء السايبري. نعم، أخطئُ حينًا وأصيبُ حينًا، لكن الخطأ والصواب في النهاية جزء من التجربة، أتعلَّمُ منه وآملُ أن يتعلَّم منه غيري.

من أجل القارئ، على المترجم أن يملك حسًّا أدبيًّا وفنيًّا، وهذه مسألة مفروغ منها ولا نقاش فيها، وإلا فكيف سيشعر بمعاني الكلمات وما يمكن أن يقابلها في لغته أصلًا؟ مجرد إجادة المترجم اللغة الأجنبية لا تكفي، بل يجب عليه أن يجيد العربية إجادة ممتازة وليس مجرَّد إجادة معقولة، أن يتلاعب بالكلمات، أن يعيد ترتيب

https://jadidpdf.com

الجُمل إذا اضطرَّ بها يناسب النص المقابل في العربية بحيث تبدو كأنها مكتوبة بالعربية أصلاً قدر الإمكان، أن يبحث عن معانٍ مختلفة للمصطلحات المعقدة أو التعبيرات العامية وما يمكن أن يقابلها في العربية. المهم أن يفعل كل ما في طاقته كي يكون النص النهائي مفهومًا للقارئ ومريحًا في القراءة.

يجب أيضًا أن يعرف المترجم القواعد الصحيحة للنحو العربي، ولستُ أقول أن يحفظها عن ظهر قلب بالضرورة، بل أن يقرأ كثيرًا ويرى كيف تتكوَّن الجُمل على نحوٍ صحيح. أنا نفسي لا أحفظُ قاعدة واحدة من النحو تقريبًا، وكنتُ أكرهه بشدَّة طوال أيام الدراسة، لكن من كثرة القراءة والممارسة واللجوء المستمر إلى المعاجم أصبحتُ أحسُّ بالكلمات وأكتبها أغلب الوقت بشكلها -وتشكيلها- الصحيح (ومسألة التشكيل مهمة جدًا في رأيي، للتمييز بين المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، وأيضًا طريقة نُطق الكلمات والأسماء الأجنبية التي تُكتب بحروفٍ عربية)، ولن يأتي هذا إلا بالقراءة ثم القراءة ثم القراءة. يجب أن يقرأ المترجم كثيرًا باللغتين -وبلغته أكثر من اللغة الأجنبية- ليتعوَّد المصطلحات والكلمات الغريبة، لتصبح معتادة بعدها عنده، كما أن القراءة ستساعده كثيرًا على تعلم تعبيرات مختلفة، خصوصًا أن كلماتٍ جديدة تظهر كلَّ يوم.

لكن الأهم أن يملك المترجم الموهبة أصلاً. هذه منحة إلهية وليست شيئًا يأتي فجأة، فلا يصح أن يقرِّر أحدهم فجأة أن يصبح مترجمًا دون أي خبرة أو معرفة سابقة، وطبعًا دون الموهبة التي يجب

https://jadidpdf.com

صقلها طوال الوقت بتعلم أساليب جديدة وتجربة نصوص مختلفة لكُتاب مختلفين من جميع أنحاء العالم. لكن ما دام لديه حسٌّ أدبي وفني، فهذا يعني أنه على الطريق الصحيح. قد ينجح أو يفشل، الله أعلم، لكنه يحاول على الأقل، وللقارئ وحده أن يحكم على هذا.

الأدب باختصار هو مجموعة من الكلمات التي يضعها الكاتب معًا كي يستمتع بها القارئ ويُترجمها ويستوعب معانيها بطريقته الخاصة، وتلك المعاني تأتي من القارئ وحده، فهو من يحكم على الشخصيات وتصرفاتها، وهو من يتخيَّل الأحداث والأماكن والأشخاص، وعليه ينبغي على الكاتب -والمُترجم- أن يراعي القارئ دائمًا، لأنه في النهاية هو من يحدِّد -بغض النظر عن النقد والجوائز وخلافه- إن كان هذا الكاتب أو المُترجم يستحقُّ أن يُقرأ له بالفعل أم لا.

هذا جزء من تجربتي أقدِّمه لك في هذا الكتاب، نصوص من ألوان أدبية مختلفة يجمع بينها فقط أنها تفضيلات شخصيَّة ترجمتها عن شغف، لك أن تطَّلع وتحكم عليها، أما أنا فأواصلُ التعلُّم ومراجعة أخطائي واكتساب المزيد من الخبرة بلا توقُّف... من أجلك أنت!

https://jadidpdf.com

# إنهم يعودون أحيانًا

## *ستيڤن كينج*

كانت زوجة جيم نورمان تنتظر عودته منذ الثانية ظُهرًا، وعندما رأته يركن السيَّارة أمام المنزل أخيرًا خرجت للقائه. كانت قد ذهبت إلى السوق وابتاعت مكوِّنات وجبةٍ تصلح للاحتفال؛ بضع شرائح من اللحم للشواء وزجاجة من النبيذ ورأسًا من الخس وتتبيلة السَّلطة التي تروقه. والآن تراقبه يترجَّل من السيَّارة، وتجد نفسها تتمنَّى بشيءٍ من اليأس -وليس للمرَّة الأخيرة في ذلك اليوم- أن يكون هناك ما يحتفلان به فعلًا.

كان يحمل حقيبة أوراقه الجديدة وأربعة كُتبٍ استطاعت أن تلمح عنوان أحدها: «مقدِّمة في قواعد اللغة». وضعت يدها على كتفه وسألته: «كيف سارت المقابَلة؟».

وابتسم جيم.

لكنه رأى الحُلم القديم في منامه تلك الليلة للمرَّة الأولى منذ زمنٍ طويل للغاية، واستيقظ يتصبَّب عرقًا وقد كتم صرخةً وراء شفتيه.

https://jadidpdf.com

كان مَن أجرى المقابَلة معه مدير مدرسة هارولد ديڤيز الثانويَّة ورئيس قسم اللغة الإنجليزية، وهي المقابَلة التي لم تَخلُ من موضوع الانهيار العصبي الذي أصابه من قبل، تمامًا كما توقَّع. مال المدير فنتون -وهو رجل أصلع نحيل- في مقعده إلى الوراء ناظرًا إلى السقف، وأشعل سيمونز رئيس القسم غليونه، فيما قال جيم: «كنتُ واقعًا تحت ضغطٍ شديد في تلك الفترة».

أرادت أصابعه أن تلتوي في حِجره من فرط التوتُّر لكنه لم يسمح لها، وقال فنتون مبتسمًا: «نتفهَّم هذا. ليست لدينا رغبة في التطفُّل على أمورك الشخصيَّة، لكننا متَّفقون على أن التدريس مهنة تولِّد الكثير من الضغط، خصوصًا التدريس للمرحلة الثانويَّة. إنك تُدرِّس خمس حصصٍ من أصل سبع، وأكثر طلابك حالتهم مستعصية فعلًا. لأسبابٍ كهذه يُصاب المدرِّسون أكثر من غيرهم بقُرَح المعدة، هُم ومرشدو الملاحة الجويَّة».

قال الجزء الأخير بشيءٍ من الفخر، فعلَّق جيم موكِّدًا: «الضغوط التي تعرَّضتُ لها وقتها كانت شديدة فعلًا».

هزَّ فنتون وسيمونز رأسيهما بتشجيعٍ صامت، وأعاد الأخير إشعال غليونه. شعر جيم فجأةً بأن المكتب خانق ضيِّق، وخامرَه ذلك الإحساس الغريب بأن أحدًا قد أشعل مصباحًا ساخنًا عند مؤخِّرة عنقه. بدأت أصابعه تلتوي في حِجره، لكنه ضغط عليها بشدَّة كي يُسيطر على حركتها.

«كنتُ في السنة الأخيرة من الدراسة وأمارسُ التدريس

https://jadidpdf.com

كمتدرِّب. كانت أمي قد ماتت بالسرطان في الصيف السابق، وفي آخر محادثةٍ بيننا طلبت مني أن أنهي دراستي وأتمَّ ما بدأه أخي الأكبر الذي مات ونحن صغيرَيْن، لكنه كان راغبًا في أن يكبر ليصبح مدرِّسًا، وكان رأي أمي أن...». رأى في أعيُنهما أنه يثرثر كثيرًا، وخطر له أنه على وشك إفساد الأمر كله.

«على كلِّ حالٍ فعلتُ ما تمنَّته أمي»، قالها ليضع لكلامه عن العلاقة المتشابكة بينه وبين أمه وأخيه واين -واين القتيل المسكين- حدًّا. «خلال أسبوعي الثاني في التدريس أصيبت خطيبتي في حادثة سيَّارة عنيفة. كانت سيَّارة قديمة جدَّد صاحبها محرِّكها على ما يبدو، لكنهم لم يقبضوا عليه قَط».

أطلق سيمونز همهمةً صغيرة ليُشجِّعه على مواصَلة الكلام، فأكمل جيم: «لكني واصلتُ حياتي لأنه لم يكن أمامي سبيل آخر. كانت خطيبتي تعاني ألمًا شديدًا، إذ كُسرت ساقها وأربعة من ضلوعها، لكن حياتها لم تكن في خطر. لا أحسبُ أنني قدَّرتُ الضغط الذي أوقعه الموقف عليَّ حق قدره».

وقال لنفسه لائمًا إن العبارة الأخيرة قد تخصم من رصيده، ثم أضاف: «تلقَّيتُ تدريبي في سنتر ستريت الثانويَّة التجاريَّة».

غمغم فنتون بامتعاض: «سنتر ستريت، مقلب قمامة المدينة. مطاوٍ في الجيوب، أحذية جلديَّة طويلة العُنق، مسدَّسات صاعقة في خزائن الطلبة، مضارب للحماية من البلطجيَّة، وكلُّ طفلٍ من ثلاثة يبيع المخدِّرات للاثنين الآخريْن. أعرفها جيدًا».

https://jadidpdf.com

«كان هناك صبي اسمه مارك زيمرمان، صبي حسَّاس يلعب الجيتار يحضر فصل الكتابة الذي كنت أدرِّسه، وكان موهوبًا في الكتابة فعلًا. دخلتُ المدرسة ذات صباحٍ لأجد ولدين آخرين يُكتِّفانه، ويُحطِّم ثالث جيتاره الياماها على جهاز التدفئة المركزي، وكان زيمرمان يصرخ. صرختُ فيهم أن يتوقَّفوا ويعطوني الجيتار، وتحرَّكت نحوهم عندما لطمني أحدهم من الخلف»، وهزَّ كتفيه واستطرد: «كانت القشَّة التي قسمت ظهر البعير. أصبتُ بانهيارٍ عصبي. لم يكن هناك صراخ أو عويل، ولم أتكوَّم على نفسي وأبكي في الركن، لا شيء من هذا. فقط لم أستطِع العودة إلى ذلك المكان مرَّة أخرى. كلما اقتربتُ منه شعرتُ بصدري يضيق وأنفاسي تتلاحق وغمرَني العَرق البارد».

قال فنتون بلُطف: «هذا يحدث لي أيضًا».

«خضعتُ للعلاج النَّفسي على نفقة الدولة، فلم أكن أستطيع تحمُّل مصاريف الطبيب بنفسي، وقد أفادني العلاج حقًّا. أنا وسالي متزوِّجان الآن. إنها تعاني من عرجٍ خفيف ولديها نُدبة، لكنها سليمة كالجرس في ما عدا ذلك»، ورفع عينيه إليهما مضيفًا بحزم: «ولكما أن تقولا الشيء نفسه عني».

قال فنتون: «ثم إنك أنهيت تدريبك في كورتز الثانويَّة على ما أعتقدُ».

وغمغم سيمونز: «والتدريس هناك ليس نزهةً أيضًا».

أشار جيم بإصبعه قائلًا: «أردتُ مدرسة صعبة، فبادلتُ مكاني مع مدرِّس من كورتز».

https://jadidpdf.com

قال فنتون: «وحصلت على الدرجات النهائيَّة من المشرف على تدريبك».

«هذا صحيح. إنني أستمتعُ بعملي».

تبادل فنتون وسيمونز النظر، ثم نهضا فنهض جيم بدوره، وقال فنتون: «ما زال أمامنا عدد من المتقدِّمين لشغل الوظيفة يا مستر نورمان، لكننا سنكون على اتِّصال...».

«نعم، طبعًا».

«... لكني من ناحيتي أشعرُ بالإعجاب بسجلِّك الأكاديمي وصراحتك في الكلام».

«هذا لُطف منك».

أشار فنتون إلى سيمونز قائلًا: «سيم، انظر إن كان مستر نورمان يرغب في تناوُل القهوة قبل أن يغادر».

صافح جيم المدير، وفي الطُّرقة خارج المكتب قال له سيمونز: «اسمع، أظنُّ بشدَّة أن الوظيفة لك إذا كنت تريدها. أقولُ لك هذا بشكلٍ غير رسمي بالطبع».

هزَّ جيم رأسه مفكِّرًا أن هناك الكثير مما لم يقله.

مبنى هارولد ديڤيز الثانويَّة منفِّر الشكل نوعًا، لكنها باستثناء ذلك مدرسة لا بأس بها على الإطلاق. الجناح العلمي وحده تلقى تمويلًا بقيمة مليون ونصف دولار في العام السابق، والفصول -المسكونة بأشباح العُمال الذين بنوها والدُّفعة الأولى التي درست

https://jadidpdf.com

فيها منذ عشرات السنين (مجازًا لا فعليًّا)- مزوَّدة بأثاثٍ حديث وسبُّورات لا تعكس الضوء. الطلبة نظاف مهندمون ومفعمون بالحيويَّة، أغلبهم من عائلاتٍ ثريَّة، ويملك ستة من بين كلِّ عشرةٍ منهم سيَّارته الخاصَّة. بشكلٍ عام مدرسة جيدة تجعل سنتر ستريت الثانويَّة التجاريَّة تبدو كدولةٍ إفريقية ضربتها المجاعة.

لكن بعد أن يرحل الطلبة، بعد أن تخلو المدرسة، يحسب جيم أحيانًا أن شيئًا كئيبًا قديمًا يجثم على المبنى ويهمس في الغُرف الخالية، شيئًا كوحشٍ أسود بغيض لا تستطيع التقاطه بنظرك أبدًا. في بعض الأحيان، وبينما يقطع رواق الجناح ٤ إلى المرأب حاملًا حقيبة الأوراق الجديدة، يتصوَّر جيم نورمان أنه يسمعه يتنفَّس.

رأى جيم الحُلم مرَّة أخرى قُرب نهاية أكتوبر، وهذه المرَّة أفلتت منه الصرخة. شقَّ طريقه بصعوبةٍ إلى عالم اليقظة ليجد سالي جالسةً إلى جواره في الفراش وقد وضعت يدها على كتفه، وكان قلبه يدُق بعنف.

قالت وهي تمسح وجهه بيدها الأخرى: «هل أنت بخير؟».

«نعم. صرختُ، أليس كذلك؟».

«صرختَ، نعم. أكان كابوسًا؟».

«نعم».

«هؤلاء الأوغاد الذين كسروا الجيتار؟».

https://jadidpdf.com

«لا، حادثة أقدم من هذا بكثير أسترجعها أحيانًا. لا تقلقي».

«متأكِّد؟».

«نعم».

«هل أصبُّ لك كوبًا من الحليب؟».

كانت عيناها تشيان بالكثير من القلق، فطبع قُبلةً على كتفها وقال: «لا. عودي إلى النوم».

أطفأت نور المصباح الصغير المجاور للفراش، واستلقى هو في مكانه متطلِّعًا إلى الظلام.

جدوله اليومي لا بأس به إطلاقًا إذا وضعنا في الاعتبار أنه المدرِّس الجديد. الحصَّة الأولى شاغرة، أما الثانية والثالثة فمادة الكتابة لفصلين، أحدهما سخيف والثاني جيد نوعًا. الحصَّة الرابعة المفضَّلة لديه، إذ يُدرِّس مادة الأدب الإنجليزي لمجموعةٍ لا بأس بها من الطلبة، والخامسة حصَّة استشاريَّة يلتقي فيها الطلبة الذين يعانون مشكلاتٍ شخصيَّة أو أكاديمية، وعدد هؤلاء قليل وأغلبهم لا يريد أن يُفصح له عن شيءٍ على كلِّ حال، ولذا فغالبًا ما يقضي تلك الحصَّة في مُطالَعة روايةٍ ما. الحصَّة السادسة لقواعد اللغة، وهي حصَّة باردة الطابع جافَّة كالطباشير.

الحصَّة السابعة أقلُّ ما يُفضِّل على الإطلاق، حصَّة مادة «الحياة مع الأدب» التي يُدرِّسها في فصلٍ أشبه بصندوقٍ صغير في الطابق

https://jadidpdf.com

الثالث. كان الفصل حارًّا في بداية الخريف وباردًا مع دنوِّ الشتاء، والطلبة أنفسهم ممَّن يصفونهم بشيءٍ من الخجل بأنهم بطيئو التعلُّم.

هناك سبعة وعشرون من بطيئي التعلُّم في فصل جيم، وأرق وصف يمكنك إطلاقه عليهم أنهم غير مهتمِّين بالتعليم أصلًا. ذات مرَّةٍ دخل الفصل ليجد رسمًا كاريكاتوريًّا بذيئًا لكن دقيقًا له على السبُّورة، وقد كُتب تحته اسمه بالطباشير دون داعٍ في الحقيقة، فما كان منه إلا أن مسحه دون تعليق وبدأ الدرس على الرغم من الضحكات الساخرة.

أعدَّ جيم خطَّة تعليميَّة تجذب الانتباه، وأضاف إليها بعض وسائل الإيضاح بالصوت والصورة، كما طلب بعض النصوص التي حسب أنها ستثير اهتمامهم، لكن بلا جدوى. ظلَّ مزاج الطلبة يتأرجح بين العبث الصاخب والصمت اللامبالي. في بدايات نوفمبر نشبت مشاجرة بين صبيَّين في أثناء مناقشة رواية «عن الفئران والرجال»، ففضَّها جيم وأرسل الصبيَّين إلى مكتب المدير، وعندما فتح الكتاب على الصفحة التي أغلقها وجد عبارة «اذهب إلى الجحيم» تستقبله باستخفاف.

قصَّ المشكلة على سيمونز، فهزَّ كتفيه وأشعل غليونه قائلًا: «ليس لديَّ حل ناجز في الحقيقة. الحصَّة الأخيرة هي الأسوأ دومًا. كل ما أستطيعُ أن أقوله إن الحصول على درجاتٍ سيئة في هذا الفصل يعني لبعضهم ألا يلعب كرة القدم أو السلَّة مرَّة أخرى، لهذا يعتبرون أنفسهم عالقين معك رغمًا عنهم».

https://jadidpdf.com

«وأنا معهم».

«عليك أن تُريهم أنك لا تمزح إذن وسيبذلون جهدًا حقيقيًا، ولو لمجرَّد ألا يفشلوا في الحصول على تأهيلٍ لممارسة الرياضة في الجامعة بعد ذلك».

لكن الحصَّة السابعة ظلَّت كشوكةٍ في جانبه.

إحدى أكبر المشكلات التي واجهته في حصَّة «الحياة مع الأدب» كانت في صورة ثورٍ آدمي بطيء الحركة اسمه تشيپ أوزواي. في أوائل ديسمبر، في فترة الراحة القصيرة بين موسمي كرة القدم وكرة السلَّة (وتشيپ هذا يمارس اللعبتين)، ضبطه جيم يغشُّ في أحد الامتحانات فطرده من الفصل، ويومها صرخ في رواق الطابق الثالث سيِّء الإضاءة: «إذا جعلتني أرسب سننال منك أيها الوغد! هل تسمعني؟».

فقال جيم: «هلُم إذن، لا تُبدِّد أنفاسك في التهديد».

«سننال منك أيها الأحمق!».

عاد جيم إلى الفصل فوجدهم يتطلَّعون إليه بأدبٍ دون أن تُفصح وجوههم عن مشاعرهم، لكنه لم يولِ هذا اهتمامًا مع الشعور الغريب والمألوف في آنٍ واحد الذي جاش به صدره، الشعور الذي سبق أن أحسَّ به من قبل.

*سننال منك أيها الأحمق!*

أخرج جيم كشكول الدرجات من مكتبه وفتحه على صفحة

https://jadidpdf.com

مادة «الحياة مع الأدب»، وبحرصٍ دوَّن كلمة «راسب» في الخانة المجاورة لاسم أوزواي.

وفي تلك الليلة رأى الحُلم من جديد...

دائمًا يكون الحُلم بطيئًا على نحوٍ شديد القسوة يجعله يرى كلَّ شيءٍ ويشعر بكلِّ شيء بالتَّفصيل، وأضف إلى هذا الرُّعب الذي ينتابه فيما يشهد أحداثًا يعرف نهايتها المحتومة وهو عاجز عن تغيير أيِّ شيءٍ، تمامًا كرجلٍ مقيَّد داخل سيَّارة تنطلق نحو هوَّة.

في الحُلم هو في التاسعة من العُمر وأخوه واين في الثانية عشرة، ويقطعان شارع برود ستريت في ستراتفورد بكونيتيكيت في الطريق إلى المكتبة العامَّة. كان جيم قد تأخَّر يومين على إرجاع عددٍ من الكُتب التي استعارها، فاختلس أربعة سنتات من الوعاء الزجاجي الذي تضعه أمُّهما في خزانة المطبخ ليدفع غرامة التأخير. إنها إجازة الصيف، ويمكنك بسهولة أن تشمَّ رائحة العُشب المجزوز، وتسمع أصوات مباراةٍ آتية من التليفزيون في شقَّةٍ بالطابق الثاني، وقد تقدَّم فريق اليانكيز على الرِّد سوكس بستة أهدافٍ مقابل لا شيء، وترى ظلَّ بناية شركة المقاولات يستطيل ببطءٍ عبر الشارع إذ يحلُّ الظلام.

وراء السوق وشركة المقاولات كان جسر للسكك الحديديَّة، وعلى الجانب الآخر من الجسر يجتمع بعض الفاشلين من ساكني المنطقة عند محطة وقود قديمة أُغلقت منذ زمن؛ خمسة أو ستة صِبية

https://jadidpdf.com

يرتدون السترات الجلديَّة والسراويل الجينز. يكره جيم المرور بهم حقًّا. أحيانًا ينادونه بذي الأعيُن الأربع ويسألونه إن كان معه مال، وذات مرَّةٍ طاردوهما مسافةً قصيرةً. لكن واين كان يرفض أن يقطع الطريق الأطول إلى المكتبة، لأن هذا في رأيه يجعله جبانًا كدجاجة.

في الحُلم يلوح جسر السكك الحديديَّة ويدنو أكثر فأكثر، وتبدأ في الشعور بالخوف يتكوَّن في حلقك كأنه طائر أسود ضخم يخرج من بيضته. في الحُلم ترى كلَّ شيء: لافتة شركة المقاولات النيون التي تنطفئ وتضيء بلا انتظام، الصدأ الأخضر الذي يكسو الجسر، لمعة الزجاج المكسور بين قضيبَي القطار وحولهما، هيكل درَّاجة قديمة ملقى على جانب الطريق.

تحاول أن تقول لأخيك إنك مررت بهذا الموقف من قبل مئة مرَّة، ومجموعة الفشلة غير مجتمعةٍ عند محطة الوقود القديمة هذه المرَّة، بل توارت وسط الظلال، لكن الكلمات لا تغادر فمك. أنت عاجز تمامًا.

ثم تنفصل بضعه ظلال عن الجدران، ويدفع صبي طويل ذو شعرٍ أشقر قصير وأنفٍ مكسور واين نحو حائطٍ من القرميد، ويقول له أن يعطيهم بعض النقود.

*دعوني وشأني.*

تحاول أن تركض، لكن ولدًا بدينًا ذا شعرٍ أسود دهني يُمسك بك ويدفعك إلى الحائط إلى جوار أخيك. تُلاحظ أن جفن عينه اليسرى يرتجف دومًا بعصبيَّة.

https://jadidpdf.com

*هلُم أيها الطفل. كم معك من نقود؟*

*أرب... أربعة سنتات.*

*كذَّاب!*

يحاول واين أن يتملَّص، لكن صبيًّا آخر ذا شعرٍ برتقالي غريب يساعد الأشقر على تثبيته، وفجأةً يلطمك ذو الجفن المرتجِف على فمك، فتشعر بثقلٍ مفاجئ بين فخذيك وتظهر بقعة داكنة على سرواله.

*انظر يا ڤيني، لقد بلَّل نفسه!*

تستحيل محاولة واين للتملُّص إلى مقاومةٍ عنيفة، ويكاد يتحرَّر من الوغدين الممسكين به لكنه لا يفلح، إذ يدفعه إلى الحائط صبي آخر يرتدي سروالاً أسود وقميصًا أبيض. ثمَّة وحمة حمراء صغيرة شبيهة بحبَّة الفراولة على ذقنه.

يبدأ الجسر في الارتجاف دلالة على قطارٍ يدنو مسرعًا.

يختطف أحدهم الكُتب من يدك ويُلقيها ذو الوحمة الحمراء في البالوعة المفتوحة القريبة، ثم يدفع واين ركبته اليمنى فجأةً لتضرب ذي الجفن المرتجِف بين ساقيه فيصرخ.

*ڤيني، إنه يهرب!*

يصرخ ذو الجفن المرتجف بشيءٍ ما عن خصيتيه، لكن صراخه يذوب في زئير القطار الداني، ثم يعبر القطار الجسر وتعمُّ الضوضاء العالم للحظات.

https://jadidpdf.com

ينعكس الضوء على نصلَي مديتين، واحدة مع الأشقر والأخرى مع ذي الوحمة. لا يمكنك أن تسمع واين، لكن الكلمات مرسومة على شفتيه وتُدركها دون أن تسمعها.

جيمي، *اركض! اهرب من هنا!*

تنزلق إلى أسفل متملِّصًا من اليدين اللتين تُمسكانك، وتثب بين الساقين كأنك ضفدعة. تلطمك يد على ظهرك محاولةً الإمساك بك من جديد لكنها تفشل، ثم تجد نفسك تركض عائدًا من الطريق الذي جئتما منه بالبطء القاسي الذي تتسم به الكوابيس، تمامًا كأنك تخوض في بِركةٍ من الوحل الثَّخين. تنظر إلى الخلف من وراء كتفك لترى...

استيقظ جيم في الظلام للحظةٍ كاتمًا صرخته ليرى سالي النائمة إلى جواره في سلام، ثم لم يلبث أن غاب من جديد.

... ترى ظلام الجسر كفمٍ كبيرٍ يتثاءب، وترى الأشقر وذا الوحمة يطعنان أخاك في صدره وبين فخذيه فتتفجَّر منه الدماء.

ويستلقي جيم في الظلام بأنفاسٍ متلاحقة منتظرًا أن يأتيه نوم بلا أحلام، وبعد مدةٍ لا يدريها يغيب في النوم.

تضمُّ الإدارة التعليميَّة في المدينة عطلتَي الكريسماس ونصف العام معًا لتصبحا إجازةً واحدةً تمتدُّ شهرًا تقريبًا، رأى جيم في بدايته الحُلم مرتين ثم لم يرَه بعدها. سافر مع سالي إلى أختها في فرمونت حيث مارسا التزلُّج كثيرًا، وكانا سعيدين حقًّا.

https://jadidpdf.com

في الهواء الصافي الطَّلق بدت مشكلة مادة «الحياة مع الأدب» لجيم غير ذات أهمية كبيرة، بل وسخيفة بعض الشيء، وعاد إلى المدرسة شاعرًا بالهدوء والطمأنينة. قابله سيمونز في طريقه إلى تدريس الحصَّة الثانية وناوله ملفًّا قائلًا: «لديك طالب جديد في الحصَّة السابعة. روبرت لوسون، منقول من مدرسةٍ أخرى».

«لديَّ سبعة وعشرون طالبًا بالفعل، وهذا عدد كبير بما فيه الكفاية».

«وما زال العدد كما هو. بيل ستيرنز قُتل في حادثة سيَّارة يوم الثلاثاء التالي للكريسماس. صدمه أحدهم وفرَّ».

«بيلي؟!».

تشكَّلت الصورة في عقله بالأبيض والأسود: ويليام ستيرنز، يلعب كرة القدم، أحد الواعدين القلائل في «الحياة مع الأدب»، هادئ، يحصل على درجاتٍ مرتفعة بانتظام في امتحاناته، لا يتطوَّع كثيرًا بالإجابة على الأسئلة التي يُلقيها جيم، لكنه يأتي بالإجابات الصحيحة غالبًا عندما يفعل، وغالبًا ما يُلقيها بأسلوبٍ جذَّاب محبَّب. مات؟ كان الفتى في الخامسة عشرة. شعر جيم فجأةً بأَجَلِه يهمس له من داخل عظامه، كما يتسرَّب إليك تيَّار الهواء البارد من تحت عتبة الباب.

«مأساة! هل يعرفون ما حدث؟».

«الشُّرطة تُحقِّق في الحادثة. كان في وسط البلد يتبادل هدايا

https://jadidpdf.com

الكريسماس مع أصدقائه، ثم غادر وصدمته سيَّارة فورد قديمة وهو يعبر الشارع. لم يرَ أحد لوحة الأرقام، لكن عبارة «عينا الثعبان» كانت مكتوبةً على الباب الجانبي».

- «ربَّاه!».

دقَّ جرس الحصة الثانية، فابتعد سيمونز واتَّجه جيم نحو الفصل شاعرًا بالخواء.

خلال فترة الراحة فتح جيم ملف روبرت لوسون. كانت الصفحة الأولى تقريرًا من مدرسة ميلفورد الثانويَّة التي لم يكن جيم قد سمع بها من قبل، والثانية تحوي عدَّة معلومات عن الصحَّة النفسيَّة للطالب الجديد. مُعامل الذكاء يبلغ ٧٨، بضع مهاراتٍ يدويَّة، إجابات على اختبار بارنت–هدسون توحي بشخصيَّةٍ غير اجتماعيَّة. الدرجات ضعيفة كذلك. فكَّر جيم ببؤسٍ أنه طالب مناسب تمامًا لفصل «الحياة مع الأدب»، خصوصًا أن الصفحة التالية أظهرت أن لوسون أوقع نفسه في عددٍ لا حصر له من المشاكل في مدرسته القديمة.

قلب جيم الصفحة وألقى نظرةً عابرةً على صورة لوسون، وكاد يقلب الصفحة ثم عاد يتطلَّع إليها من جديدٍ وقد زحف الهلع إلى أحشائه وأحسَّ به يفحُّ كأنه ثعبان.

كان لوسون يرمق الكاميرا بنظرةٍ عدائيَّة كأن من يلتقط الصورة

https://jadidpdf.com

شُرطي في القسم وليس مصوَّرًا في مدرسة، وثمَّة وحمة حمراء صغيرة شبيهة بحبَّة الفراولة على ذقنه.

مع حلول الحصَّة السابعة كان جيم قد أدار جميع الاحتمالات المنطقيَّة في رأسه. قال لنفسه إن هناك آلاف ممن يحملون وحمةً مشابهةً على ذقونهم. قال لنفسه إن الوغد الذي طعن أخاه منذ ستة عشر عامًا في الثلاثين من عمره اليوم على الأقل. لكن الوَجَل ظلَّ رفيقه طوال اليوم رغم ذلك، بل وأضيف إليه تشاؤم جعله يشعر بمذاقٍ صدئ في فمه.

*هذا هو الشعور نفسه الذي راودك قبل أن تصاب بانهيارك العصبي.*

كانت مجموعة الطلبة المعتادة تعبث عند باب الغرفة ٣٣، ودخل بعضهم الفصل مباشرةً على إثر رؤية جيم، في حين ظلَّ بعضهم بالخارج يتبادل الهمسات الضاحكة. رأى الصبي الجديد واقفًا إلى جوار تشيپ أوزواي، وقد ارتدى سروال جينز أزرق وانتعل حذاءً أصفر ثقيلًا كأحذية المزارعين.

«تشيپ، هلُم، ادخل».

قال الولد مبتسمًا بتحدٍّ وهو ينظر إلى جيم من أعلى: «أهذا أمر؟».

«بالتأكيد».

«هل رسبتُ في الامتحان؟».

https://jadidpdf.com

«بالتأكيد».

«نعم، تمامًا كما...».

لم يُميِّز جيم بقيَّة ما قاله بغمغمةٍ مكتومة، والتفت إلى روبرت لوسون قائلًا: «أنت الطالب الجديد إذن. أردتُ أن أخبرك كيف تُدار الأمور هنا».

قال لوسون ببراءة: «بالطبع يا مستر نورمان».

كان حاجبه الأيمن مشقوقًا بنُدبةٍ صغيرة لكن واضحة، نُدبةٍ يعرفها جيم جيدًا. ليس هناك مجال للخطأ. نعم، هذا تخريف، بل هو جنون مُطبِق، لكنه حقيقي تمامًا كذلك. قبل ستة عشر عامًا طعن هذا الولد أخاه بسكِّينٍ حتَّى الموت.

مُخدَّرًا، كأنما يأتي صوته من على مسافةٍ بعيدة، سمع نفسه يشرح قواعد الفصل، في حين دسَّ روبرت لوسون إبهاميه في حزامه مبتسمًا، وبدأ يهزُّ رأسه متَّفقًا مع كلِّ ما يقوله كأنهما صديقان قديمان.

«جيم؟».

«هممم؟».

«أهناك مشكلة ما؟».

«لا».

«أما زال هؤلاء الصِّبية يُتعبونك؟».

https://jadidpdf.com

لا إجابة...

«جيم؟».

«لا».

«لِمَ لا تخلد إلى النوم مبكّرًا الليلة؟».

لكنه لم يفعل. كان الحُلم في غاية القسوة تلك الليلة. عندما طعن الولد ذو الوحمة الحمراء أخاه، التفت إليه قائلًا: «أنت التالي».

واستيقظ جيم صارخًا.

كان يُدرِّس رواية «سيِّد الذباب» هذا الأسبوع ويتكلَّم عن الرمزيَّة عندما رفع لوسون يده، فقال بلهجةٍ محايدة: «روبرت؟».

«لِمَ لا تكفُّ عن النظر إليَّ؟».

ارتعش جفنا جيم وشعر بفمه يجفُّ.

«هل ترى كائنًا فضائيًا أخضر، أم أن زمّام سروالي مفتوح؟».

صدرت ضحكات ساخرة مكتومة من بقيَّة الطلاب، فيما ردَّ جيم باللهجة المحايدة نفسها: «لم أكن أنظرُ إليك. والآن هلا أخبرتنا لِمَ اختلف رالف وجاك على...».

«بل كنت تنظر إليَّ».

«هل تريد أن تشكوني إلى المدير إذن؟».

بدا لوسون كأنه يُفكِّر في السؤال قليلًا، ثم قال بلا مبالاة: «لا».

https://jadidpdf.com

«عظيم. والآن هلا أخبرتنا لِمَ اختلف رالف وجاك على...».

«لم أقرأ الكتاب السخيف».

«حقًّا؟ عليك أن تتذكَّر أن الكتاب يحكم عليك أيضًا مثلما تحكم عليه. والآن هلا أخبرتنا لِمَ اختلف رالف وجاك على وجود الوحش على الجزيرة؟».

رفعت طالبة اسمها كاثي سلافين يدها بتردُّد، فرمقها لوسون بنظرةٍ صارمةٍ وقال شيئًا لتشيپ أوزواي عن أن لها نهدين جميلين، فهزَّ هذا رأسه موافقًا.

أشار جيم إلى الطالبة فأجابت: «لأن جاك كان يرغب في صيد الوحش؟».

«بالضبط».

واستدار ليكتب بالطبشور على السبُّورة، وفي اللحظة التي أدار ظهره فيها ارتطمت ثمرة جريپ فروت بالسبُّورة وتحطَّمت إلى جوار رأسه، فتراجع إلى الوراء بحركةٍ غريزيَّة عنيفة والتفت إليهم ليجد بعضهم يضحك بينما رسم لوسون وأوزواي تعبير البراءة على وجهيهما.

انحنى جيم والتقط الثمرة قائلًا: «أجدر بمن ألقى هذه أن يحشرها في حلقه».

كانت كاثي سلافين تلهث، وألقى جيم الثمرة في سلَّة المهملات وعاد يكتب على السبُّورة.

https://jadidpdf.com

كان يرشف من كوب القهوة وهو يُطالع جريدة الصباح عندما رأى العنوان الذي جعل الدماء تتجمَّد في عروقه: «*مصرع فتاة مُراهِقة على إثر سقوطها من فوق سطح منزلها*». كان متن الخبر يقول إن «*كاثرين سلافين، الطالبة بمدرسة هارولد ديفيز الثانويَّة، قد سقطت -أو دفعها أحدهم- من فوق سطح منزلها بوسط المدينة مساء أمس. كانت الفتاة ذات السبعة عشر عامًا تحتفظ بقفص حمام على السطح، وقد صعدت كي تُطعم الحمائم طبقًا لرواية والدتها الثكلى. وقد صرّح رجال الشُّرطة أن جارةً لم يُحدِّدوا هُويَّتها رأت ثلاثة صِبية يجرون على السطح في نحو السابعة إلا الربع مساءً بعد دقائق من سقوط الفتاة... (البقيَّة في صفحة ٣)*».

سألته سالي بتوتُّر: «أهي واحدة من طالباتك؟».

لكنه لم يستطع إلا النظر إليها كمن أصابه الخرس.

بعد أسبوعين التقاه سيمونز في الرواق حاملًا ملفًّا في يده، وشعر جيم بمعدته كأنها تمتلئ بالشَّظايا.

قال لسيمونز في فتور: «طالب جديد لفصل «الحياة مع الأدب»، أليس كذلك؟».

ارتفع حاجبا سيمونز وهو يسأله بدهشة: «وكيف عرفت؟».

هزَّ جيم كتفيه وتناوَل الملف من سيمونز الذي قال: «على كلٍّ

https://jadidpdf.com

حال يجب أن أذهب الآن. هناك اجتماع لرؤساء الأقسام. لكنك تبدو مريضًا. هل أنت بخير؟».

«نعم».

ربَّت سيمونز على كتفه وقال: «أعْنَّى هذا».

انصرف سيمونز، وفتح جيم الملف على صورة الطالب الجديد وقد اعتلى الخوف ملامحه مقدَّمًا كأنه على وشك أن يُضرَب.

لكن الوجه لم يكن مألوفًا؛ مجرَّد وجه عادي قد يكون قد رآه أو لم يره من قبل. الصبي -واسمه ديفيد جارسيا- متين البنيان ذو شعرٍ داكن وشفتين ممتلئتين كالسُّود ونظرةٍ ناعسةٍ في عينيه. قال الملف إنه محوَّل أيضًا من ميلفورد الثانويَّة، وإنه قضى عامين في إصلاحية الأحداث لسرقة سيَّارة.

وأغلق جيم الملف بيدين ترتجفان قليلًا.

«سالي».

رفعت عينيها إليه وهي تكوي بعض القمصان. كان جالسًا أمام مباراةٍ لكرة السلَّة في التليفزيون دون أن يراها حقًّا.

«لا شيء. نسيتُ ما كنتُ سأقوله».

«لا بد أنها كانت كذبة إذن!».

منحها ابتسامةً روتينيَّة وعاد ينظر إلى التليفزيون. كانت القصة

https://jadidpdf.com

كلها على طرف لسانه، لكن كيف له أن يحكيها؟ إنها قصة أكثر من مجنونة. ومن أين يبدأ؟ من الكابوس الذي لا يكفُّ عن ملاحقته؟ الانهيار العصبي؟ روبرت لوسون؟

*لا. عليك أن تبدأ بواين، بأخيك.*

لكنه لم يكن قد أخبر أحدًا عن الحادثة قَط، ولا حتّى في أثناء خضوعه للعلاج النفسي. انتقلت أفكاره إلى ديڤيد جارسيا والرُّعب الغامض الذي اعتراه عندما تبادلا النظرات للمرَّة الأولى. بالطبع لم يبد الصبي مألوفًا في الصورة، لكن الصور لا تتحرَّك أو ترتجف. كان جارسيا واقفًا في الرواق مع لوسون وأوزواي، ولمَّا رفع عينيه ورأى جيم نورمان بدأ جفنه الأيسر في الارتجاف، وبدأت الأصوات تتكلَّم في عقل جيم بوضوحٍ غير مسبوق:

*انظر يا ڤيني، لقد بلَّل نفسه!*

*هلُم أيها الطفل. كم معك من نقود؟*

*أرب... أربعة سنتات.*

*كذَّاب!*

«جيم؟ هل قلت شيئًا؟».

«لا».

لكنه لم يكن واثقًا تمامًا إن كان قد قال شيئًا بالفعل أم لا. كان الخوف قد بدأ يستحوذ عليه تمامًا.

https://jadidpdf.com

سمع جيم الدقَّة على باب مكتب الأساتذة في ذلك اليوم في فبراير بعد انتهاء اليوم الدراسي، وعندما فتحه وجد تشيپ أوزواي واقفًا هناك وقد لاح الخوف والارتباك على ملامحه. كانت الساعة الرابعة وعشر دقائق، وقد ظلَّ جيم وحده بعد رحيل بقيَّة الأساتذة لتصحيح واجبات «الحياة مع الأدب».

قال بحياد: «تشيپ؟».

بدَّل هذا وضع ساقيه وقال: «مستر نورمان، هل تسمح بدقيقة؟».

«بالتأكيد. لكن إذا كان هذا بخصوص الامتحان، فإنك تُضيِّع...».

«لا، إنها مسألة أخرى. هل يمكنني أن أدخِّن هنا؟».

«لا بأس».

أشعل أوزواي السيجارة بيدٍ ترتجف بعض الشيء، ولم يقل شيئًا لدقيقةٍ تقريبًا. بدا الصبي كأنه لا يستطيع الكلام وقد ارتعشت شفتاه وشبَّك يديه معًا وبدا تعبير غريب على وجهه.

ثم إنه صاح فجأةً: «إذا فعلاها، فأريدك أن تعرف أن لا علاقة لي بالأمر! إنني لا أحبُّهما على الإطلاق! إنهما مخيفان حقًّا!».

«عمَّن تتكلَّم بالضبط؟».

«لوسون وجارسيا».

اعتراه الخوف الآتي من عالم الكوابيس من جديدٍ مع ذِكر الاسمين، وكان يعرف الإجابة من قبل حتّى أن يسأل.

https://jadidpdf.com

«هل يُخطِّطان لإيذائي؟».

«كانا يروقانني في البداية. لقد خرجنا معًا لنشرب البيرة، وبدأتُ أشكو منك بسبب الامتحان إياه وكيف أنني سأنالُ منك، لكنه كان مجرَّد كلام، فضفضة، أقسمُ لك!».

«ماذا حدث؟».

«يبدو أن الموضوع أثار اهتمامهما في الحال. أخذا يسألانني عن الوقت الذي تُغادر فيه المدرسة، وعن نوع السيَّارة التي تقودها وما إلى ذلك. سألتهما عن سبب عدائهما لك، وقال جارسيا إنهما يعرفانك منذ زمنٍ طويل و.... هل أنت بخير؟».

«إنها السيجارة. لم أعتد رائحة الدخان قَط».

فأطفأ أوزواي السيجارة وواصل: «سألتهما منذ متى يعرفانك، فقال لوسون إنني كنتُ لا أزالُ أبولُ في حفَّاضتي وقتها. لكنهما في السابعة عشرة مثلي!».

«ثم ماذا؟».

«مال جارسيا على الطاولة وقال إنني لن أستطيع النيل منك كما يجب إن كنتُ لا أدري متى تغادر المدرسة حتى. ثم سألني عما كنتُ أنتويه، فقلتُ إنني كنتُ سأفرغُ إطارات سيَّارتك الأربعة فحسب»، ثم أضاف مدافعًا: «لكني لم أكن سأفعلُ ذلك حقًّا! فقط قلتُ له هذا لأنني...»

«كنت خائفًا؟».

https://jadidpdf.com

«نعم، وما زلتُ».

«وماذا كان رأيهما في فكرتك؟».

ارتجف أوزواي وهو يجيب: «قال لوسون: *أهذا كل ما عندك أيها الأبله؟* فقلتُ محاولًا أن أبدو خشنًا: *وماذا ستفعل أنت؟ ستقتله؟* عندها بدأ جفن جارسيا في الارتعاش وأخرج شيئًا من جيبه فتحه فوجدته مدية، وعندها غادرتُ».

«متى كان هذا؟».

«ليلة أمس. إنني خائف من الجلوس معهما الآن يا مستر نورمان».

خفض جيم ناظريه إلى الأوراق التي كان يُصحِّحها دون أن يراها، فسأله أوزواي: «ماذا ستفعل؟».

«لا أدري. لا أدري حقًّا».

وجاء اليوم التالي -الاثنين- وهو لا يزال لا يدري. أول خاطر راوده كان أن يحكي كلَّ شيءٍ لسالي، بدايةً بمقتل أخيه منذ ستة عشر عامًا، لكنه رأى ذلك الخيار مستحيلًا. ستتعاطف معه بالتأكيد، لكنها لن تُصدِّقه وسينتابها الخوف بدورها.

سيمونز؟ مستحيل أيضًا، فسيحسبه بالتأكيد مجنونًا، ولعله مجنون بالفعل. كان قد سمع من رجلٍ في واحدةٍ من جلسات العلاج الجماعي التي حضرها أن الإصابة بالانهيار العصبي تُشبه أن تكسر

https://jadidpdf.com

مزهريَّة ثم تعيد لصق القطع معًا. لا يمكنك أن تعتمد على قدرتك على التعامل مع المزهريَّة بثقةٍ بعدها ثانيةً أبدًا، ولا يمكنك أن تضع فيها زهورًا لأن الزهور تحتاج إلى ماء، والماء يُذيب الصَّمغ.

*هل أنا مجنون إذن؟*

إذا كان مجنونًا، فتشيپ أوزواي مجنون بدوره. فكَّر في هذا وهو يركب سيَّارته، وولَّد هذا قشعريرة في بدنه.

بالطبع! لقد هدَّده لوسون وجارسيا في حضور أوزواي، وقد لا يكون لهذا قيمة كبيرة من الناحية القانونيَّة، لكنه يستطيع على الأقل أن يحرمهما دخول المدرسة إذا استطاع إقناع أوزواي بتكرار قصته أمام المدير فنتون، وهو متأكِّد لدرجةٍ كبيرة من قدرته على إقناع أوزواي الذي يرغب في بقائهما بعيدًا عنه بدوره.

لكنه لسببٍ ما ظلَّ يُفكِّر في ما حدث لبيلي ستيرنز وكاثي سلاڤين.

خلال الحصَّة الأولى التي لا يعمل فيها صعد إلى مكتب سكرتيرة المدرسة التي كانت تُراجع قائمة الغياب، وسألها بأسلوبٍ عرضي إن كان تشيپ أوزواي قد جاء اليوم، فنظرت إليه بشكٍّ وهي تُردِّد: «تشيپ؟».

«تشارلز أوزواي. تشيپ اسم مستعار».

تصفَّحت أوراقها بسرعة، ثم قالت إنه متغيِّب اليوم، فطلب منها أن تجد له رقم هاتف الصبي. ناولته السكرتيرة الرقم بعد أن راجعت ملف أوزواي، فطلبه من مكتبها في الحال. رنَّ الهاتف على

https://jadidpdf.com

الطرف الآخر كثيرًا، وكان على وشك وضع السمّاعة عندما أجابه صوت خشن لرجل.

«مستر أوزواي؟».

«باري أوزواي متوفٍّ منذ ست سنوات. أنا جاري ديكنجر».

«هل أنت زوج أم تشيپ؟».

«ماذا فعل بالضبط؟».

«معذرةً؟».

«لقد هرب. أريدُ أن أعرف ما فعله بالضبط».

«لا شيء على حدّ علمي. أريدُ أن أكلّمه فقط. هل تعرف أين عساه يكون؟».

«لا. إنني أعملُ ليلًا، ولا أعرفُ أيًّا من أصدقائه».

«هل تدري إن...».

«لا. لقد أخذ حقيبة الملابس القديمة وخمسين دولارًا لا بد أنه ادّخرها من بيع أجزاء السيّارات المسروقة أو بيع الماريجوانا أو أيًّا كان النشاط الإجرامي الذي يُمارسه. لعله ذهب إلى سان فرانسسكو ليصبح هيبي».

«أرجو أن تتّصل بي في المدرسة إذا سمعت منه. أنا جيم نورمان من قسم اللغة الإنجليزية».

«ليكن».

https://jadidpdf.com

وضع جيم السمّاعة ومنحته السكرتيرة ابتسامةً بلا معنى، لكنه لم يُبادلها الابتسام.

***

بعد يومين ظهرت عبارة «تركَ المدرسة» إلى جوار اسم تشيپ أوزواي في دفتر الحضور والغياب، وبدأ جيم ينتظر ظهور سيمونز بملفٍّ لطالبٍ جديد، وهو ما حدث بالفعل بعد أسبوع. تطلَّع جيم ببلادةٍ إلى الصورة التي لم يكن هناك مجال للخطأ فيها. الشعر القصير استطال لكنه ما زال أشقر، والوجه لم يتغيَّر. ڤينسنت كوري، أو ڤيني كما يدعوه أصدقاؤه. كان يرمق جيم من الصورة وعلى شفتيه ابتسامة متغطرسة.

كانت خفقات قلبه مضطربة كثيرًا إذ دنا من الغرفة التي يُدرِّس فيها الحصَّة السابعة. كان لوسون وجارسيا وڤينسنت كوري واقفين إلى جوار الباب يتبادلون الحديث العابث، لكنهم اعتدلوا في وقفتهم عندما اقترب منهم. استقبله ڤينسنت بابتسامته الواثقة، لكن النظرة في عينيه كانت ميتة باردة كالجليد وهو يقول: «لا بد أنك المستر نورمان. أهلًا نورم!».

أطلق لوسون وجارسيا ضحكة مكتومة، في حين قال جيم متجاهلًا يد ڤيني الممدودة: «اسمي المستر نورمان. من السهل أن تتذكَّر هذا، أليس كذلك؟».

«بكلِّ تأكيد. كيف حال أخيك؟».

تجمَّد جيم في مكانه وشعر بالبول يحتشد في مثانته يكاد يُفجِّرها،

https://jadidpdf.com

ومن مكانٍ بعيد كأنه دهليز في موقعٍ سحيقٍ من جمجمته سمع الصوت الشبحي يتردَّد.

*انظر يا ڤيني، لقد بلَّل نفسه!*

«ما الذي تعرفه عن أخي؟».

«لا شيء. أو لا شيء كثيرًا على الأقل».

وابتسم ثلاثتهم في وجهه تلك الابتسامة الخاوية المنذرة بالويل، ثم دقَّ جرس الحصَّة فدخلوا الفصل بتراخٍ مُستفِز.

كابينة الهاتف القريبة من الصيدليَّة، العاشرة مساءَ تلك الليلة.

«أريدُ الاتصال بقسم الشرطة في ستراتفورد، كونيتيكيت. لا، لا أعرفُ الرقم».

اسم الشُّرطي المطلوب هو المستر نِل. في تلك الأيام كان أبيض الشعر، في منتصف العقد السادس من العمر غالبًا. كان أبوهما قد مات، وبشكلٍ ما عرف الشُّرطي العجوز هذا فرقَّ قلبه لهما.

*أنا المستر نِل. يمكنكما المجيء إليَّ إذا احتجتما إلى أيِّ شيء.*

اعتاد جيم وواين اللقاء كلَّ يوم وقت الغداء في مطعم البلدة الصغير لتناوُل طعامهما الذي تعدُّه أمُّهما لهما، وكانت أمُّهما تعطي كلًّا منهما خمسة سنتات لشراء الحليب. كان هذا قبل بدء برنامج توزيع الحليب على التلامذة في المدارس الأمريكية. أحيانًا كان

https://jadidpdf.com

المستر نِل يأتي إلى المطعم وتسمع أنين حزامه تحت ثقل بطنه الكبيرة ومسدَّسه الحكومي، فيبتاع لكلٍّ منهما فطيرة التفاح مغطَّاة بالآيس كريم.

*أين كنت عندما طعنوا أخي يا مستر نِل؟*

تمَّ الاتِّصال ورنَّ الهاتف مرَّة واحدة على الطرف الآخر.

«شُرطة ستراتفورد».

«مرحبًا. اسمي جيمس نورمان، أتَّصلُ من... (وذَكَر اسم المدينة)... أتساءلُ إن كان يمكنكم إيصالي برجلٍ كان يعمل في القسم لديكم سنة ١٩٥٧».

«لحظة واحدة».

صمت، ثم صوت...

«مستر نورمان، أنا الرقيب مورتون ليڤينجستون. بمن تحاول الاتِّصال؟».

«كنا نعرفه وقتها باسم المستر نِل، فهل...».

«بالتأكيد! دون نل! إنه متقاعد الآن. لا بد أنه في الثالثة أو الرابعة والسبعين من عُمره».

«أما زال يقطن في ستراتفورد؟».

«نعم، في بارنوم آڤنيو. هل تريد عنوانه؟».

«ورقم الهاتف إذا سمحت».

https://jadidpdf.com

«حسن. هل كنت تعرف دون؟».

«كان يبتاع فطائر التفاح لي ولأخي في المطعم الصغير ونحن صغار».

«آه! لم يعد المطعم موجودًا منذ عشرة أعوام. خسارة. انتظر لحظة».

ثم عاد الرقيب إلى الهاتف بالعنوان والرقم اللذين دوَّنهما جيم وشكرَ الرجل قبل أن يُغلق الخط.

عندما طلب رقم الشُّرطي المتقاعد وسمع نغمة الرنين شعر بتوتُّرٍ ساخن يُفعمه، وبحركةٍ غريزية تطلَّع حوله فلم يجد إلا فتاةً مُراهِقة تطالع مجلة ما.

رفع أحدهم السمَّاعة على الطرف الآخر، وجاءه صوت رجولي قوي لا يشي بسنٍّ صاحبه يتساءل عن المتَّصل، وولَّد هذا في عقل جيم سلسلة من الذكريات والمشاعر ذكَّرته بمتلازمة بالمألوف، التي قد تصاب بها إذا سمعت أغنية قديمة تعرفها تخرج من الراديو.

«مستر نِل؟ دونالد نِل؟».

«نعم».

«اسمي جيمس نورمان. هل تذكرني؟».

أجاب الصوت في الحال: «نعم. فطائر التفاح بالآيس كريم. قُتل أخوك طعنًا. كان هذا مؤسفًا».

ارتكن جيم إلى زجاج كابينة الهاتف وقد غادر التوتُّر جسده

https://jadidpdf.com

تاركًا إياه خاويًا كدُمية نفخ. وجد نفسه على حافَّة الإفصاح بكلِّ شيءٍ للرجل، لكنه قاوم هذه الرغبة بقوة.

«ولم يُقبَض على من ارتكبوا الجريمة قَط».

«نعم. كان هناك عدد من المشتبَه بهم، لكن لم تَثبُت الجريمة على أحدٍ منهم».

«هل تذكُر إن كان أحدهم قد تلا عليَّ أسماءهم؟».

«لم يحدث. لقد استخدمنا الأرقام فقط في أثناء عرض المشتبه بهم عليك. ما الذي ذكَّرك بهذه القضيَّة الآن يا مستر نورمان؟».

«دعني أتلو عليك بضعة أسماء، وأخبرني إن كانت تُذكِّرك بأيِّ شيءٍ له علاقة بالقضيَّة».

«بني، كان هذا منذ...».

قاطعه جيم وقد بدأ مقدار من اليأس في التسلُّل إليه: «لكنك قد تتذكَّر. روبرت لوسون، ديفيد جارسيا، ڤينسنت كوري... هل...».

قاطعه نِل هذه المرَّة قائلًا: «كوري. نعم، أذكره. ڤيني الأفعى كان اسم شهرته. كان أحد المشتبَه بهم بالفعل، لكن أمَّه زوَّدته بحجَّة غياب قوية. لا أذكرُ شيئًا عن روبرت لوسون، لكن جارسيا هذا يدقُّ جرسًا في ذاكرتي، لا أدري لماذا. لقد صرتُ عجوزًا على كلِّ حال».

حملت العبارة الأخيرة نوعًا من الاشمئزاز في صوت الرجل.

https://jadidpdf.com

«مستر نِل، هل من وسيلة تعرف بها أين يوجد هؤلاء الصِّبية الآن؟».

«بالطبع، لكنهم لم يعودوا صِبيةً».

فعلًا؟

«اسمع يا جيمي، هل ظهر أحدهم وتحرَّش بك مثلًا؟».

«لا أدري. هناك أشياء غريبة تحدث منذ فترة، أشياء لها علاقة بمصرع أخي».

«أشياء مثل ماذا؟».

«لا أستطيعُ أن أخبرك. ستحسبني مخبولًا».

جاء الرد سريعًا حازمًا: «وهل أنت كذلك؟».

صمت جيم لحظة ثم أجاب: «لا».

«حسن، سأرى ما يمكنني أن أفعله بشأن الأسماء. أين يمكنني الاتِّصال بك؟».

أملى عليه جيم رقم هاتفه المنزلي، ثم أضاف: «ستجدني ليلة الثلاثاء غالبًا».

إنه موجود في المنزل كلَّ ليلةٍ تقريبًا، لكن سالي تتلقَّى دروس النحت في ليالي الثلاثاء.

«ماذا تفعل هذه الأيام يا جيمي؟».

«أستاذ في مدرسةٍ ثانويَّة».

https://jadidpdf.com

«عظيم. قد يستغرق الأمر بضعة أيام. إنني متقاعد الآن كما تعلم».

«لم يتغيَّر صوتك أو أسلوبك إطلاقًا».

«آه، لكن لو رأيتني! أما زلت تأكل فطائر التفاح بالآيس كريم؟».

«طبعًا».

كان يكذب، فقد صار يمقتها منذ زمنٍ طويل.

«هذا يُسعدني. حسن، إذا كان هناك شيء آخر، فسوف...».

«ثمَّة شيء واحد. هل هناك مدرسة باسم ميلفورد الثانويَّة في ستراتفورد؟».

«ليس على حدِّ علمي».

«كما حسبتُ».

«الشيء الوحيد الذي يحمل هذا الاسم هنا هو مقابر ميلفورد، وبالطبع لم يتخرَّج أحد فيها!».

وأطلق قهقهة قصيرة كان وقعها على أذنَي جيم كارتطام العظام بالعظام.

سمع نفسه يشكر العجوز ويُلقي عليه التحيَّة. أغلق نِل الخط من ناحيته، وسمع جيم عامل الهاتف يطلب منه أن يودع ستين سنتًا في الماكينة فوضعها بشكلٍ آلي، ثم استدار ليغادر الكابينة،

https://jadidpdf.com

فقط ليجد نفسه يُحدِّق إلى وجهٍ ملتصق بالزجاج يبتسم ابتسامة مخيفة.

كان وجه ڤيني، الأفعى...

وصرخ جيم حتّى بُحَّ صوته.

الفصل مرَّة أخرى...

كان قد كلَّف طلبة «الحياة مع الأدب» بكتابة موضوع إنشاء، ومعظمهم منحنٍ بتعاسةٍ على ورقته يصبُّ فيها أفكاره... معظمهم لأن ثلاثة منهم جلسوا يراقبونه وقد فرغت أوراقهم من أيِّ كلمات: روبرت لوسون في مقعد ويليام ستيرنز، وديڤيد جارسيا في مقعد كاثرين سلاڤين، وڤينسنت كوري في مقعد تشارلز أوزواي.

قبل أن يدق الجرس معلنًا نهاية الحصَّة أشار جيم إلى ڤيني قائلًا بهدوء: «مستر كوري، أريدُ أن أتكلَّم معك بعد الحصَّة».

«بالتأكيد يا عزيزي نورم».

ضحك لوسون وجارسيا بصوتٍ عالٍ في حين لاذ بقيَّة الطلبة بالصمت، وحين دقَّ الجرس سلَّموه أوراقهم وغادروا مسرعين. ظلَّ جارسيا ولوسون في مكانيهما، وشعر جيم بأحشائه تتوتَّر.

*هل سيقتلوني الآن إذن؟*

ثم أشار لوسون برأسه إلى ڤيني قائلًا: «نراك لاحقًا».

https://jadidpdf.com

غادرا وأغلق لوسون الباب وراءهما، ثم من وراء الكوة الصغيرة في الباب صاح جارسيا فجأةً بصوتٍ مبحوح: «سيأكل نورم التراب قريبًا!».

نظر فيني ناحية الباب، ثم عاد ينظر إلى جيم مبتسمًا وقال: «كنتُ أتساءلُ متى ستطلب الكلام معي».

«حقًّا؟».

«لقد أثرتُ فزعك في كابينة الهاتف، أليس كذلك يا والدي؟».

«لم يعد أحد يستخدم هذه الكلمة مع من هُم أكبر منه».

«وأنا أتكلَّمُ كما أشاءُ».

«أين رفيقكم الآخر ذو الشعر الأحمر؟».

«انفصل عن مجموعتنا يا رجل».

لكن جيم شعرَ بنوعٍ من الحذر متواريًا تحت الإجابة التي حاول فيني أن تكون لا مبالية.

«إنه حي، أليس كذلك؟ لهذا السبب ليس موجودًا هنا. إنه حي وفي الثانية أو الثالثة والثلاثين الآن، السِّن نفسها التي يُفترَض أن تكونوا فيها لو لم...».

«لطالما كان بليتش نكرةً على كلِّ حال»، واعتدل في مقعده فاردًا يديه على المكتب وأضاف ولمعة ما تلوح في عينيه: «ما زلتُ أذكرك يوم عرضوا المشتبَه بهم عليك. بدوت كأنك ستُبلِّل نفسك

https://jadidpdf.com

مرَّة أخرى. لقد رأيتك تنظر إليَّ وإلى جارسيا، لكنني ألقيتُ لعنتي عليك».

«أظنك فعلت حقًّا. لقد أعطيتني ستة عشر عامًا من الكوابيس. ألم يكن هذا كافيًا؟ لماذا الآن؟ ولماذا أنا؟».

بدا ڤيني مرتبكًا للحظةٍ، ثم ابتسم من جديد وهو يجيب: «لأنك عمل غير مكتمل يا رجل، ويجب أن نتمَّ ما بدأناه».

«وأين كنتم قبل هذا؟».

شاب ابتسامة ڤيني شيء من القسوة وهو يقول: «لن نتكلَّم عن هذا، مفهوم؟».

«لقد حفروا لك قبرًا يا بني، قبرًا على عمق ستة أقدام في مقابر ميلفورد. ستة أقدام من الـ...».

«اخرس!».

وانتفض واقفًا بعنفٍ جعل المكتب ينقلب على جانبه في الممر، وقال جيم: «لا تحسبوا أنني سأكون فريسةً سهلة».

«سنقتلك يا والدي، وعندها ستعرف بنفسك كلَّ شيءٍ عن القبور».

«اخرج من هنا».

«وربما زوجتك الحسناء كذلك».

انقضَّ عليه جيم شاعرًا بالانتهاك والفزع على ذِكر سالي،

https://jadidpdf.com

وصرخ: «أيها الحقير! إذا مسستموها...».

تفاداه الولد ببساطةٍ واتجه نحو الباب قائلًا: «مهلًا يا والدي».

«إذا مسستم زوجتي فسأقتلكم».

اتسعت ابتسامة ڤيني وهو يقول ساخرًا: «تقتلنا؟ حسبتك تعرف أننا موتى بالفعل»

وغادر تاركًا صدى خطواته يتردَّد في الرواق لوقتٍ طويل.

«ماذا تقرأ يا عزيزي؟».

أدار جيم غلاف كتاب «استدعاء الشياطين» ناحية المرآة التي تُمشِّط فيها شعرها، فقالت: «يَك!».

ابتسم وسألها: «هل ستستقلين التاكسي في طريق العودة؟».

«إنها مسافة أربعة مربَّعات سكنيَّة لا أكثر، كما أن المشي مفيد للحمية».

قال كاذبًا: «أحدهم تعرَّض لواحدةٍ من طالباتي في سمر ستريت. أظنُّها كانت محاوَلة اغتصاب».

«حقًّا؟ من؟».

اختلق اسمًا عشوائيًّا سريعًا: «اسمها ديانا سنو. فتاة متَّزنة ومهذَّبة حقًّا. استقلي التاكسي وأنت عائدة، من أجلي، اتفقنا؟».

هزَّت رأسها أن لا بأس، ثم توقَّفت عند المقعد الجالس عليه

https://jadidpdf.com

ووضعت يديها على وجنتيه ونظرت في عينيه مباشرةً قائلةً: «ماذا هناك يا صغيري؟».

«لا شيء».

«بل هناك شيء».

«ليس شيئًا لا أستطيعُ التعامُل معه».

«أهو شيء... أهو شيء يتعلَّق بأخيك؟».

هبَّ تيَّار من الهواء البارد في داخله كأن أحدًا فتح بابًا في أعماقه، وسألها بارتباك: «لِمَ تقولين هذا؟».

«كنت تئنُّ باسمه في منامك ليلة أمس. *واين، واين. اهرب يا واين*».

«لا تشغلي بالك. كلُّ شيءٍ على ما يرام».

ولم يكن كلُّ شيءٍ على ما يرام بالطبع، وكلاهما يعرف هذا. راقبها تغادر من وراء النافذة، وفي الثامنة والرُّبع تقريبًا جاءه الاتِّصال المنتظَر من المستر نِل الذي قال: «لا يُقلقنَّك شيء من أمرهم. لقد ماتوا جميعًا».

كان يضع إصبعه على الصفحة التي توقَّف عندها في كتاب «استدعاء الشياطين» وهو يتكلَّم.

«هكذا إذن؟».

«حادثة سيَّارة بعد ستة شهور من مقتل أخيك في أثناء مطارَدة

https://jadidpdf.com

شُرطي لهم. فرانك سايمون كان اسمه. إنه يعمل في سيكورسكي الآن، وغالبًا يتلقَّى أجرًا أكبر بكثير».

«وتحطَّمت سيَّارتهم؟»

«خرجت السيَّارة عن الطريق بسرعة مئة ميل في الساعة وارتطمت ببُرجٍ للضغط العالي، وعندما فصلوا الكهرباء أخيرًا وأخرجوهم من السيَّارة كانوا قد تفحَّموا تمامًا».

أغلق جيم عينيه وسأله: «هل رأيت التقرير؟».

«طالعته بنفسي، نعم».

«وهل من معلوماتٍ عن السيَّارة نفسها؟».

«مجرَّد سيَّارة قديمة جُدِّد محرِّكها. فورد سوداء طراز ١٩٥٤ تحمل عبارة «عينا الثعبان» على جانبها».

«كان معهم صبي رابع يا مستر نِل. لا أعرفُ اسمه الحقيقي، لكنهم أطلقوا عليه اسم بليتش».

قال العجوز بلا تردُّد: «تتكلَّم عن تشارلي سپوندر. أذكرُ أنه غسل شعره بالكلور ذات مرَّة فاستحال لونه إلى الأبيض، وعندما حاول صبغه اكتسب اللون البرتقالي».

«هل تعرف أين هو الآن؟».

«في الجيش. التحق بالخدمة العسكريَّة سنة ٥٨ أو ٥٩ بعد أن حملت منه فتاة».

https://jadidpdf.com

«هل من وسيلةٍ للاتِّصال به؟».

«أمُّه ما زالت مقيمة في ستراتفورد. لا بد أنها تعرف».

«أريدُ عنوانها إذن».

«لن أعطيك إياه يا جيمي، ليس قبل أن تُخبرني بما يحدث».

«لا أستطيعُ يا مستر نِل. قلتُ لك إنك ستحسبني مخبولًا».

«جرِّبني».

«لا أستطيعُ».

«وهو كذلك يا بني».

«هل ستعطيني العنوان إذن؟».

لكن الخط كان قد قُطع.

«الوغد العجوز!»، غمغم بها جيم بحنقٍ وهو يُعيد السمّاعة إلى مكانها بعُنف، فأحدثت رنينًا جفلَ له كأن الهاتف أحرق يده.

تطلَّع جيم متنفِّسًا بعُمق إلى الهاتف الذي بدأ يرنُّ فجأةً بعد قليل، وبعد الرنَّة الرابعة رفع السمّاعة مصغيًا.

وأغلق عينيه بانهيارٍ تام.

أوقفَه شُرطي في الطريق إلى المستشفى، ثم سبقه وسايرينته تولول لإفساح الطريق.

https://jadidpdf.com

كان هناك طبيب حديث السنّ في غرفة الطوارئ رمق جيم بنظرةٍ خاليةٍ من المشاعر.

«معذرة، أنا جيمس نورمان، و...».

«تقبّل أسفي يا مستر نورمان. لقد ماتت في التاسعة وأربع دقائق».

كان على شفا فقدان الوعي. شعر بالأرض تميد به وبطنينٍ صاخبٍ في أذنيه، وجاست عيناه في المكان بلا هدفٍ محدَّد. الجدران المغطّاة بالقرميد الأخضر، محفَّة تلتمع تحت المصابيح الفلورسنت، ممرِّضة تعدل وضع قبّعتها المائلة، ممرِّض مستند إلى الجدار خارج غرفة الطوارئ يرتدي زيًّا أبيض تلطَّخ من الأمام ببُقعٍ من الدم ويُنظِّف أظفاره بسكّين.

يرفع الممرِّض عينيه إلى جيم ويبتسم ابتسامة واسعة.

ديڤيد جارسيا.

وادلهمَّ كلُّ شيءٍ أمام عينيه، ومادت الأرض تحت قدميه، وسقط جيم فاقدًا الوعي.

---

الجنازة كمسرحيَّة من ثلاثة فصول: المنزل، ثم الكنيسة، ثم المقابر. وجوه تأتي من لا مكان، تدور وتدنو ثم تدور وتبتعد في الظلام. أم سالي عيناها محمرَّتان من فرط البكاء من وراء حجاب الوجه الأسود. أبوها يبدو هرِمًا مصدومًا. سيمونز وآخرون. يُقدِّمون أنفسهم إليه

https://jadidpdf.com

ويصافحونه، فيهزُّ رأسه دون أن يذكر اسمًا واحدًا من أسمائهم. أحضرت بعض النساء طعامًا، وأحضرت واحدة منهن فطيرة تفاح التهم منها أحدهم قطعة، وعندما رآها جيم وهو يدخل المطبخ وهي تنزُّ ما في داخلها من عصيرٍ كالدم الكهرماني في الطبق فكَّر أن الفطيرة ينقصها القليل من الآيس كريم على الوجه.

شعر برجفةٍ في يديه وساقيه وقد تملَّكته رغبة في أن يأخذ الفطيرة ويضرب بها عرض الحائط.

ثم غادروا وقد أخذ يشاهد نفسه من الخارج كما تشاهد نفسك في فيلم ڤيديو منزلي.

*شكرًا لكَ. نعم، سأفعل. شكرًا لكِ. أنا واثق بأنها في مكانٍ أفضل. شكرًا لكَ.*

أصبح المنزل له وحده مرَّة أخرى بعد رحيلهم، فعمد إلى رفِّ المدفأة الزاخر بتذكارات زواجهما. دُمية جرو فازت بها في ملاهي كوني آيلاند في شهر عسلهما، شهادتا تخرُّجهما في الجامعة المحاطتان بإطارين أنيقين، نرد كبير أهدته إياه على سبيل الدعابة بعد أن خسر ستة عشر دولارًا في لعبة پوكر قبل عامٍ ونيف، قدح قهوة من الخزف الصيني اشترته من سوق السلع المستعملة في كليڤلاند العام الماضي، صورة زفافهما تتوسَّط رفَّ المدفأة. قَلَبَ الصورة على وجهها، ثم جلس أمام شاشة التليفزيون المغلَق وقد بدأت فكرة تتكوَّن في عقله.

https://jadidpdf.com

بعد ساعةٍ تقريبًا رنَّ الهاتف لينتزعه من أفكاره، فرفع السَّماعة ليسمع الصوت الرهيب.

«عزيزي نورم، أنت التالي».

«ڤيني؟».

«أريدك أن تتخيَّل منظرها وقد انتثرت أشلاؤها على الأرض».

«ڤيني، سأكونُ في المدرسة الليلة، الغرفة ٣٣. سأترك الأنوار مطفأة. سنعيد إحياء تلك الليلة عند جسر السكك الحديديَّة. بل إنني أعتقدُ أنني أستطيعُ تدبير قطارٍ كذلك».

«تريد أن ينتهي كل شيء، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح. وستكونون هناك».

«ربما».

«بل ستكونون هناك».

وأغلق الخط.

كان الظلام على وشك أن يبسط سلطانه بالكامل عندما وصل جيم إلى المدرسة.

ركن السيَّارة في مكانه المعهود، ثم دخل المدرسة من الباب الخلفي مستخدمًا مفتاحه الذي سلَّمته له المدرسة، واتَّجه أولًا إلى قسم اللغة الإنجليزية في الطابق الثاني. دخل المكتب وفتح خزانة

https://jadidpdf.com

الاسطوانات الموسيقيَّة وانتقى واحدةً منها تحمل عنوان «مؤثِّرات صوتيَّة هاي فاي». المقطوعة الثالثة على غلاف الاسطوانة الخلفي تحمل عنوان «قطار الخوف» ومدَّتها ثلاث دقائق وأربع ثوانٍ. وضع الاسطوانة في جهاز الستريو الخاص بالقسم، ثم أخرج كتاب «استدعاء الشياطين» من جيب معطفه وفتحه على فقرةٍ كان قد وضع عندها علامة، وقرأ شيئًا ثم هزَّ رأسه، قبل أن يطفئ الأنوار ويغادر المكتب حاملًا الستريو.

***

الغرفة ٣٣...

ركَّب جيم الستريو مباعدًا بين السمَّاعات قدر الإمكان، ثم شغَّل مقطوعة «قطار الخوف»، فجاء الصوت من بعيدٍ في البدء، قبل أن يملأ الغرفة كلها بهدير محرِّكات الديزل والفولاذ الذي يجري على الفولاذ. إذا أغلق عينيه كان بإمكانه أن يتخيَّل نفسه وقد قيَّده الأوغاد عند جسر السكك الحديديَّة، فيما تمضي القصة الدراميَّة القاسية إلى نهايتها المعروفة.

فتح جيم عينيه وشغَّل المقطوعة من جديد، ثم جلس إلى مكتبه وفتح كتاب «استدعاء الشياطين» على فصلٍ عنوانه «الأرواح وكيف تستحضرها». كانت شفتاه تتحرَّكان مع السطور التي يقرأها، ثم يصمت على فتراتٍ وهو يُخرج أشياء من جيبه ويرصُّها على المكتب.

أولًا صورة قديمة مجعَّدة الأطراف مع أخيه وهما واقفان في

https://jadidpdf.com

الحديقة الصغيرة أمام البناية التي كانا يسكنانها في شارع برود ستريت. في الصورة كان كلاهما ذا قَصة شعرٍ قصيرة ويبتسمان للكاميرا بخجل. وثانيًا زجاجة صغيرة من الدم الذي حصل عليه من قطة ضالَّة ذبحها بسكِّين الجيب الذي يحمله معه. وثالثًا سكِّين الجيب نفسه. وأخيرًا عصابة لامتصاص العرق مزَّقها من قبَّعة بيسبول قديمة، قبَّعة واين. كان جيم يحتفظ بها سرًّا على أمل أن يُنجب وسالي ابنًا ذات يومٍ فيعتمرها.

نهض إلى النافذة وتطلَّع إلى الخارج، لكن المرأب كان خاويًا.

بدأ يدفع المكاتب والكراسي نحو الجدران صانعًا دائرةً في منتصف الغرفة، ثم إنه التقط إصبع طباشير من دُرج مكتبه واتَّبع الرسم البياني الموجود في الكتاب بالضبط ليرسم نجمة خماسيَّة على الأرض.

كانت أنفاسه قد أضحت أكثر ثقلًا الآن. أطفأ الأنوار وجمع الأشياء التي جلبها معه في يدٍ واحدة وبدأ يتلو.

«أبانا أبا الظلام، اسمعني من أجل روحي. بالتضحية أتعهَّدُ، وعطيةً سوداء أطلبُ، وانتقام اليد اليُسرى أنشدُ، والدم قد جلبت معي كوعدٍ بالتضحية».

وفتح الزجاجة -التي كانت تحوي زبدة الفول السوداني في مطبخه من قبل- وصبَّ محتوياتها داخل حدود النجمة الخماسيَّة.

ثم إن شيئًا ما حدث في الغرفة المظلمة. من غير الممكن أن

https://jadidpdf.com

تقول ماذا بالضبط، لكن الهواء أصبح أكثر ثقلًا وصار له سُمك يملأ كيانك. ازداد الصمت عُمقًا وقد احتلَّه شيء غير مرئي.

والآن أصبح في الهواء إحساس ذكَّر جيم بالمرَّة التي زار فيها محطَّة طاقة عملاقة في رحلةٍ مدرسيَّة، إحساس بأن الهواء مفعم بالكهرباء والذبذبة.

ثم إن صوتًا كريمًا خفيضًا بدأ يُكلِّمه...

«ماذا تطلب؟».

لم يعرف إن كان يسمع الصوت فعلًا أم أنه يتخيَّله فقط، لكنه نطق عبارتين.

«عطية صغيرة هي. ماذا تهب؟».

فنطق جيم كلمتين، فهمس الصوت: «كلاهما. الأيمن والأيسر. تقبل؟».

«أجل».

«فلتُعطني ما هو لي إذن».

فتح جيم سكِّين الجيب وعمد إلى مكتبه، ثم فرد يده اليُمنى على سطح المكتب وبلا تردُّد بتر إصبع السبَّابة بأربع ضرباتٍ قوية، فتدفَّق الدم غزيرًا على الورق النشَّاف الذي كان قد فرده على سطح المكتب. لم يشعر بالألم على الإطلاق. ثم إنه أزاح الإصبع جانبًا والتقط السكِّين بيده اليُمنى، لكن قطْع السبَّابة اليُسرى كان أصعب بسبب الإصبع المفقود من يده والدم الذي جعل السكِّين ينزلق عدة

https://jadidpdf.com

مرَّات. في النهاية أطلق صيحة تنمُّ عن نفاد الصبر، فألقى السكِّين بعيدًا وضغط على عظمة الإصبع حتّى حطَّمها ليُحرِّره من جسده إلى الأبد. هكذا التقط جيم إصبعيه المبتورين وألقى بهما داخل النجمة الخماسيَّة، فسطع ضوء مبهر للحظةٍ كما لو أن مصوِّرًا فوتوجرافيًّا قديمًا يلتقط صورة في المكان. لم يكن هناك دخان ولا رائحة كبريت.

«ما الأشياء التي جلبتها معك؟».

«صورة وقطعة من القماش تشرَّبت بعَرقه».

قال الصوت بنبرةٍ حملت الكثير من الشراهة وأثارت في جيم القشعريرة: «العَرق نفيس. أعطني إياهما».

فألقى الصورة والعصابة داخل النجمة الخماسيَّة وسطع الضوء مرَّة أخرى.

«هل سيأتون؟».

لكن إجابةً لم تأتِ. اختفى الصوت كأنه لم يكن موجودًا قَط. مال جيم على النجمة الخماسيَّة ليرى الصورة التي تفحَّمت وقد اختفت العصابة.

وفي الشارع كانت هناك أصوات، خافتة في البداية ثم بدأت تعلو وتقترب. نظر جيم من النافذة ليرى الفورد تدنو، فجلس في مكانه منتظرًا إن كانت ستدخل المرأب أم تمرُّ به وتمضي.

ولم تمضِ لحظات حتّى توقَّفت السيَّارة في المرأب.

https://jadidpdf.com

خطوات أقدامٍ على السلالم، وصدى.

ضحكة روبرت لوسون المرتفعة، ثم أحدهم يقول: «ششش!»، ثم ضحكة لوسون من جديد. اقتربت الخطوات أكثر وفقدت صداها، ثم فُتح الباب الزجاجي عند قمة السلالم بعُنف.

«يووهووو! نورمييي!».

صوت ديفيد جارسيا.

«نورمي، هل أنت هنا؟».

صوت روبرت لوسون، أما فينسنت كوري فلم يتكلَّم.

مع اقترابهم من الغرفة استطاع جيم رؤية ظلالهم. كان فيني أطولهم، ويحمل شيئًا طويلًا في يده. وأخيرًا بلغوا باب الغرفة ووقفوا هناك ليرى ثلاثتهم يحملون السكاكين، وقال فيني بهدوءٍ مقيت: «ها قد جئنا من أجلك يا رجل. إن مؤخِّرتك ملكنا الليلة».

شغَّل جيم الاسطوانة، فوثب جارسيا في مكانه هاتفًا: «ما هذا؟».

كان قطار الخوف يقترب بسرعةٍ ويرجُّ الجدران. لم يعد الصوت قادمًا من السمَّاعات فقط بل من كلِّ مكان، من الجدران ذاتها، هدير قطارٍ ينطلق على قضبانٍ في زمنٍ بعيد ومكانٍ آخر.

قال لوسون: «هذا لا يروقني».

وتقدَّم فيني ملوِّحًا بسكيِّنه وقال: «أعطنا نقودك يا والدي».

https://jadidpdf.com

*لنرحل من هنا.*

لكن ڤيني لم يتردَّد، بل أشار للآخرين بأن يُطوِّقا جيم الذي رأى في عينيه تعبيرًا اعتقد بشدَّة أنه أقرب إلى الراحة.

سأله جارسيا فجأةً: «هلُم أيها الطفل. كم معك من نقود؟».

«أربعة سنتات بالضبط».

وكان هذا صحيحًا.

«كذَّاب!».

*دعوه وشأنه.*

نظر لوسون من وراء كتفه واتَّسعت عيناه. كانت الجدران قد اكتسبت بضبابٍ كثيف، وأخذ عواء القطار يتردَّد بلا نهاية، أما الأضواء القادمة من مرأب السيَّارات فقد استحالت إلى لونٍ أحمر قانٍ، تمامًا كاللافتة النيون التي كانت تعلو شركة المقاولات.

وشيء ما يخرج من قلب النجمة الخماسيَّة، شيء ذو وجه ينتمي لغلامٍ في الثانية عشرة من عمره، غلامٍ ذي قَصة شعرٍ قصيرة.

اندفع جارسيا إلى الأمام ولكم جيم في فمه، لكنه لم يشعر بأيِّ ألم.

كلُّ شيءٍ كان يمضي ببطءٍ قَدَري، وشعر جيم بثقلٍ مباغت بين فخذيه إذ أفرغت مثانته نفسها. نظر إلى أسفل ورأى بُقعة داكنة تنتشر في سرواله.

https://jadidpdf.com

«انظر يا ڤيني، لقد بلَّل نفسه!».

الكلمات ذات رنينٍ ساخر، لكن التعبير على وجه جارسيا تعبير هلعٍ خالص، تعبير دُمية دبَّت فيها الحياة لتجد نفسها معلَّقةً بخيوط لا فكاك منها.

*دعوه وشأنه.*

لم يكن هذا صوت واين، بل صوت الشيء الشرِه الذي استحضره جيم.

جيمي، *اركض! اهرب من هنا!*

ينزلق إلى أسفل متملِّصًا من اليدين اللتين تمسكانه، ويثب بين الساقين كأنه ضفدعة. تلطمه يد على ظهره محاولةً الإمساك به لكنها تفشل.

ينظر إلى وجه ڤيني فيجده نموذجًا للكراهية المجسَّدة وهو يطعن الشيء الذي ليس واين في صدره... ثم يصرخ ويتداعى وجهه، يسودُّ، يتفحَّم، يصبح شيئًا قبيحًا بشعًا.

ثم يتلاشى...

تمرُّ لحظة يحاول فيها الآخران طعن الكيان الفتَّاك، لكن مصيرهما لا يختلف.

وتمدَّد جيم على الأرض يلتقط أنفاسه المتلاحقة.

كان أخوه ينظر إليه.

https://jadidpdf.com

«واين؟».

فيتبدَّل الوجه ويبدو كأنه يذوب، وتصفرُّ العينان، ويمنحه الشيء أخبث ابتسامة رآها في حياته على الإطلاق.

*سوف أعودُ.*

قالها، ثم تلاشى بدوره.

نهض جيم وأغلق جهاز الستريو بيده المشوَّهة، قبل أن يمس بها شفتيه ليجدهما مبلَّلتين بالدماء من جرَّاء لكمة جارسيا. أشعل الأضواء ليجد الغرفة خاليةً تمامًا من سواه، ثم نظر عبر النافذة إلى المرأب ليرى سيَّارته وحدها هناك. كان الهواء في الغرفة ٣٣ مفعمًا برائحةٍ كريهة كأنها رائحة القبور. مسح النجمة الخماسيَّة المرسومة على الأرض وأعاد المكاتب والكراسي إلى أماكنها، وقد بدأ مكان البتر في يديه يوجعه بقسوة. يجب أن يرى طبيبًا بسرعة.

أغلق باب الغرفة وراءه ونزل السلالم بتؤدةٍ واضعًا يديه على صدره، وفي منتصف المسافة توقَّف، والتفت إلى الخلف ليرى شيئًا -ظلًّا ربما أو مجرَّد خيال- يتوارى في الظلام.

وتذكَّر جيم التحذير المكتوب في «استدعاء الشياطين»، والخطر الذي ينطوي عليه ما فعله.

صحيحٌ أنك تستطيع أن تستدعيهم، وتستطيع أن تُكلِّفهم بعملٍ ما، بل وتستطيع أن تصرفهم أيضًا.

لكنهم يعودون أحيانًا...

https://jadidpdf.com

عاد يواصل هبوط السلالم، لكنه لم يستطِع أن يمنع نفسه من أن يتساءَل إن كان الكابوس قد انتهى حقًّا.

---

ستيفن كينج (١٩٤٧- )، مؤلِّف أمريكي يعدُّ أحد أهم كُتَّاب الرعب والخيال العلمي والفانتازيا في العالم، فاز بأكثر من ٥٠ جائزة أدبية، وكتب عددًا من أشهر الروايات في العصر الحديث، مثل «بُرج الظلام» و«كاري» و«البريق»، ويقترب ما نشره من ١٠٠ كتاب، وقد تحوَّل عدد كبير من كتاباته إلى أعمال سينمائية وتليفزيونية.

نُشرت القصَّة للمرَّة الأولى بعنوان «*Sometimes They Come Back*» في مجلة «*Cavalier*» عام ١٩٧٤.

https://jadidpdf.com

# تذكرة اليانصيب

## *أنطون تشيخوف*

كان إيفان ديميتريش رجلًا من الطَّبقة المتوسِّطة، يعيش مع عائلته على دخلٍ سنويٍّ متواضِع، ويشعر بالرِّضا التام عن نصيبه في الحياة. في تلك الليلة جلس إيفان على الأريكة بعد أن تناولَ العشاء وشرعَ في قراءة الجريدة، فقالت له زوجته وهي ترفع الأطباق عن المائدة: «نسيتُ الاطِّلاع على الجريدة اليوم. هل نشروا أرقام التذاكر الفائزة؟».

قال إيفان: «نعم. لكن ألم تنتهِ مدَّة تذكرتكِ أصلًا؟».

- «نعم، لقد اشتريتها يوم الثلاثاء».

- «ما الرقم؟».

- «المجموعة ٩٤٩٩، رقم ٢٦».

- «حسن، لنرَ... ٩٤٩٩ و٢٦».

لم يكن إيفان ديميتريش يؤمن بحظِّ اليانصيب، وكقاعدةٍ يتَّبعها دائمًا لم يكن ليفكِّر في تفقُّد أرقام التذاكر الفائزة أصلًا، لولا

https://jadidpdf.com

أنه لم يكن لديه شيء آخر يفعله الآن، وأن الجريدة بين يديه بالفعل. هكذا مرَّر إصبعه إلى أسفل على عمود الأرقام... وكأن الأقدار في تلك اللحظة كانت تسخر من تشاؤمه وتشكُّكه، وجد الرقم ٩٤٩٩ ينتظره في الصَّف الثاني!

لم يُصدِّق إيڤان عينيه، فترك الجريدة تسقط في حِجره دون أن يحاول النظر إلى رقم التذكرة الفائزة. شعر إيڤان كأن أحدًا أفرغ على رأسه دلوًا من الماء البارد، وبقشعريرة تسري في فم معدته، قشعريرة واخزة شديدة، وحُلوة!

بصوتٍ مبحوحٍ قال: «ماشا، الرقم ٩٤٩٩ هنا!».

رفعت زوجته عينيها إلى وجهه المذهول، فأدركت أنه لا يمزح، وسقط منها مفرش المائدة المطوي وهي تسأله بملامح شاحبة: «٩٤٩٩؟ متأكِّد؟».

- «نعم، نعم... إنه هنا حقًّا».

- «ورقم التذكرة؟».

- «نعم! ها هو رقم التذكرة أيضًا. لكن... مهلًا... لا، لا أدري! لكن رقم المجموعة موجود. هل تفهمين ما...».

منح إيڤان زوجته ابتسامة بلهاء واسعة، كطفلٍ تتدلَّى أمامه ميدالية مفاتيح لامعة، وبادلته زوجته الابتسام بدورها، إذ كانت هي أيضًا تشعر بالسُّرور لمجرَّد أنه ذكرَ رقم المجموعة فقط دون أن يحاول معرفة رقم التذكرة الرابحة.

https://jadidpdf.com

عندما تُعذِّب نفسك وتُشهّيها بأحلام الثروة المحتمَلة التي ستنزل عليك، فإنك تجد نوعًا غير مألوفٍ من الإثارة يُفعِمك.

ثم قال إيڤان بعد صمتٍ طال: «إنها مجموعتنا لا شك، لذا فهناك احتمال أننا فزنا فعلًا. إنه مجرَّد احتمال، لكنه أكثر من لا شيء».

- «انظر إذن!».

- «تمهَّلي. لدينا الكثير من الوقت لنصاب بالإحباط. الرقم موجود في الصَّف الثاني من أعلى، أي أن الجائزة خمسة وسبعون ألفًا. هذه ليست مجرَّد نقود، بل سُلطة، رأس مال! بعد قليل سألقي نظرةً على القائمة، وهناك سأجده... رقم ٢٦! هه؟ لكن ماذا لو فزنا حقًّا؟».

بدأ الزوج وزوجته يضحكان وكلاهما يَرمُق الآخر بصمت. لقد أربكهما احتمال الفوز. لم يستطع أحدهما أن يقول -أو يحلم حتّى- فيم سيُنفق الخمسة وسبعين ألفًا، ما الذي سيشتريه بها، إلى أين سيذهب. كلاهما فكَّر فقط في الرقمين ٩٤٩٩ و٧٥٠٠٠ متصوِّرًا إياهما في خياله، ولو أنهما لم يستطيعا بشكلٍ ما التفكير في السعادة التي باتت ممكنة الآن.

أخذ إيڤان ديميتريش يذرع الغرفة من ركنٍ إلى ركنٍ حاملًا الجريدة في يده، ثم إنه بدأ يحلم قليلًا بعد أن تعافى من الصدمة الأولى. وأخيرًا تكلَّم وقال: «إذا فزنا حقًّا فستختلف الحياة تمامًا. سيكون تحوُّلًا بكلِّ معنى للكلمة! التذكرة ملككِ أنتِ، لكن لو كانت ملكي، فأول ما سأفعله بالطبع هو أن أنفق خمسة وعشرين ألفًا

https://jadidpdf.com

على مِلْك حقيقي، عزبة مثلًا. ثم أنفق عشرة آلاف على المصروفات الضروريَّة: أثاث جديد وسفر ورحلات وتسديد الديون وما إلى ذلك، أما الباقي فيوضع في البنك ونعيش من فائدته».

قالت زوجته وهي تجلس واضعةً يديها في حِجرها: «نعم، عزبة. سيكون هذا جميلًا».

- «عزبة في مكانٍ ما في تولا أو أوريول. لن نحتاج هناك إلى ڤيلا نقضي فيها الصيف، كما أن العزبة ستدرُّ علينا دخلًا كذلك».

وتزاحمت الصُّور في مخيِّلته، كلُّ صورةٍ منها باسمة واعدة أكثر من سابقتها. في كلِّ هذه الصُّور رأى إيڤان نفسه يأكل حتّى يشبع، هادئًا، مفعمًا بالصحَّة، شاعرًا بالدِّفء، بل بالحرارة! هناك، بعد أن يحتسي حساءً صيفيًّا باردًا كالثَّلج، سيستلقي على الرمال الساخنة بالقُرب من نهيرٍ صغير، أو في الحديقة تحت شجرة ليمون. الجو ساخن، وابنه وابنته يلعبان على مقربةٍ منه، يحفران في الرمل أو يطاردان الخنافس المرقَّطة بين الحشائش. يغيب في غفوةٍ لذيذة دون أن يُفكِّر في شيءٍ أو يشعر بالحاجة إلى الذهاب إلى العمل اليوم أو غدًا أو بعد غد. إذا سئم الاستلقاء فسيذهب للتمشية في حقل القَش، أو قطف حبَّات الفِطر في الغابة، أو مشاهَدة الفلاحين يصطادون الأسماك. عندما تغرب الشمس سيمشي الهوينى إلى سقيفة الاستحمام، حيث سيخلع ملابسه دون أن يخشى عينًا فضوليَّة، ثم يُمسِّد صدره العاري بيديه قبل أن ينزل إلى حوض الاستحمام. في الماء، بالقُرب من دوائر الصابون، تتقافز الأسماك

https://jadidpdf.com

الصغيرة هنا وهناك، وتومئ الطحالب له محييةً، وبعد الاستحمام سيجد قدحًا ساخنًا من الشاي بالحليب وفطائر القشدة الطّازجة في انتظاره، وعندما يأتي المساء سيتبادل الزيارات مع الجيران.

- «نعم، سيكون من الجميل أن نشتري عزبة»، قالت زوجته التي كانت تحلم بدورها، وقد نضحت ملامحها بالأفكار الخلابة التي تراودها الآن.

تخيَّل إيفان الخريف وأمطاره ولياليه الباردة، وتخيَّل الصيف في سانت مارتن. في هذا الفصل سيقضي وقتًا أطول في التمشية في الحديقة وعلى ضفَّة النهر، ثم يجرع كأسًا كبيرة من الفودكا، يتبعها بحبَّةٍ من الفِطر المملَّح أو الخيار المخلَّل، ثم كأسٍ أخرى. سيأتي الطفلان جريًا من حديقة المطبخ الصغيرة يحملان ثمار الجزر أو اللفت ذات رائحة التُّربة الطازجة، وبعدها سيتمدَّد على الأريكة متصفِّحًا واحدةً من المجلات المصوَّرة، أو يُغطِّي وجهه بها ويستسلم لنومٍ عميق.

لكن صيف سانت مارتن يتبعه شتاء كئيب لا تكفُّ فيه الأمطار عن الهطول ليل نهار، شتاء تبكي فيه الأشجار العارية وتعوي فيه الريح الباردة. ستبتلُّ الكلاب والجياد والدواجن وتشعر بالبؤس. ليس هناك مكان يمكنه أن يتمشَّى فيه دون أن يُلوِّثه الوحل، ولا يمكنه الخروج من البيت طيلة أيام. سوف يظلُّ في الغرفة وراء النافذة متطلِّعًا إلى الجو الغائم بالخارج، فيا للكآبة!

كفَّ إيفان عن الأحلام، وتطلَّع إلى زوجته مغمغمًا: «يجب أن أغادر البلاد يا ماشا».

https://jadidpdf.com

ثم بدأ يُفكِّر كم سيكون من الرائع أن يرتحل في أواخر الخريف إلى مكانٍ آخر؛ جنوب فرنسا... إيطاليا... الهند...

قالت زوجته: «يجب أن أغادر البلاد معك إذن. لكن انظر إلى الرقم».

- «انتظري! انتظري!».

أخذ يتحرَّك في الغرفة من جديد مفكِّرًا. ماذا لو غادرت زوجته البلاد معه فعلًا؟ لكن من الجميل أن يسافر وحده، أليس كذلك؟ لا في صحبة امرأة لا تفعل شيئًا إلا الثرثرة عن أطفالها طوال الطريق، ثم تتنهَّد وترتجف مع كلِّ مليمٍ يُنفقه. تخيَّل إيفان ديميتريش زوجته في عربة القطار حاملةً أطنانًا من اللفائف والسِّلال والحقائب. لا بد أنها ستجد شيئًا تشكو منه طيلة الوقت. ستشكو من حركة القطار التي أصابتها بالصُّداع، أو من أنها أنفقت نقودًا أكثر من اللازم. في كلِّ محطَّةٍ يتوقَّف فيها القطار سيهرع لإحضار الماء الساخن والخبز والزبدة، وسترفض هي تناوُل العشاء لأن ثمنه سيكون غاليًا في رأيها.

- «ستُوبِّخني على كلِّ مليمٍ أنفقه!».

ورمق زوجته قائلًا لنفسه: «تذكرة اليانصيب ملكها وليست ملكي أنا. لكن ما الفائدة من مغادرتها البلاد أصلًا؟ ما الذي ستجده في الخارج؟ ستجلس في الفندق طوال اليوم ولن تدعني أغيب عن نظرها. هذا مؤكَّد!».

وللمرَّة الأولى في حياته بدأ يُدرك أن زوجته صارت عجوزًا

https://jadidpdf.com

قبيحة، وأنها مُشبَّعة حتّى النخاع برائحة الطبيخ، بينما لا يزال هو شابًّا قويًا في كامل صحَّته ويستطيع أن يتزوَّج أخرى.

- «بالطبع كلُّ هذا مجرَّد كلام فارغ... لكن لماذا تغادر هي البلاد فعلًا؟ ما الذي ستستفيد به؟ لكنها ستفعلها على كلِّ حال، فكلُّ الأماكن متساوية عندها، سواء أكانت نيس أم ناپولي. إنها لن تفعل شيئًا إلا أن تعوقني، وستجعلني أعتمدُ عليها في كلِّ شيء. ستُخفي النقود بمجرَّد أن تحصل عليها، وستعتني بذويها خير عناية وتلومني إذا أنفقتُ مليمًا واحدًا».

وبدأ إيڤان ديميتريش يُفكِّر في ذوي زوجته، في كلِّ هؤلاء الإخوة والأخوات والأقارب الحقراء الذين سيحتشدون حولها كالذُّباب فور أن يبلغهم خبر فوزها باليانصيب. سيأتون شاكين متباكين كالشحَّاذين، يتملَّقونها بابتساماتهم اللزجة. الأوغاد! وإذا أعطياهم شيئًا فسيطلبون المزيد طبعًا، وإذا رفضا إعطاءهم فسيشرعون في صبِّ السباب واللعنات عليهما.

ثم فكَّر إيڤان في ذويه، هؤلاء الذين لم يعرهم كثيرًا من الاهتمام في الماضي، فبدت وجوههم له الآن قبيحة كريهة.

- «الأفاعي!».

والآن بدا وجه زوجته له أيضًا قبيحًا كريهًا، وشعر بالغضب يشتعل في قلبه نحوها، وقال لنفسه: «إنها لا تعرف شيئًا عن المال، كما أنها بخيلة أصلًا. حتّى إذا فازت فلن تُعطيني إلا أقلَّ القليل، ثم تخبئ الباقي تحت الأرض».

https://jadidpdf.com

لم يعد ينظر إلى زوجته مبتسمًا، بل باتت نظراته محمَّلةً بالكراهية، وكانت ترمقه بدورها بالنظرات ذاتها. هي أيضًا كانت غائبة في أحلام اليقظة والخطط والتأمُّلات، وتعرف تمامًا ما يُفكِّر فيه زوجها، تعرف أنه سيكون أول من يحاول الاستحواذ على النقود. عيناها تقولان بوضوح إن من السهل جدًّا أن تستغرق في أحلام اليقظة على حساب الآخرين، لكن إياك أن تجرؤ على الدنوِّ من مالي!

وفهم إيڤان مغزى نظراتها، وبدأ الغضب يتحرَّك في صدره مرَّة أخرى، فقرَّر أن ينظر إلى رقم التذكرة الرابحة، و... بنبرةٍ عاليةٍ ظافرة قال: «المجموعة ٩٤٩٩، الرقم ٤٦، لا ٢٦!».

في لحظةٍ اختفت الكراهية والأمل، وفي لحظةٍ أدرك الاثنان أن هذا البيت مظلم جدًّا، صغير جدًّا، بارد جدًّا، أن العشاء الذي تناولاه منذ قليل لا يمنحهما أيَّ تغذيةٍ، وإنما يُثقِل معدتيهما لا أكثر، أن لياليهما طويلة متعِبة...

بتعاسةٍ قال إيڤان: «وما الفائدة؟ أينما خطوتُ أجدُ تحت قدمَي ورقًا ممزَّقًا وغبارًا وقِشرًا. هل تكنسين هذه الأرض؟ يجب أن أخرج من هنا. لتحلَّ اللعنة بروحي! سأذهبُ وأشنقُ نفسي من أقرب شجرة!».

---

أنطون تشيخوف (١٨٦٠-١٩٠٤)، كاتب روسي يعدُّ من أعظم من كتبوا القصة القصيرة والمسرحية في التاريخ، له أعمال شهيرة عديدة منها «وفاة موظَّف» و«الأخوات الثلاث» و«الصيادون»، وفاز بجائزة پوشكين.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Выигрышный билет*» عام ١٨٨٧، والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية المعتمدة لكونستانس جارنت.

https://jadidpdf.com

# الأطلال المستديرة

## *خورخي لويس بورخيس*

لم يره أحد يترجَّل في ظلام اللَّيل الدَّامس، ولم يلحظ أحد القارب الصغير المصنوع من الخيزران يغوص في الوحل المقدَّس، لكن لم تمضِ أيام قلائل حتّى لم يَعُد هناك من يجهل أن الرجل الصَّموت قد جاء من الجنوب، وأن وطنه واحد من تلك القُرى التي لا تُحصى الواقعة عكس اتِّجاه مجرى النَّهر في جانب الجبل ذي الصُّدوع العميقة، ذلك المكان الذي لم تتلوَّث فيه لُغة الزِّند القديمة باليونانيَّة، وحيث يَندُر أن يُصاب أحد بالجُذام.

المؤكَّد أن الرجل الأشيب طبعَ قُبلةً على الوحل، ثم صعدَ الضفَّة مزيحًا -دون أن يشعر غالبًا- أوراق الحشائش الحادَّة التي تُمزِّق لحمه، وزحفَ والدِّماء تُلطِّخه والغثيان يُداهِمه إلى السِّياج الدَّائري المتوَّج بنمرٍ أو حصانٍ من الحجر، الذي أحيانًا ما يكتسي بلون اللَّهب، أمَّا الآن فلونه كالرَّماد. كانت الدائرة معبدًا التهمَته حرائق قديمة، ودنَّسته الآن الغابة ذات الأبخرة الزَّنِخة، ولم يعد إلهه يتلقَّى فروض الطَّاعة من البشر. مدَّد الغريب جسده تحت قاعدة

https://jadidpdf.com

التِّمثال، وأيقظَته أشعَّة الشَّمس التي بلغَت عنان السَّماء. لم يشعر بالدَّهشة لمَّا وجدَ جروحه شُفِيَت، ثم إنه أغلقَ عينيه الشَّاحبتين وغابَ في النوم؛ ليس بدافع الشعور بالضعف الذي سرى في بدنه، بل بكامل إرادته.

كان يعرف أن هذا المعبد هو المكان المطلوب لتحقيق هدفه الذي لا تواني فيه، وأن الأشجار التي ما برحت تنمو لم تنجح في خنق أطلال معبدٍ ملائم آخَر في اتجاه مجرى النَّهر كان ينتمي ذات يوم لآلهةٍ احترقَت وماتَت، وكان يعرف أن واجبه الفوري الآن أن يَحلُم. قُرب منتصَف الليل استيقظَ الرجل على إثر صراخ طائرٍ مزعج، ولفتَ وجود آثار أقدامٍ حافية وبضع ثمارٍ من التِّين وإبريقٍ انتباهه إلى أن سُكَّان هذه الأنحاء يتلصَّصون عليه في نومه محترمين ألَّا يدنوا منه، إمَّا التماسًا لحمايته وإمَّا خوفًا من سِحره. سرَت في جسده قشعريرة الخوف، فبحثَ عن كوَّة دفنٍ في الجِدار المتهدِّم حيث أخفى نفسه وسط أوراق نباتاتٍ لا يعرف كنهها.

لم يكن الهدف الذي قادَه إلى هنا مستحيلًا، وإن كان خارِقًا للطَّبيعة. كان يريد أن يَحلُم برجل، أن يَحلُم به بأدقِّ تفاصيله ويُخرِجه إلى عالم الواقع. استنزفَ هذا المشروع السِّحري قواه العقليَّة عن آخِرها، فإذا طلبَ منه أحدهم أن يُخبِره باسمه أو يحكي له عن مناسبةٍ ما من حياته السَّابقة فما كان ليُحير جوابًا. هذا المعبد المتداعي المقفر يُناسِبه تمامًا، إذ يضمُّ الحدَّ الأدنى من العالم المرئي، كما أن قُرب العاملين من ساكني المنطقة ناسبَه بدوره، لأنهم أخذوا على عاتقهم تولِّي احتياجاته القليلة.

https://jadidpdf.com

في البدء كانت الفوضى ضاربة أطنابها في أحلامه، على أن وقتًا طويلًا لم يمضِ قبل أن تصير الأحلام أكثر منطقيَّة. رأى الغريب في منامه أنه يقف في مركز مسرحٍ مدرَّجٍ هو المعبد المحترِق نفسه بشكلٍ أو آخَر، في حين تمتلئ صفوف المقاعد بحشودٍ من التلامذة قليلي الكلام، وقد عُلِّقَت وجوه أبعدهم على مسافةٍ بلغَت قرونًا عديدة وعلى ارتفاعٍ هائلٍ كالنجوم، لكن ملامحهم واضحة تمامًا.

ألقى الرجل على تلامذته محاضراتٍ عن التَّشريح وأوصاف الكون والسِّحر، وأصغَت الوجوه إليه بلهفةٍ وحاولَت الإجابة عن أسئلته عن فهم، كأن أصحابها خمَّنوا أهميَّة ذلك الامتحان الذي يعني انعتاق واحدٍ منهم من حالة الوهْم الفارغ الذي يعيشه، وانبثاقه في قلب العالم الحقيقي. في صحوه ونومه فكَّر الرجل في إجابات أطيافه، ولم يسمح لنفسه بأن يقعَ ضحيَّةً لخدع المحتالين، وفي نَواحٍ متشابكةٍ بعينها أحسَّ بذكاءٍ متنامٍ. كان يبحث عن نفسٍ جديرة بأن تكون جزءًا من الكون.

بعد تسع أو عشر ليالٍ بدأ الرجل يُدرِك -بشعورٍ لا شكَّ فيه من المرارة- أنه لا يستطيع أن يتوقَّع شيئًا من التلامذة الذين تقبَّلوا تعاليمه باستسلام، وإن كان يُمكنه أن يتوقَّع شيئًا ما من الذين جرأوا على معارَضته بين الحين والآخَر. المجموعة الأولى -وإن كانت تستحقُّ الحُب والعاطفة- لم تستطِع أن ترتقي إلى مستوى الفرد، فيما استبقَتها المجموعة الثانية إلى درجةٍ أعلى بعض الشيء. ثم جاءت ظهيرة (وقد صارَ يُكرِّس الظَّهيرة أيضًا للنَّوم، فلم يعد

https://jadidpdf.com

يصحو إلَّا ساعتين في الفجر) صرفَ فيها مجموعة التلامذة الكبيرة تمامًا وأبقى على واحدٍ منهم فقط. كان صبيًّا شاحبًا صموتًا، عنيدًا في بعض الأحيان، ملامحه تُشبِه ملامح الحالم به. لم تُربِكه عمليَّة استبعاد زملائه القاسية طويلًا، وبعد عددٍ قليلٍ من الدُّروس الخصوصيَّة كان تقدُّمه كفيلًا بإثارة دهشة المعلِّم.

على أن نكبةً ما وقعَت، ففي أحد الأيام أفاقَ الرجل من نومه كأنه خرجَ من صحراء لزجة، وتطلَّع إلى ضوء الظَّهيرة عديم الفائدة الذي حسبه ضوء الفجر في البداية، وأدركَ أنه لم يَحلُم. طيلة تلك الليلة وطوال اليوم وأرقٌ لا يُحتمَل يُثقِله. حاولَ استكشاف الغابة كي يستنزف قواه، وبين أفرُع نبات الشوكران استطاع بالكاد أن ينجَح في اختطاف بضع سِناتٍ من النَّوم تخلَّلتها رؤى بدائيَّة لا قيمة لها على الإطلاق. حاولَ استدعاء مجموعة التلامذة إلى مخيِّلته، لكنه لم يكد يلفظ بعض كلمات النَّصيحة حتّى تشوَّهت الصُّورة أمامه ثم انمحَت. في يقظته شِبه الدَّائمة حرقَت دموع الغضب مُقلتيه.

استوعبَ الرجل أن تجسيد المادَّة المتقلِّبة المفكَّكة التي تتألَّف منها الأحلام هو أشقُّ مهمَّةٍ يُمكن أن يتولَّاها إنسان، حتّى إذا كانت باستطاعته إماطة اللِّثام عن جميع غوامض كياناتٍ أعلى وأدنى، أشقُّ كثيرًا من أن ينسج حبلًا من الرِّمال أو يصوغ الرِّيح عديمة الملامح.

أقسمَ الرجل أن ينسى الهلوسة الهائلة التي أحادَته عن طريقه

https://jadidpdf.com

في البداية، وسعى إلى العمل بأسلوبٍ آخَر. لكن قبل أن يضعَ هذا الأسلوب موضع التَّنفيذ قضى الرجل شهرًا استعادَ فيه قواه التي بدَّدها هذيانه. هكذا هجرَ مسألةَ أن يَحلُم عن عمدٍ وبدأ ينام عدد ساعاتٍ معقولًا كلَّ يوم، ولم يُلقِ بالًا للأحلام القليلات التي راودَته في تلك الفترة. انتظرَ قبل استئناف مهمَّته أن يصير القمر قُرصًا مكتملًا، ثم إنه كان يُطهِّر نفسه وقت الظَّهيرة في مياه النَّهر، ويَعبُد الآلهة الأرضيَّة لافظًا مقاطع موصوفةً لاسمٍ عظيم، ويَخلُد إلى النوم فيغيب في عالم الأحلام في الحال تقريبًا وقلبه يدقُّ بقوَّة.

وفي الحُلم رأى الكيان دافئًا مبهمًا، يقترب حجمه من حجم قبضةٍ مضمومة، لون جسده البشري الظَّليل كالعقيق الأحمر، وإن كان بلا وجهٍ أو جنسٍ بعد، وطوال أربع عشرة ليلةٍ حلمَ به بحُبٍّ موَسوَس. في كلِّ ليلةٍ يراه بوضوحٍ أكبر، وإن لم يمسَّه، بل سمحَ لنفسه فقط بأن يَرمُقه، يُراقِبه، ومن حينٍ إلى آخَر يُقوِّمه بنظرة. تطلَّع إليه وعاشَ تفاصيله من كلِّ الزوايا والمسافات، وفي الليلة الرابعة عشرة مدَّ إبهامه وبخفَّةٍ مسَّ الشريان الرئوي، ثم القلب كله من الخارج والداخل، وأشعرَه الفحص الذي أجراه بالرِّضا. عن قصدٍ لم يَحلُم لمدَّة ليلة، ثم إنه أخذَ القلب من جديد واستحضرَ اسم كوكب، وشرعَ في تصوُّر عضوٍ حيويٍّ آخَر. بعد مرور عام كان قد بلغَ الهيكل العظمي وجفني العينين، أمَّا الشَّعر الذي لا يُحصى فكان أصعب جزءٍ على الإطلاق. لقد حلمَ برجلٍ كامل، بشابٍّ لا يتحرَّك أو يتكلَّم، بل غير قادرٍ حتّى على أن يفتح عينيه. ليلةً بعد ليلةٍ كان الرجل يَحلُم به في منامه.

https://jadidpdf.com

في نظريَّات نشأة الكون الغنوصيَّة يخلق خالق الكون المادي آدم أحمرَ لا يستطيع الوقوف، وكهذا الآدم البدائي الأخرق البسيط المخلوق من التُّراب كان آدم السَّاحر الذي خُلِقَ من أحلام الليل. جاءت ظهيرة كادَ الرجل يُدمِّر فيها عمله كله، لكنه عدلَ عن قراره (وقد كان من الأفضل لو أنه دمَّره). عندما استنفد جميع توسُّلاته لآلهة الأرض، ألقى نفسه عند قدمي التمثال الذي يُصَوِّر نمرًا ربما أو مُهرًا واستجدى منه مساعدةً لا يدري ماذا تكون.

وفي ذلك المساء، عند الغسق، حلمَ بالتِّمثال، حلمَ أنه حيٌّ، أنه يرتجف. لم يكن مسخًا هجينًا من نمرٍ ومُهر، بل كان هذين الكائنين الضاريين في آنٍ واحد، وكذلك ثورًا ووردةً وعاصفةً. أفصحَ له هذا الإله عديد الوجوه أن اسمه الأرضي هو «النَّار»، وأن في هذا المعبد الدَّائري (وفي معابد أخرى مثله) كان الناس يُقدِّمون له القرابين ويعبدونه، وأنه بسِحره سيبثُّ الحياة في الطَّيف القادم من الأحلام، بشكلٍ سيجعل الجميع -باستثناء «النَّار» والحالم فقط- يتصوَّرون أنه رجل من لحمٍ ودم. ثم إنه أمرَ أنه بمجرَّد أن يتعلَّم هذا الرجل جميع الشَّعائر، فيجب إرساله إلى أطلال المعبد الآخَر الذي لا تزال أهراماته ترتفع في اتجاه مجرى النَّهر، كي يكون هناك صوت ما يُمجِّده في الصَّرح المهجور... وفي حُلم الرجل الحالم استيقظَ من كان يحلُم به.

نفَّذ السَّاحر الأوامر التي أُملِيَت عليه، وكرَّس مدَّةً من الزمن (اتَّضحَ أنها عامان في النهاية) لتعليم الكائن الجديد غوامض الكون

https://jadidpdf.com

وعبادة النَّار. في أعماقه كان يشعر بالألم من فكرة أن ينفصل عنه، فكان يتذرَّع بضرورة تعليم الكائن الجديد ليزيد يومًا بعد يومٍ عدد الساعات التي خصَّصها لأحلامه، كما أنه أعاد تشكيل الكتف اليُمنى التي كانت مشوَّهةً نوعًا. أحيانًا كان يُزعِجه انطباع غامض ما بأن كلَّ هذا قد حدثَ من قبل بالفعل، لكن بشكلٍ عام كانت أيامه سعيدة، وحين يُغلِق عينيه يُفكِّر: «الآن سأصيرُ مع ابني»، وفي أحيانٍ أخرى نادرة: «الابن الذي أنشأته ينتظرني، ولن يكون له وجود إذا لم أذهب إليه».

تدريجيًا بدأ يُعوِّده على عالم الواقع، وفي مرَّةٍ أمره بأن يضع رايةً على قمَّةٍ بعيدة، وفي اليوم التالي رأى الرَّاية تُرفرِف فوق القمَّة. أجرى الرجل تجارب أخرى مشابهة أكثر جرأةً من سابقتها في كلِّ مرَّة، ثم بمرارةٍ لا شكَّ فيها أدركَ أن ابنه صارَ مستعدًّا لأن يولَد، بل وربما يكاد لا يطيق صبرًا. في تلك الليلة لثمه للمرَّة الأولى وأرسله إلى المعبد الآخَر الذي تستحيل أطلاله إلى اللون الأبيض في اتجاه مجرى النَّهر، عبر أميالٍ كثيرةٍ من الغابات المتشابكة والمستنقعات، ولكن قبل أن يفعل هذا (لئلَّا يعرف ابنه أبدًا أنه كان من قبل طيفًا، وكي يعدَّ نفسه دومًا رجلًا كأيِّ رجلٍ آخَر) دمَّر فيه كلَّ ذكرى للمدَّة التي قضاها في التدريب.

نغَّص الملل عليه انتصاره وسلامه، وفي حُمرة أفق الغسق والفجر ينبطح أمام التِّمثال الحجري، ولعلَّه كان يتخيَّل ابنه يُمارِس طقوسًا مماثلةً في أطلال مستديرة أخرى في اتجاه مجرى النَّهر، أمَّا في

https://jadidpdf.com

الليل فلم يعد يَحلُم، أو أنه يَحلُم كأيٍّ بشريٍّ آخَر الآن. باتَ إدراكه لأصوات وأشكال الموجودات مشوَّشًا بعض الشيء. كان ابنه يتغذَّى الآن على نقائص الروح هذه. لقد اكتملَ الغرض من حياته، وهكذا ظلَّ الرجل في حالة وَجْدٍ دائمة.

بعد مضي فترةٍ ما، يُفضِّل بعض التواريخ حسابها بالسِّنين والبعض الآخَر بالعقود، أيقظَه بحَّاران عند منتصف الليل. لم يرَ وجهيهما، لكنهما حدَّثاه عن رجلٍ مسحور في معبد الشَّمال، رجلٍ يقدر على المشي على النَّار دون أن يحترق. تذكَّر السَّاحر كلمات الإله بغتةً، وتذكَّر أن من بين جميع الكائنات الأخرى التي تُعمِّر الأرض كان «النَّار» وحده عليمًا بحقيقة أن ابنه طيف. تلك الذِّكرى التي هدَّأته في البداية أمسَت عذابًا له في آخِر الأمر، وانتابه الخوف من أن يتأمَّل ابنه في هذه القُدرة غير الطبيعيَّة التي يتمتَّع بها، وبوسيلةٍ ما يُدرِك أنه كان محض صورةٍ زائفةٍ من قبل؛ ليس رجلًا حقيقيًّا، بل تجسُّدًا لأحلام رجلٍ آخَر... ويا لها من إهانةٍ لا توصَف، يا له من جنون! أيُّ أب يهتمُّ بالأطفال الذين أنجبهم (أو سمحَ بوجودهم) بدافع الحيرة التي تُصاحِب سعادته، فمن الطبيعي أن يخاف السَّاحر على مستقبل ذلك الابن الذي كوَّن ملامحه كلها في خياله حتَّى النُّخاع طوال ألف ليلةٍ وليلة محفوفةٍ بالغموض.

انقطعَت هواجسه فجأةً، لكن ليس دون سابِق إنذار. أولًا -بعد فترة جفافٍ طويلة- ظهرَت سحابة بعيدة خفيفة كطائرٍ فوق تَل، ثم اكتسَت السَّماء نحو الجنوب بلون لثة المجذوم الوردي، ثم

https://jadidpdf.com

جاءت سُحُبٌ من الدخان أصابت معدن اللَّيل بالصَّدأ، وبعدها كان هروب الحيوانات البرِّية الهَلِعة.

الذي حدثَ منذ قرونٍ عدَّة يُكرِّر نفسه الآن. أطلال حرم إله النَّار دمَّرتها النَّار، وفي فجرٍ بلا طيورٍ رأى السَّاحر النِّيران واحدة المركز تنشب في الجدران، وللحظةٍ فكَّر أن يجد لنفسه ملاذًا في مياه النَّهر، لكنه أدركَ أن الموت مقبل ليُتوِّج شيخوخته المديدة ويُعفيه من واجباته. هكذا عمدَ إلى ألسنة اللَّهب التي لم تأكُل لحمه، بل لاطفَته وغمرَته دون حرارةٍ أو حرق... وبراحةٍ، بمذلَّةٍ، برُعبٍ أدركَ أنه بدوره ليس إلَّا وهْمًا، أن أحدًا آخَر يَحلُم به.

---

خورخي لويس بورخيس (١٨٩٩-١٩٨٦)، كاتب وشاعر ومترجم أرجنتيني من أبرز رواد الأدب المكتوب بالإسبانية، من أهم أعماله «المرايا والمتاهات» و«تقرير برودي» و«كتاب الرمل»، وفاز بعدَّة جوائز أدبية عالمية.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Las ruinas circulares*» في مجلة «*Sur*» عام ١٩٤٠، والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية المعتمدة لپول باولز.

https://jadidpdf.com

# مذكرات حلّاق جناب الفوهرر

## *وودي آلن*

أعتقدُ أن فيضان المكتوب عن الرايخ الثالث، الذي لا يتوقّف أبدًا، سيستمرُّ مع مذكِّرات فريدريك شميد التي من المزمع نشرها قريبًا. كان شميد، وهو أشهر حلاق في ألمانيا في زمن الحرب، يقوم بخدمات الحلاقة لهتلر وغيره من كبار رجال الحكومة والجيش، وكما لوحظ في محاكمات نورمبرج، فإن شميد لم يكن دائمًا في المكان المناسب في الوقت المناسب فحسب، بل كان يملك أيضًا «استعادةً كاملةً» للأحداث كلها، ومن ثم كان مؤهَّلًا تمامًا لكتابة هذا الدليل المفصَّل إلى أعمق أسرار ألمانيا النازية. فيما يلي بعض المقتطفات من مذكِّراته.

في ربيع ١٩٤٠ توقَّفت مرسيدس سوداء كبيرة أمام دكاني، ودخل هتلر قائلًا: «أريدُ تشذيبًا خفيفًا لشعري، ولا تقصَّ الكثير من أعلى الرأس».

قلت له إن عليه أن ينتظر قليلًا لأن ريبنتروب (وزير الخارجية)

https://jadidpdf.com

كان قد جاء قبله، فقال هتلر إنه في عجلة، وطلب من ريبنتروب أن يسبقه، لكنه رفض قائلًا إن هذا سيبدو سيئًا في حق وزارة الخارجية إذا أخذ أحدهم دوره. هكذا أجرى هتلر مكالمة هاتفية، وفي الحال نُقل ريبنتروب إلى القوات الألمانية في إفريقيا، وقصَّ هتلر شعره.

كان هذا النوع من المنافسات يحدث طوال الوقت، فذات مرة أمر جورينج (مؤسِّس الجستاپو) الشرطة بأن تحتجز هايدريتش (قائد الأمن العام) بتهمةٍ ملفَّقة لأنه أراد أن يجلس في الكرسي المجاور للنافذة. كان جورينج منغمسًا تمامًا في الملذات، وكثيرًا ما يجلس ليحلق على حصانٍ خشبي، الشيء الذي دأب على إصابة القيادة النازية العليا بالحرج، وإن لم تستطِع أن تفعل شيئًا حياله. ذات مرةٍ تحدَّاه هِس (نائب هتلر) قائلًا: «أريدُ أن أجلس على الحصان الخشبي يا سيادة الفيلد مارشال».

فقال جورينج بحدَّة: «مستحيل. لقد حجزته».

«إن معي أمرًا مباشرًا من الفوهرر ينصُّ على السماح لي بالجلوس على الحصان الخشبي لأحلق».

وأخرج هِس خطابًا من هتلر يؤكِّد ما قاله، الأمر الذي أصاب جورينج بصدمة فلم يسامح هِس قطُّ، وقال إنه سيجعل زوجته تحلق شعره في البيت من الآن فصاعدًا. ضحك هتلر عندما سمع هذا، لكن جورينج كان جادًّا، وكان ليتمادى أكثر لولا أن رفض وزير الحربية طلبه باستعارة مقص من ترسانة الدولة.

لقد سُئلت إن كنت مدركًا للسقطة الأخلاقية التي تمثَّلت في

https://jadidpdf.com

عملي هذا، ولكن، كما أوضحتُ لهيئة المحكمة في نورمبرج، فإنني كنتُ أجهلُ أن هتلر نازي، والحقيقة أنني اعتقدتُ لسنواتٍ أنه يعمل موظفًا في هيئة الاتصالات، وعندما اكتشفتُ أخيرًا أيُّ وحش آدمي هو، كان الأوان قد فات على فعل أيِّ شيء، لأنني كنتُ قد دفعتُ عربونًا لشراء بعض الأثاث بالفعل.

ذات مرة، قُرب نهاية الحرب، فكَّرتُ في أن أرخي الملاءة الملفوفة حول عنق الفوهرر بعض الشيء كي يسقط القليل من الشعيرات الصغيرة داخل سترته، لكن أعصابي لم تحتمل وتراجعتُ في اللحظة الأخيرة.

في يوم في برختسجادن التفت إليَّ هتلر وقال: «هل سيبدو شكلي جيدًا إذا ربَّيت سوالفي؟».

ضحك شپير (مدير الإنتاج الحربي) من السؤال، وهو ما جعل هتلر يشعر بالإهانة، فعقَّب: «أنا جاد تمامًا أيها الهر شپير، أعتقدُ أن شكلي سيكون أفضل بالسوالف».

اندفع جورينج -ذلك المهرِّج الوضيع- مؤمِّنًا بسرعة: «الفوهرر يربِّي سوالفه، يا لها من فكرة رائعة!».

لكن شپير واصل رفضه، إذ كان في الحقيقة الوحيد الذي يملك ما يكفي من المصداقية مع النفس لأن يقول للفوهرر إنه يحتاج إلى أن يحلق شعره، وقال مفسرًا: «السوالف تُعطي شكلًا مبهرجًا أكثر من اللازم، وأراها تناسب تشرشل أكثر».

شعر هتلر بالسخط، وأراد أن يعرف إن كان تشرشل يُفكِّر في

https://jadidpdf.com

تربية سوالفه، وإن كان سيفعل، فكم سالفًا سيربِّي ومتى؟ هكذا استُدعيَ هملر -الذي يُفترض أنه مسؤول عن الاستخبارات- في الحال، في الوقت الذي شعر فيه جورينج بالضيق من أسلوب شپير، وقال له هامسًا: «لِمَ تثير المتاعب، هه؟ إذا كان يريد تربيه سوالفه اللعينة، فدعه يربيها».

هكذا بدأ شپير، الذي يتحلى عادةً باللباقة، ينعت جورينج بالنفاق وبأنه «طبق من شوربة الفاصوليا يرتدي الزي الألماني». أقسم جورينج أنه سيردُّ الإهانة، وفيما بعد سرت شائعات عن استعانته بقوات العاصفة لتحويل فراش شپير إلى الطراز الفرنسي.

وصل هملر غاضبًا. كان في منتصف درس الرقص الإيقاعي عندما رنَّ الهاتف يستدعيه إلى برختسجادن. كان يخشى أن المسألة تتعلَّق بشحنة من طراطير الحفلات كان قد وعد بها رومل من أجل هجومه الشتوي (ولم يتعوَّد هملر أن يُدعى إلى العشاء في برختسجادن لأن نظره ضعيف، وهتلر لا يحتمل رؤيته وهو يرفع الشوكة فيغرسها في وجهه ويُسقط الطعام على عنقه). خمَّن هملر أن شيئًا ما ليس على ما يرام، لأن هتلر دعاه بـ«القصير»، وهي عادته عندما يكون غاضبًا. وبالفعل، التفت إليه الفوهرر فجأة صائحًا: «هل سيربِّي تشرشل سوالفه؟».

احمرَّ وجه هملر.

- «إذن...؟».

قال هملر إن هناك معلومات بلغته عن نية تشرشل تربية سوالفه،

https://jadidpdf.com

لكنها كلها غير مؤكَّدة، وأضاف أنه بالنسبة إلى الحجم والعدد فعلى الأرجح أنه سيربِّي سالفين فقط بطولٍ متوسط، لكن لا أحد أراد أن يُجبره قبل التأكُّد من المعلومة. صرخ هتلر وضرب المائدة بقبضته (وهو ما كان نصرًا لجورينج على شپير)، ثم بسط خريطة وشرح لنا خطته لقطع وارد مناشف الحلاقة عن إنجلترا بأن يُحاصر دونيتس (قائد البحرية) مضيق الدردنيل.

لكن السؤال الأهم ظلَّ معلقًا: هل يستطيع هتلر تربية سوالفه قبل تشرشل؟

علَّق هملر قائلًا إن تشرشل بدأ قبله بالفعل، وإنه قد يكون مستحيلًا أن يلحق به الفوهرر، لكن جورينج -ذلك الأبله المتفائل- قال إن الفوهرر يستطيع تربية سوالفه أسرع من تشرشل، خصوصًا إذا تم حشد قوة ألمانيا كلها في سبيل تحقيق هذا الهدف. أما روندشتيدت (الذي نجح في القضاء على المقاومة البولندية) فقد قال في اجتماع للقيادة العامة إن من الخطأ محاولة تربية السوالف على جبهتين في آنٍ واحد، وأضاف أن من الحكمة التركيز على تربية سالف واحد على جبهةٍ واحدة، لكن هتلر قال إنه يستطيع تربية سالفيه معًا، في حين اتفق رومل مع روندشتيدت وقال: «لكنهما لن يكونا متساويين يا جناب الفوهرر إذا استعجلت العملية».

أصيب هتلر بالغضب وقال إن هذه المسألة ترجع له هو والحلاق، ووعده شپير بأنه يستطيع مضاعفة إنتاج كريم الحلاقة ثلاث مرات مع حلول الخريف، وهو ما أصاب هتلر بالنشوة.

https://jadidpdf.com

ثم، وفي شتاء ١٩٤٢، أطلق الروس هجومًا مضادًّا أدى إلى إيقاف عملية السوالف، وأصيب هتلر بالاكتئاب خشية أن يبدو تشرشل رائعًا بسوالفه الجديدة فيما يظل هو «عادي المظهر» كما هو. على أن أخبارًا بلغتنا بعد فترةٍ قصيرة تفيد بأن تشرشل تخلى عن فكرة تربية سوالفه لارتفاع تكلفتها الشديدة، ومرة أخرى أثبت الفوهرر أنه على حق.

بعد غزو الحلفاء أصبح شعر الفوهرر جافًّا غير متناسق. كان هذا من ناحيةٍ بسبب نجاح الحلفاء، ومن ناحيةٍ أخرى نتيجة لنصيحة جوبلز الذي قال له أن يغسله كل يوم. لكن عندما سمع الجنرال جودريان هذا عاد على الفور من الجبهة الروسية وقال للفوهرر إنه يجب أن يغسل شعره بالشامبو ثلاث مراتٍ في الأسبوع على الأكثر، فهذه هي الطريقة الناجحة التي اتبعتها القيادة العامة في الحربين السابقتين، إلا أن هتلر -مرة أخرى- لم يُصغ إلى نصيحة جنرالاته وواصل غسل شعره كل يوم. كان بورمان (العضو البارز في الحزب) هو من يساعد هتلر على غسل شعره، ويحمل مشطًا معه دائمًا، وفي النهاية أصبح هتلر معتمدًا على بورمان تمام الاعتماد، وقبل أن ينظر في أي مرآة كان يجعل بورمان ينظر فيها أولًا.

مع تقدُّم جيوش الحلفاء شرقًا ساءت حالة شعر هتلر أكثر فأكثر، وكان كثيرًا ما يقول بثورةٍ إنه سيحلق شعره وذقنه عندما تربح ألمانيا الحرب، بل وربما يُلمِّع حذاءه أيضًا. على أنني أدركُ الآن أنه لم يكن ينوي فعل أيٍّ من هذه الأشياء.

https://jadidpdf.com

ثم جاء يوم سرق فيه هِس زجاجة القازلين الخاصة بالفوهرر واستقلَّ طائرة إلى إنجلترا. أصيبت القيادة الألمانية بالغضب الشديد، وقالوا إن هِس ينوي إعطاء القازلين للحلفاء مقابل العفو العام عنه. هتلر بالذات كان شديد الهياج عندما سمع الخبر، إذ كان قد استحمَّ للتوِّ ويستعدُّ لدهن شعره. قال هِس في نورمبرج في ما بعد إن خطته كانت أن يُدلِّك فروة رأس تشرشل بالقازلين في محاولةٍ لإنهاء الحرب، وكان قد نجح في جعل تشرشل ينحني على الحوض بالفعل عندما وقَفوه.

في أواخر ١٩٤٤ ربَّى جورينج شاربه متسببًا في كثير من الكلام عن نيته حل محل هتلر قريبًا، وكالعادة أصيب هتلر بالغضب واتهم جورينج بالخيانة، وصرخ: «لا بد أن يكون هناك شارب واحد بين قادة الرايخ، وهو شاربي أنا!».

كانت حجة جورينج أن وجود شاربين قد يُعطي الشعب الألماني إحساسًا بالأمل في الحرب التي كانت تسوء كل يومٍ عن سابقه بالنسبة إلى ألمانيا، لكن هتلر أصرَّ على الرفض. ثم، في يناير ١٩٤٥، فشلت الخطة التي وضعها عدد من الجنرالات لحلاقة شارب هتلر وهو نائم وإعلان دونيتس القائد الجديد، عندما حلق شتاوفنبرج -في ظلام غرفة هتلر- أحد حاجبيه بدلًا من الشارب. أُعلنَت حالة الطوارئ، وجاء جوبلز إلى دكاني فجأة قائلًا إنه كانت هناك محاولة لاغتيال شارب الفوهرر لكنها فشلت، ثم رتَّب لي أن أتكلم في الإذاعة وأخاطب الشعب الألماني.

https://jadidpdf.com

- «الفوهرر بخير ولا يزال محتفظًا بشاربه. أكرِّرُ: الفوهرر بخير ولا يزال محتفظًا بشاربه. كانت هناك خطة دنيئة لحلاقته وفشلت».

قُرب النهاية ذهبتُ إلى مخبأ هتلر السري. كان الحلفاء يدنون من برلين، وهتلر يشعر أنه إذا وصل الروس أولًا فإنه قد يضطرُّ إلى حلاقة شعره بالكامل، أما إذا جاء الأمريكان قبلهم فإنهم سيشذبونه فقط على الأرجح. كان الجميع يتشاجرون، ووسط كل هذا قال بورمان إنه يريد أن يحلق ذقنه، ووعدته بأن أبدأ العمل على خطة لهذا.

أصبح هتلر أكثر كآبة وانعزالًا، وكان يتكلَّم عن فصل شعره من الأذن للأذن، وأن الانتهاء من ماكينة الحلاقة الكهربائية قد يجعل ألمانيا تربح الحرب.

- «سنستطيع الحلاقة في غضون ثوانٍ معدودة».

ذكرَ كذلك عددًا من الخطط الكبيرة الأخرى، بل وأضاف أن شعره سيكون مثالًا للفخر النازي ذات يوم. كالعادة كان مهتمًّا أكثر بالحجم، وأقسم أنه ذات يومٍ سيصفِّف شعره على طريقة بومبادور، «وسيرتجف العالم أمامها، ولن يقدر على تصفيف شعري حينها إلا فرقة كاملة من حرس الشرف».

وأخيرًا تصافحنا وشذبت له شعره للمرة الأخيرة.

أعطاني الفوهرر قرشًا واحدًا بقشيشًا، وقال: «ليتني أستطيعُ

https://jadidpdf.com

إعطاءك أكثر، لكن منذ اجتاح الحلفاء أوروبا والنقود معي قليلة».

---

وودي آلن (١٩٣٥- )، مخرج وكاتب وممثّل وكوميديان أمريكي، وله كُتب ساخرة منها «بلا ريش» و«أعراض جانبيّة».

نُشرت القصّة بعنوان «*The Schmeed Memoirs*» في مجلة «*The New Yorker*» عام ١٩٧١.

https://jadidpdf.com

# الهجين

## *فرانتس كافكا*

أملكُ حيوانًا غريبًا غير مألوف، هو نصف قِط ونصف حَمَل، ورثته عن أبي. لم يتخذ تكوينه هذا إلا عندما بدأتُ أعنى به، أما قبلها فكان حَمَلاً أكثر من قِط، والآن صار الاثنين معًا بتساوٍ شبه كامل.

من القِطط أخذ رأسه ومخالبه، ومن الحِملان حجمه وشكله، ومن هذه وتلك العينين البرِّيتين اللامعتين والشعر الناعم والحركة التي تجمع في آنٍ واحد بين التواثب والانسلال. على عتبة النافذة يُكوِّر نفسه تحت أشعة الشمس ويبدأ في القرقرة، وفي الحديقة يهرول كالمجانين بحيث لا يمكنك الإمساك به إلا نادرًا. يهرب من القِطط ويحاول مهاجمة الحِملان، وفي الليالي المقمرة يُفضِّل التنزُّه على الإفريز. لا يموء، ويشمئزُّ من الفئران، وإلى جوار عشَّة الدجاجات يكمن متحفزًا لساعات، لكنه لم يقتل أيًّا منها حتّى الآن.

أسقيه الحليب الذي يبدو أكثر طعامٍ يناسبه، فيمتصُّه من بين أسنانه الطويلة الشبيهة بالأنياب. بالطبع يعدُّ حيواني هذا مصدر

https://jadidpdf.com

تسليةٍ كبيرًا للأطفال، وهكذا تحدَّد صباح كل يوم أحد للزيارة، فأجلسُ واضعًا إياه في حِجري في حين يلتفُّ حولي أطفال الحي كلهم.

ثم يبدأ أغرب الأسئلة طرًّا، الأسئلة التي لا يستطيع إنسان الإجابة عنها: لِمَ لا يوجد إلا حيوان واحد من هذا النوع؟ لِمَ أمتلكه أنا بالذات دون غيري؟ هل كان هناك حيوان آخر مثله من قبل؟ ماذا سيحدث إذا مات؟ هل يشعر بالوحدة؟ لِمَ ليس لديه أطفال؟ ما اسمه؟ وهكذا... عشرات من الأسئلة المشابهة.

لا أتعبُ نفسي أبدًا بمحاولة الإجابة، بل أكتفي بعرض حيواني هذا ممتنعًا عن إعطاء أي تفسير.

أحيانًا يُحضر الأطفال قِططًا معهم، وفي مرةٍ أتوا بحَمَلين كذلك. لكن، وعلى عكس آمالهم، لم يحدث شيء جدير بالمشاهدة. فقط تبادلت الحيوانات النظرات، وبدا كأنها تقبَّلت وجودها كحقيقةٍ إلهية.

عندما يجلس في حجري لا يعرف حيواني خوفًا أو رغبةً في مطاردة غيره، بل يبدو في أسعد حالاته وهو يضغط نفسه إليَّ مستمدًّا الدفء. هو مُخلص للعائلة التي ربَّته، وليس في هذا إخلاص خارج عن المألوف، بل مجرَّد غريزة يتمتَّع بها حيوان لا تربطه قطرة دم واحدة بأي حيوان آخر في العالم، وعليه صارت الرعاية التي وجدها لدينا مقدَّسة.

أحيانًا لا أستطيعُ كتم ضحكاتي وهو يتشمَّم الهواء حولي أو

https://jadidpdf.com

يلفُّ نفسه حول قدمي ويرفض أن يتزحزح بعيدًا عني. يبدو كذلك أن عدم قناعته بكونه قِطًّا وحَمَلاً معًا يجعله يصرُّ على أن يكون كلبًا كذلك. ذات مرة، وكما قد يحدث مع أي أحد، لم أرَ وسيلة للخروج من مشاكل تجارتي وكل ما انطوت عليها، وكنتُ مستعدًّا للتخلي عن كل شيء. في هذا المزاج السيئ كنتُ جالسًا على الكرسي الهزَّاز في غرفتي والحيوان قابعٌ على ركبتي، عندما نظرت إليه نظرة عابرة ووجدت الدموع تتساقط من شواربه الكبيرة.

هل كانت تلك دموعي أم دموعه؟ هل يملك هذا القِط ذو روح الحَمَل طموحًا بشريًا؟ إنني لم أرث الكثير عن أبي، لكن هذا الإرث بالذات غير تقليدي على الإطلاق.

إنه يتمتَّع بضجر كلا الحيوانين -القِطط والحِملان- على الرغم من اختلاف الصفة ذاتها في كلٍّ منهما. أحيانًا يثب ليقف على مسند الكرسي إلى جانبي ويضع ساقيه الأماميتين على كتفي ويُقرِّب وجهه من أذني كأنه يحاول أن يقول لي شيئًا، ثم إنه يدير رأسه بعدها إلى وجهي ليرى الانطباع الذي أحدثته الرسالة التي همس بها لي. وقتها أتظاهرُ بأنني فهمتُ، وأهزُّ رأسي إيجابًا، فيثب إلى الأرض ويرقص حولي بمرح.

لعلَّ في سكين الجزَّار راحة لهذا الحيوان، لكنه إرثي ولا أستطيعُ أن أفعل به ذلك. عليه إذن أن ينتظر إلى أن يغادر آخر أنفاسه جسده، حتّى إذا كان يرمقني أحيانًا بنظراتٍ يلوح فيها الفهم، كأنه يتوسَّل إليَّ أن أفعل الشيء الذي يُفكِّر فيه كلانا.

https://jadidpdf.com

فرانتس كافكا (١٨٨٣-١٩٢٤)، روائي وقصصي تشيكي كتب بالألمانية، ويعدُّ من أهم كُتَّاب القرن العشرين، ومن أبرز أعماله «المحاكمة» و«المسخ» و«القلعة».

نُشرت القصَّة بعنوان «*Eine Kreuzung*» في مجلة «*Beim Bau der Chinesischen Mauer*» عام ١٩٣١، والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية المعتمدة لويلا وإدوين ميور.

https://jadidpdf.com

# مراجعة أمينة لفيلم

## *جسي أيزنبرج*

أقدِّمُ هذا الأسبوع مراجعتي لفيلم «لوحات كول»، الذي لم يُعجبني لأن العرض الخاص للصحافيِّين كان مقامًا في مكانٍ بعيد في أقصى المدينة، كما أن حركة قطارات المترو تعرَّضت لتأخيراتٍ طويلة.

الفيلم من تأليف وإخراج ستيفن كِرن الذي يلعب أيضًا دور البطولة، ويحكي قصَّة شاب اسمه كول مكلَّف بالقضاء على المافيا الإيطاليَّة. يستخدم كول لوحاته في نقل رسائل سريَّة إلى الشرطة، وهو ما يثير حنقي لأني كتبتُ خلال دراستي العُليا قصَّة قصيرة عن الفكرة نفسها بالضبط، وقد رسبتُ في مادَّة الدراسات العُليا، وها هي ذي الأقاويل تُثار من الآن حول ترشيح فيلم المستر كِرن للأوسكار. هل من عدالة؟ ليس في هذا العالم.

قبل بدء الفيلم ابتسمَت لي فتاة ستوديو الإنتاج التي رتَّبت العرض وشكرتني على حضوري. أخبرتني باسمها، لكني لم أكن منتبهًا لأنني كنتُ أحاولُ أن أقرِّر إن كان النوم معها سيعدُّ تضاربًا

https://jadidpdf.com

للمصالح أم لا. أظنُّ أن اسمها يبدأ بحرف «ر». أهو ريبيكا؟ ريتشل؟ أم أنه واحد من تلك الأسماء الغريبة، مثل ريبا؟ أما زالت هناك نساء اسمهنَّ ريبا؟

يُرينا الفيلم أن كول يعيش حياة زوجيَّة سعيدة ولديه طفلان، وكونه رسَّامًا تجريديًّا يدفعني إلى التساؤل: كيف يستطيع تحمُّل تكلفة هذه المنزل الفاخر في وست ڤيلدج بالضبط؟ إنني أكتبُ مراجعات الأفلام لمدوَّنة تجذب أكثر من ٨٤٥ مشاهَدة في الشهر الواحد، وأعيشُ في واحدٍ من تلك المجمَّعات السكنيَّة التي يتباهى مغنيُّو الراپ أنفسهم بالفرار منها.

تلعب السوبر مودل التي تحوَّلت إلى ممثِّلة ستيفاني آندرسن دور زوجة كول، وهي إلى حدٍّ ما تُشبه جني كريمر، الفتاة التي كانت تُعاملني بلطفٍ في المدرسة الإعداديَّة، والتي كان من الممكن أن أواعدها في الغالب لولا أنها نُقلت إلى مدرسةٍ أخرى في أثناء الدراسة الثانويَّة. أتساءلُ عما تفعله جني الآن. لعلَّها تتساءل عما أفعله أنا. طريفٌ هذا.

على كلِّ حال، يشهد كول وقوع جريمة قتل، ثم يُلاحقه أعضاء المافيا ويبدأون في شراء لوحاته. لم أفهم إن كانوا يشترون اللوحات ليروا إن كانت تُفصح عن هويَّة القاتل، أم لأنهم يسعون للاقتراب منه كي يتمكَّنوا من قتله، وقد يكون هذا الارتباك بسبب عيبٍ في السيناريو الذي كتبه كِرن، أو لأنني خرجتُ خلسةً من قاعة العرض كي أتبوَّل خلال مشهدٍ مهم.

https://jadidpdf.com

عندما عدتُ من الحمّام سألتُ الناقد الجالس إلى جواري (من «*The New York Times*») عن سبب مُلاحقة المافيا لكول، فهمسَ لي قائلًا إنه السبب نفسه الذي سعى له الكولونيل الفرنسي إلى الاستقرار في فيلم «سِحر البرجوازية الخفي». هكذا لم أجد مساعدةً لدى هذا الأحمق المتعجرف.

خطرَ لي أن أسأل ريبا أو راكل، لكني لم أردها أن تحسب أنني لم أكن منتبهًا للفيلم.

وبدا لي أن ناقد الـ«*Times*» أحبَّ الفيلم حقًّا، وهو الشيء الذي لم يُفاجئني لأن نقّاد الـ«*Times*» يحبُّون كلَّ شيء... كلَّ شيء باستثنائي، فقد ذهبتُ في مقابلةٍ عندهم قبل ثلاث سنوات ومعي سيرتي الذاتيَّة وحفنة من مراجعاتي للأفلام، ورفضوني. لكن الدعابة انقلبت عليهم، لأني ألغيتُ اشتراكي والآن أستخدمُ كلمة السر الخاصة بصديقي لأقرأ مقالاتهم دون مقابل.

الأداء الأبرز كان لبيتر جاوورسكي الذي لعب دور سوني ابن زعيم المافيا. سوني زير نساء، على الرغم من أن جاوورسكي أقصر مني ببوصتين أو ثلاث على الأقل. أحيِّيك يا مستر كِرن على اختيارك، فإذا كانت حبَّة جبري مثل جاوورسكي تستطيع أن تنام مع ستيفاني آندرسن نفسها، فلا بد أنني أستطيعُ مواعدة موظَّفة صغيرة تحت التدريب في ستوديو إنتاج مثل رامونا... أم أن اسمها روزاليند؟

اقتربتُ من فتاة الستوديو بعد العرض وقلتُ لها: «مرحبًا روندا، ما رأيك في أن نجرِّب القليل من الفن التجريدي معًا؟»،

https://jadidpdf.com

فرمقتني بنظرةٍ قالت في آنٍ واحد: «أنت شخص مقزِّز»، و«اسمي ليس روندا ولا يشبهه من قريب أو بعيد». وهكذا فسد يومي -الذي كان سيئًا أصلًا- تمامًا.

الخلاصة، ها هي ذي المشاكل الأساسيَّة التي يعاني منها فيلم «لوحات كول»: أنه عُرِض في أقصى المدينة وهو الشيء غير المريح، ألَّفه رجل أحسده، عرضته موظَّفة جميلة لم أستطع تذكُّر اسمها المحيِّر، وقائم على فكرة نفَّذتها برداءة وقت دراستي العُليا، وتلقَّى الإطراء من الـ«Times» التي رفضت أن أعمل فيها.

على الرغم من هذا فلا شكَّ أن «لوحات كول» أفضل أفلام العام، وأقولُ هذا فقط أملًا في أن الستوديو سيكتب اسمي مع اقتباسٍ على بوستر الفيلم، وقد رغبتُ دائمًا في أن يوضع اسمي على بوستر فيلم. ألن يكون هذا رائعًا؟ تخيَّل هذا، هناك في نيو جرسي ستذهب جني كريمر إلى مجمَّع السينمات المحلِّي وسترى اسمي على بوستر «لوحات كول»، فتقول: «رأيه مكتوب على بوستر الفيلم! لا بد أن أتصل به وأسأله عن رأيه في النوم معي!». ثم إننا سننام معًا فعلًا، وستكون مراجعتها لأدائي رائعة.

---

جسي آيزنبرج (١٩٨٣- ) ممثِّل أمريكي مرشَّح لجائزة الأوسكار، كتب هذه القصَّة الوحيدة بعنوان «*An Honest Film Review*»، ونُشرت في مجلة «*The New Yorker*» عام ٢٠١٥.

https://jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية
بحجم خفيف جدا على مكتبة جديد بدف
https://jadidpdf.com

# لا تسأل جاك

## *نيل جايمان*

لَمْ يعرف أحد من أين جاءت اللُّعبة التي يبدو أنها كانت ملكًا لجَدٍّ قديم أو عمَّةٍ بعيدة قبل أن توضَع في غُرفة الأطفال.

كانت علبةً خشبيَّةً منقوشةً ومطليَّةً باللونين الذَّهبي والأحمر، جذَّابة الشكل لا شَك، وذات قيمةٍ عالية -أو أن هذا ما خمَّنه الكبار- ولربما تكون أثريَّةً كذلك. كان المزلاج موصدًا وقد علاه الصَّدأ للأسف، والمفتاح ضائعًا، لذا لم يكن من الممكن إطلاق جاك (العفريت) من العلبة، ومع ذلك لم يُنكِر أحد أن العلبة جميلة بالفعل، ثقيلة ومزيَّنة بالنقوش ومُذَهَّبة.

لم يكن الأطفال يلعبون بجاك، بل ظَلَّ قابعًا في قاع صندوق اللُّعب الخشبي القديم، الذي كان في نفس حجم وعُمر صناديق الكنوز في زمن القراصنة، أو أن هذا ما حسبه الأطفال. هكذا، تحت الدُّمى والقطارات، وتحت المهرِّجين والنجوم الورقيَّة والألعاب السحريَّة القديمة وعرائس الماريونيت العرجاء التي تشابكَت خيوطها على نحوٍ يستحيل فكُّه، وتحت الملابس التَّنكُّرِيَّة (أسمال فُستان زفافٍ

https://jadidpdf.com

عتيق هنا، قبَّعة حريريَّة سوداء بالية هناك)، وتحت المجوهرات البلاستكيَّة والحلقات والأحصنة والمسدَّسات المكسورة، كان جاك عفريت العلبة حبيسًا.

لم يكن الأطفال يلعبون به، بل يتهامَسون فيما بينهم عندما تجمعهم عزلة العليَّة. في الأيام الكئيبة، عندما تعوي الرِّيح حول البيت وتَنقُر قطرات المطر على ألواح السَّقف وترتطم بأفاريز النوافذ، يجلس الأطفال ويتحاكون فيما بينهم عن جاك الذي لم تسبق لهم رؤيته قَطُّ. ادَّعى أحدهم أن جاك ساحر شرير حُبِسَ في العليَّة عقابًا على جرائم أشنع من أن تُذكَر، وقالت أخرى (وأنا واثقٌ بأنها كانت واحدةً من البنات) إن علبة جاك هي في الحقيقة صندوق باندورا الذي وُضِعَ هنا لمنع الشرور التي تملأه من الخروج إلى العالم مرَّةً أخرى.

تجنَّب الأطفال لمس العلبة قَدر المستطاع، على الرغم من أن أحد الكبار كان أحيانًا ما يُعَلِّق على غياب عفريت العلبة الطَّريف، ثم يرفعه من صندوق اللُّعب ويضعه في موضع شرفٍ على رَفِّ المدفأة، فيستجمع الأطفال شجاعتهم ويُخفونه في ظلام قاع الصندوق من جديد.

لم يكن الأطفال يلعبون بعفريت العلبة، وعندما كبروا وغادَروا البيت أُغلِقَت العليَّة وكاد النسيان يطويها تمامًا.

كاد النسيان يطويها، لكن ليس بالكامل، فكلٌّ من الأطفال -على حِدَة- بدأ يتذكَّر مشيه وحيدًا في ضوء القمر الأزرق حافي

https://jadidpdf.com

القدمين صاعدًا إلى العليَّة. يتذكَّر الأطفال الذين كبروا الآن أن الأمر كان يُشبه المشي في أثناء النوم، بلا وقعٍ لخطوات الأقدام على درجات السلالم الخشبيَّة والسجَّادة الرَّثَّة. يتذكَّر كلٌّ من الأطفال الذين كبروا الآن فتحه صندوق اللُّعَب وتنقيبه بين الدُّمى والملابس حتّى يصل إلى علبة جاك فيُخرِجها.

ثم يَمَسُّ الطِّفل الرتاج، فينفتح بهدوءٍ وعلى مهلٍ كأنه غروب الشمس، ثم تبدأ الموسيقى ويَخرُج جاك. لا يَخرُج واثبًا مُندَفِعًا من الداخل كما هو مُفترَض، فهو لم يكن من ذلك النوع من عفاريت العلبة، وإنما بتأنٍّ وتصميم، ويُشير إلى الطِّفل بأن يدنو أكثر فأكثر وقد اعتلت وجهه ابتسامة.

وفي ضوء القمر يحكي جاك للأطفال عن أشياءَ لم يتمكَّنوا من نسيانها تمامًا، ولا من تذكُّرها تمامًا.

ماتَ أكبر الأطفال في الحرب العالميَّة الأولى، وورثَ أصغرهم البيت بعد وفاة والديهم، رغم أنه لم يحتفظ به كثيرًا، إذ أُخِذَ منه بعد أن وجدوه ذات ليلةٍ في القبو ومعه قِطعة من القُماش وكيروسين وثقاب، يُحاوِل إحراق البيت عن آخِره. ثم دخل الطِّفل الأصغر مصحَّة عقليَّة، وربما لا يزال هناك حتّى الآن.

رفضَت البقيَّة -البنات اللائي أصبحنَ سيداتٍ الآن- أن يَعُدنَ إلى البيت الذي كبرنَ فيه، وهكذا أُغلقَت النوافذ بألواح الخشب، والأبواب بمزاليج حديديَّةٍ ضخمة، وبعدها بدأت الأخوات في زيارة البيت بنفس قَدر زيارتهنَّ قبر أخيهنَّ الأكبر أو الشيء التعيس

https://jadidpdf.com

المسكين الذي كان أخاهنَّ الأصغر؛ أي أنهنَّ لم يَزُرنَ هذا أو ذاك أو ذلك أبدًا.

مَرَّت السنون، وصارت الفتيات نساءً هَرِمات، وأقامَ البوم والخفافيش لأنفسهم أعشاشًا في العليَّة القديمة، وبنَت الفئران لنفسها جحورًا بين اللُّعَب المنسيَّة.

تَرمُق تلك المخلوقات ورق الحائط الباهت بلا اهتمام، وتُلوِّث بقايا السجَّاد بفضلاتها.

وفي أعماق العلبة القابعة في أعماق الصندوق يقبع جاك مبتسمًا، محتفظًا بأسراره، منتظرًا الأطفال، إلى الأبد.

---

نيل جايمان (١٩٦٠- )، روائي وقصصي إنجليزي معروف بكتابته أدب الفانتازيا، حصل على عدَّة جوائز أدبية، ومن أشهر أعماله «آلهة أمريكية» و«غبار النجوم» و«كورالاين».

نُشرت القصَّة بعنوان «*Don't Ask Jack*» في كتابه «*Smoke and Mirrors*» عام ١٩٩٨.

https://jadidpdf.com

# أزاثوث(*)

## *هـ پ. لافكرافت*

عندما أصيب العالم بالشَّيخوخة وتلاشَت الدَّهشة من عقولِ بني آدم، عندما شهِقَت المُدن الكئيبة بأبراجٍ صمَّاء قبيحة تُباري الدُّخان في أعالي السَّماء وتَحرِم الكلَّ من الحُلم بالشَّمسِ أو بعسلِ الزُّهورِ في الرَّبيع، عندما سلبَت معارِفُ البَشر شُعلة الجمالِ من الأرضِ وكفَّ الشُّعراء عن التغنِّي بالأشباح الخدَّاعة التي لا يرونها إلا داخل أنفسهم بأعيُن نصف مغمضة، عندما حدثت هذه الأشياء، وراحت الآمال الطفوليَّة إلى الأبد، كان ثمَّة رجل سافَر خارِج حدود الحياة في مسعى إلى الأمكنة التي فرَّت إليها الأحلام من عالمنا.

لم يُكتَب إلا القليل عن اسمِ الرجل وعنوانه، لأنهما ينتميان إلى عالم اليقظة فقط، وإن كان قد قيل إنهما اتَّشحا بالغموض. يكفي أن نقول إنه عاش في مدينةٍ ذات جدران عالية يسودها الغسق

(*) أزاثوث: إله أسطوري ابتكره لافكرافت، ويظهر في كتاباته عن أساطير كثولو ودورات الأحلام، وفي كتابات آخرين.

https://jadidpdf.com

القاتم، وإنه كان يكدح اليوم بطوله بين الظِّلال والشَّقاء، ثم يعود إلى بيته عندما يأتي المساء، فيدخل غُرفةً لا تُفتَح نافذتها الوحيدة على حقولٍ أو بساتين، بل على باحةٍ معتمة تُحدِّق إليها نوافذٌ أخرى بقنوطٍ مستمر. من إطار النافذة لا يمكنك أن ترى شيئًا غير النوافذ والجدران، إلا إذا مِلتَ واشرأببتَ قدرَ ما تستطيع البلوغ خارج النافذة، لتلمحَ النجوم الصغيرة المارَّة.

ولأن الجدران والنوافذ -من فرط جمودها- تدفع أيَّ إنسانٍ يقرأ ويَحلُم كثيرًا إلى الجنون، عوَّد ساكن تلك الغُرفة نفسه ليلةً بعد ليلةٍ أن يميل خارج النافذة ويَمدَّ جسده ليَرمُق السَّماء ويلتقط بناظريه شظايا أشياء من وراء عالم اليقظة والمدائن الشَّاهقة، وبعد سنواتٍ أصبح يُسمِّي كلَّ نجمةٍ مُبحرةٍ في الفضاء باسمها، ويُتابِعها بشغفٍ إذ تنسلُّ خارج حدود البصر مُخلِّفةً وراءها حُزنًا. تفتَّح عقله على آفاق سِريَّة لم تلمحها عينٌ أخرى أو يعتقد عقلٌ آخَر في وجودها.

ثم جاءت ليلة هبَّت فيها دوَّامة عاتية، وجاءت موجة من السَّماء المسكونة بالأحلام إلى نافذة المراقِب الوحيد، لتمتزج بهواء غرفته وتجعله جزءًا من أعجوبة النجوم.

في تلك الغُرفة انصبَّت نهيرات من قلب الليل البنفسجي المرصَّع بتراب الذَّهب، وهلَّت دوَّامات من الغبار والنار، تدور وتدور ناثرةً عطورًا باذِخةً من وراء العالم في فضاءٍ سرمديٍ. في تلك الغُرفة انصبَّت محيطاتٌ مخدِّرة مُضاءة بشموسٍ لم ترَ عينٌ مثيلًا لها قطُّ، وفي

https://jadidpdf.com

أمواجها سبحت الدلافين وحوريّات البحر الآتية من أغوارٍ سحيقة. دارت الأبديَّة بلا صخبٍ حول صديقنا الحالم، وحملته بعيدًا دون أن تمسَّ جسده المتصلِّب المائل من النافذة الوحيدة. وطيلة أيامٍ لا تُحصى في روزنامة البَشر، حملته أمواج العوالم البعيدة برفقٍ، ثم تركته نائمًا في سلامٍ على شاطئٍ أخضر يضيئه الشُّروق؛ شاطئٍ أخضر يفوح منه عبير اللوتس وتلمع فيه زهور البسنت الحمراء.

---

هـ. ب. لافكرافت (١٨٩٠-١٩٣٧)، كاتب أمريكي يعدُّ أحد أهم من كتبوا الرعب في القرن العشرين، وإن لم يعرف الشهرة في حياته ومات معدِمًا، ثم حقَّقت أعماله شهرة ساحقة بعد وفاته، ومن أبرزها «في جبال الجنون» و«نداء كثولو».

نُشرت القصَّة، وهي بداية لرواية لم يُنهِ لافكرافت كتابتها، بعنوان «*Azathoth*» في جريدة «*Leaves*» عام ١٩٣٨.

https://jadidpdf.com

# قصّة حُب

## *تشاك پولانك*

بارِك لي. أنا وزوجتي أنجَبنا توأمين منذ قليل، ويبدو أنهما في صحَّةٍ طيِّبة. عشرة أصابع في اليدين، عشرة في القدمين، فتاتان صغيرتان جميلتان. لكنك تعرف هذا الإحساس المُمِض، ما زلتُ أنتظرُ أن يقع ما يُفسِد كلَّ شيء، لأن تلك هي طبيعة الأشياء عندما تكون سعيدًا أكثر من اللازم. ما زلتُ أتوقَّعُ الاستيقاظ من هذا الحُلم الجميل.

خُذ عندك، قبل زواجي كنتُ قد دخلتُ في علاقةٍ واحدة مع تلك الفتاة البدينة. كلانا كان بدينًا في الحقيقة، ولذا كان التفاهُم بيننا ممتازًا. كانت صاحبتي تلك تجعلنا نُجرِّب أنواعًا جديدة من الحمية طوال الوقت كي نفقد بعض الوزن، كأن يقتصر طعامنا على الأناناس والخل فقط مثلًا، أو على نوعٍ من الطحالب الخضراء يأتي في مظروف، وكانت تقترح دائمًا أن نتمشَّى لمسافاتٍ طويلة معًا... إلى أن بدأ وزنها في التناقُص بالفعل. ذابَت الدهون في فخذيها فجأةً، ولم يكن هناك مَن هو أسعد منها في العالم. حتّى في ذلك

https://jadidpdf.com

الحين كنتُ أعرفُ أن شيئًا ما سيحدث ويُجهِز على العلاقة. تعرف هذا الإحساس: عندما تحبها فإنك تسعد لسعادتها، لكني كنتُ أعرفُ أن صاحبتي ستُنهي ما بيننا، لأنها صارت الآن نقطةً تضيء بالأخضر وتُطلق الأزيز على رادار رجالٍ آخرين ذوي وظائف محترَمة وتأمين صحي. أذكرُ أنها كانت حسناء طريفةً من قبل، لكن الآن وقد صارت نحيفةً هكذا، أصبح من الواضح أنها تملك قُدرة ممتازة على التحكُّم في النَّفس وتقويمها تفوق قُدرتي ومستواي تمامًا. أصدقائي كذلك لم يكونوا مصدر عونٍ لي، لأنهم بدأوا الحوم حولها بدورهم في انتظار إعلان الانفصال، كي يبدأ كلٌّ منهم مناورته. ثم اتَّضح أنها كانت مصابةً بالسرطان في الحقيقة، لكنها صارت نحيفة بما يكفي لارتداء أصغر المقاسات، فماتت سعيدة.

لهذا أعرفُ أن السعادة كالقنبلة الموقوتة. أما كيف التقيتُ زوجتي، فالبداية كانت قرارًا بأن أتخلّى تمامًا عن فكرة المواعَدة، ورحلةً على متن قطار الآمتراك إلى سياتل. كان مهرجان لولاپالوزا(*) مقامًا في سياتل وقتها، وكنتُ قد حزمتُ معي الخيمة وكيس النوم لأخيِّم هناك طوال عطلة نهاية الأسبوع. دخلتُ عربة البار، لأنك تعرف كيف ترغب أحيانًا في أن تترك أصدقاءك ووعيك وراءك بضعة أيام. دخلتُ عربة البار حيث رأيتُ عينيها الثعلبيَّتين الخضراوين الساحرتين تنظران في اتجاهي مباشرةً. وأنا لستُ وحشًا، ولستُ خنزيرًا ممن تراهم في برامج تليفزيون الواقع يجلسون

(*) مهرجان موسيقي سنوي، تعزف فيه الفِرق موسيقى الروك والميتال والهيب هوب وغيرها، بالإضافة إلى الرقص والعروض الكوميديَّة. (المترجم)

https://jadidpdf.com

في المستشفيات يلتهمون الدجاج المحمَّر طوال اليوم، لكنني أتفهَّمُ كيف يتمنّى الرجل أحيانًا أن يعمل حارسًا في سجن أو معسكر اعتقال للنساء، حيث يُمكنه أن يُواعِد تلك النساء الجميلات دون أن يكون مضطرًّا إلى أن يسمع طوال الوقت عباراتٍ على غرار «لا تجلس دون قميص!»، و«هل تعرق كثيرًا هكذا دائمًا؟». لكن، على متن القطار، ها هي ذي تلك الحوريَّة ترتدي تيشرت راديوهِد مقصوصًا ليكشف عن بطنها، مع سروال جينز مرتخٍ إلى أسفل إلى منطقةٍ من المفترَض أن يبرز منها القليل من الشَّعر، وخواتم بأشكال ميكي ماوس وهولي هوبي حول كلِّ إصبع. ترفع زجاجة بيرة إلى شفتيها الجميلتين، وترمقني من وراء الزجاجة.

أمثالي يعرفون الخُلاصة. ما لم تكن جون بيلوشي أو جون كاندي، فلا فتاة على شاكلتها ستقصد أن تُثبِّت عينيها عليك هكذا أبدًا، لذا فقد تعاملتُ بواقعيَّة في الحال وأبعدتُ وجهي عنها بخِزي. السبب الوحيد الذي يدفع فتاةً مثلها إلى أن تُخاطِبني هو أن تُعلِمني بالنبأ الكبير؛ أنني خنزير بدين مُقرِف وأحجبُ منظر المحيط عنها. اعرف حدودك. هذا ما أقوله دومًا. صوِّب على هدفٍ واطئ ولن تُصيبك خيبة الأمل. أتجاوزها بنظري وأرمقها دون أن أرمقها حقًّا. أتفحَّصها، فأشمُّ رائحتها الحلوة كالحلوى، كالفطير المخبوز الطازج، كفطيرة القرْع التي يُرَشُّ البهار الأحمر البنِّي على وجهها. المثير أن زجاجة البيرة في فمها تدور لتتبعني إذ أنهضُ إلى البار لأطلب دورًا من التكيلا، لكننا لسنا آخِر فتى وفتاة على سطح الكوكب على كلِّ حال، فهناك آخَرون جالسون إلى الموائد

https://jadidpdf.com

البلاستيكيَّة يتناولون شرابهم، ويبدو من مظهرهم أنهم ذاهبون إلى لولاپالوزا كذلك.

سرتُ إلى أبعد مائدةٍ عنها، لكن تلك الفاتنة ما برحت تُراقِبني بعينيها. تعرف هذا الشعور: عندما يُراقِبك أحدهم فإنك لا تخطو خطوة واحدة دون أن تتعثَّر، ناهيك بأن تخطوها على متن قطارٍ متحرِّك. أنهضُ لآخذ بيرة جديدة في اللحظة التي ينعطف فيها القطار على منحنى، فأسكبُ البيرة على قميصي. أتظاهرُ بأنني أشاهدُ الأشجار خارج النافذة، لكني أراقبُ انعكاسها على الزجاج كما تعلَّمتُ من رجال الخدمة السريَّة، فأجدها لا تزال تنظر إليَّ. المرَّة الوحيدة التي أبعدَت فيها عينيها كانت عندما نهضَت إلى البار وأعطت الساقي بعض أوراق العملة، فناولها بيرة أخرى. ثم يكبر انعكاسها ويكبر إلى أن يصبح بالحجم الطبيعي، فأجدها واقفةً إلى جوار مائدتي تقول: «هاي» وشيئًا آخر.

وأقول: «ماذا؟».

فتشير إلى قميصي والبيرة المسكوبة عليه، وتقول: «أزرارك تُعجبني. إنها لامعة».

فأخفضُ ذقني وأنظرُ إلى الكباسين ذات اللون الرمادي. إنها كباسين وليست أزرارًا، لكني لا أريدُ إفساد هذه اللحظة. من البداية لاحظتُ أنها تضع إصبعها في فمها أحيانًا. الحقيقة أنها تضع إصبعها في فمها كثيرًا، وتستخدم هذا الصوت الهامس المصحوب بأنفاسٍ ثقيلة مع بعض كلام الأطفال، كأن تقول «پاسكيتي» بدلًا

https://jadidpdf.com

من «سپاجيتي»، أو «مقصقص» بدلًا من «مقص»، لكن هكذا تكون الفتاة المثيرة كما يقول الكتاب.

تغمز لي وتلعق شفتيها بحافة لسانها، ثم تقول والشفتان ما زالتا لامعتين بلُعابها: «أنا بريتني سپيرز». إنها تُداعِبني. بالطبع هي شربت كثيرًا وعاجزة عن التعبير غالبًا. الآن كان كلانا يشرب زجاجات التكيلا الصغيرة، لكننا لسنا مسؤولَيْن عن قيادة القطار على كلِّ حال. لا، هي ليست بريتني سپيرز طبعًا، لكنها على المستوى نفسه من السُّخونة. من الواضح أنها تُعابِثني، لكن بطريقةٍ جيِّدة تروقني. عليك أن تنظر إليها فقط لتعرف كلَّ ما تريد معرفته.

فُرصتي الوحيدة معها أن أصمد وأواصِل المداعَبة وشراء المشروبات. تسألني عن وجهتي، فأجيبها بأنها مهرجان لولاپالوزا في سياتل. تُمرِّر أطراف أصابعها على وجه قميصي بين الكباسين، من حزامي إلى حَلْقي، ثم إلى أسفل من جديد، فأجدُ نفسي أتمنَّى ألا تشعر بدقَّات قلبي المتلاحقة.

تُعابِثني بعينيها الخضراوين عندما تدوران من جانبٍ إلى جانب، أو عندما ترمقني من تحت أهدابها الطويلة. ولا شكَّ أنها سبقتني طويلًا في شُرب البيرة، لأنها لا تنفك تنسى الكلام في منتصفه، وبين الحين والآخَر تشير فجأةً إلى شيءٍ يمرُّ بسرعةٍ خارج النافذة، وتهتف: «كلب!». وفي مرَّةٍ رأت سيَّارة تنتظر عند مزلقان مررنا به، فصرخت بريتني: «خنفسة!» وهي تلكمني في كتفي بمجمع قبضتها الملأى

https://jadidpdf.com

بخواتم هالو كيتي وميكي ماوس، فأجد نفسي أتمنَّى سرًّا أن أحتفظ بالكدمة طوال حياتي.

ثم إننا نذهب إلى لولاپالوزا وننصب خيمتي وبريتني ثملة تمامًا، لدرجة أنها استيقظَت في الصباح التالي ثملة ما زالت، ولا فائدة مهما دخَّنتُ من ماريجوانا، فلا أستطيعُ اللحاق بدماغها. ولعلَّ السبب أن بريت نحيفة للغاية، لكنها تستطيع الحفاظ على المستوى نفسه من الدماغ دون تناوُل أيِّ شراب لساعاتٍ طويلة، أو لعلَّ السبب أنها تتلقَّى جُرعة لا بأس بها من الدخان الذي أنفثه. المهرجان كله كان عبارةً عن قصَّة حُبٍّ كلاسيكيَّة من النوع الذي يدفعون مالًا للاستمناء عليه على الإنترنت، لكن أحداثها كانت تقع لي أنا. ثم إننا تواعدنا طوال ستة شهورٍ كاملة وحتّى الكريسماس، ثم حتّى نقلت بريت أغراضها إلى شقَّتي، ولا أزالُ أتوقَّعُ أن تستيقظ وقد أفاقت من الثَّمل ذات نهار، لكنها لا تفعل أبدًا.

نذهب لتناوُل عشاء عيد الشُّكر في بيت أمي، فأضطرُّ إلى شرح الوضْع كله. لا، ذوق بريتني في الطعام ليس شاذًّا، لكن سبب نحولها الشديد أنها تحبُّ فقط أن تأكل الكوسة مقطَّعةً إلى نصفين طوليَّيْن مُفرَّغين من المنتصف لعمل شكل قارب الهنود الحُمر، مع نقوشٍ بالسكِّين على الجانب بمثابة الكتابة الهنديَّة، بالإضافة إلى قبيلة كاملة من المحاربين الشُّجعان مصنوعة من الجزر النيئ المحفور، مع استخدام حبوب البازلاء كرؤوس، ويُجذِّف هؤلاء عبر الطبق المليء بطبقةٍ سميكة من الشوكولاتة الذائبة. حاول أن تشرح هذا وسيُدهِشك عدد المطاعم التي لا تضع هذا الصَّنف تحديدًا على

https://jadidpdf.com

قائمتها. هكذا تضطرُّ بريت إلى إعداده بنفسها معظم الوقت، وهو ما يستغرق نصف يومٍ في العادة، ثم تلعب به لمدَّة ساعة على الأقل على سجَّادة غُرفة المعيشة، ولهذا السبب لا يزداد وزنها أبدًا. أما أمي فسعيدة جدًّا لرؤيتي أواعِدُ من جديد.

ولا شيء يمكنك استنشاقه أو تدخينه سيجعلك تشعر بالنشوة نفسها التي ستنتابك وأنت تمشي في الشوارع وقد عانقَت يدك يد تلك السوبر مودل الفاتنة كحبيبتي بريت. الرجال الذين ينطلقون بسيَّاراتهم الفيراري، الرجال ذوو العضلات المفتولة التي اكتسبوها بتعاطي المنشِّطات -للمرَّة الأولى في حياتي لا يفوقني هؤلاء في شيء. أسيرُ في الشوارع مع بريتني، الجائزة التي يحاول كلُّ رجلٍ الفوز بها.

الشيء الوحيد الذي يُنغِّص سعادتي هو كل روميو يأتي ليتشمَّم الجو حولها كالكلاب، محاولًا الظَّفر بانتباهها ومتطلِّعًا إلى تدبيها بأفضل ابتسامةٍ لزجةٍ لديه. حدث في تلك المرَّة، عندما كنا على متن الحافلة، أن اجتمع حشد من الروميوهات بالقُرب من مكان جلوس بريتني معي في المؤخِّرة. تحبُّ بريت الجلوس فوق العجلة الخلفيَّة كي تلكمني في كتفي عندما تلمح قبلي سيَّارة ڤولكسڤاجن هنا أو هناك، ثم يأتي هذا الروميو الكبير ويقف لتتقاطع ساقيه عند مستوى نظرها بالتحديد، وعندما تصدم الحافلة بالوعة مفتوحة يحتكُّ فخذه بكتفها عدَّة مرات، إلى أن ترفع بريت عينيها إليه وتقول من بين أصابعها الموضوعة في فمها: «هالو بيج بوي». هذه هي بريتني: شخصيَّة ودودة بطبيعتها. تغمز وتشير بأصابعها المبتلَّة إلى روميو ليميل عليها، فينظر حوله ليتأكَّد من أن ملامحه تُعبِّر عن حظِّه السعيد،

https://jadidpdf.com

وينحني هذا الروميو ليصبح عند مستوى عينيها وقد احتلَّت وجهه ابتسامة غُرف النوم إياها. ولعلَّها تحاول إثارة غيرتي فقط، لكن بريتني -بعينين خضراوين شديدتي الجاذبيَّة- تقول: «هل تريد رؤية حيلة سحريَّة؟». عندها ينتبه الروميوهات الآخَرون، ويعتدلون مبرهنين على أنهم كانوا يسترقون السمع طوال الوقت. تُخرِج بريتني أصابعها من فمها وتدسُّها في سروالها من الأمام وتُحرِّكها من تحت الجينز الضيِّق، فيحلُّ الصَّمت التام على مؤخِّرة الحافلة وهُم يراقبون أصابعها العابثة وراء زمّام السروال. يُمكنك أن ترى كلَّ روميو منهم يزدرد لعابه وتفَّاحة آدم تصعد وتهبط بكلِّ ما في فمه من لعابٍ زائد، وترى عينيه الجاحظتين المعبِّرتين عن استثارته القويَّة.

ثم تسحب بريتني بسرعةٍ شيئًا من سروالها وتصرخ: «حيلة سحريَّة!»، وتُلوِّح بالشيء وتهتف: «مسرح العرائس!». في يدها يتدلَّى شيء ما من خيطٍ قصير، كرغيفٍ من الخبز الإيطالي ملطَّخ بالكاتشب، وتصرخ بريتني: «حيلة سحريَّة! مسرح العرائس!»، وتصفع به وجه الروميو الذي كان لا يزال مائلًا عليها، وتجري بريتني وراءه وتُلطِّخ معطفه الجلدي باللون الأحمر. الآن لا ينظر إليها الروميوهات الآخَرون. إنهم يرمقون أحذيتهم أو ينظرون خارج النافذة، لكنها تُلوِّح بالشيء وتصفعهم على وجوههم وتصرخ: «حيلة سحريَّة! مسرح العرائس!»، وتضحك، ها ها ها ها ها، وتهتف: «حيلة سحريَّة! مسرح العرائس!». الحافلة تُصدِر صوت الدينج-دينج-دينج للنازلين في المحطَّة التالية فينزل مئة راكب، وأهتفُ فيهم: «لا تخافوا!»، وألوِّح من نافذة الحافلة مناديًا: «إنها فنانة استعراضيَّة! إنها

https://jadidpdf.com

لا تقصد شرًّا! هذا مجرَّد تعبير عن موقف سياسي!». وتتحرَّك الحافلة بنا فقط على متنها، لكنني أهتفُ: «إنها تحبُّ المرح فقط!». وتجري بريتني إلى السائق وتضربه على رأسه بذلك الشيء، وأهتفُ: «حاسَّة الدعابة لديها قويَّة!».

وأعودُ ذات ليلةٍ من العمل لأجد بريت عاريةً أمام مرآة الحمَّام تضع راحتَي يديها على بطنها. منذ التقينا على متن القطار كان وزنها قد ازداد قليلًا، لكنه ليس شيئًا لا يستطيع القليل من الأناناس والخل إصلاحه. تجذب بريتني يدي وتفردها على بطنها قائلةً: «أعتقدُ أنني أكلتُ طفلًا»، وتنظر إليَّ بعينيها الخضراوين كجروٍ صغير، وأسألها إن كانت تريدني أن أذهب معها إلى العيادة لإجهاض الجنين، فتُومئ برأسها بالإيجاب وتقول نعم. هكذا نذهب يوم إجازتي من العمل، وهناك نجد التظاهُرة المعتادة لمناهضي الإجهاض، يحملون كيسًا بلاستيكيًّا مليئًا برؤوس وأذرُع دُمى الأطفال المكسورة الملطَّخة بالكاتشب. لكن بريت لا تتردَّد، بل تمدُّ يدها داخل الكيس وتلتقط ذراعًا وتلعقها عن آخرها كأنها قطعة من البطاطس المحمَّرة، وهذا هو مدى روعة صاحبتي.

أفتحُ عددًا من «*National Geographic*» فيما تسألها الممرِّضة إن كانت قد أكلت شيئًا اليوم، فتقول بريت إنها التهمَت قاربًا كاملًا من المحاربين الهنود بالأمس، لكنها لم تأكل شيئًا اليوم، لا. ولم أكن قد انتهيتُ من قراءة ذلك المقال عن المومياوات المصريَّة القديمة، عندما تخرج بريتني عَدْوًا كأن المسألة شديدة الصعوبة، كأنها لم تُجرِ أيَّ عمليَّات إجهاض من قبل، لأنها ركضت حافية القدمين حتَّى شقَّتي،

https://jadidpdf.com

وكي أجعلها تتوقَّف عن الارتجاف والقيء طلبتُ منها الزواج. ومن الواضح أن أصدقائي على وشك الإصابة بالجنون من فرط الغيرة، لأنهم أقاموا لي حفلة عزوبيَّة، وعندما تدخل بريتني الحمَّام مصابة بالاستياء لأن الشيف يرفض أن يحفر لها قارب الحرب، ينظر إليَّ أصدقائي المزعومون ويقولون: «إنها فاتنة حقًّا، لكننا لا نظنُّ أنها مسطولة. إنك لم تتزوَّجها بعدُ، أليس كذلك؟»، لكن وجوه أصدقائي الأعزاء تقول إن كون بريتني حاملًا خبرٌ طيِّب. وأنت تعرف هذا الإحساس: إنك تريد أن تحدث أُلفة بين أصدقائك وخطيبتك، لكن أصدقائي يضغطون على أسنانهم ويقولون بحواجب معقودة: «هل خطر لك -مجرَّد خاطر- أن بريتني متخلِّفة عقليًّا؟».

فأقولُ لهم ألا يقلقوا. إنها مدمنة على الكحول فقط. أنا متأكِّد كذلك من أنها تتعاطى الهيروين، بالإضافة إلى إدمان الجنس ربما، لكن المشكلة قابلة للعلاج بشيءٍ من العلاج النفسي لا أكثر. انظروا إليَّ. إنني بدين، وما من أحدٍ كامل. وبدلًا من إقامة حفل استقبال يوم الزفاف، ربما يُمكنني أن أجمع عائلتي وعائلتها معًا في قاعة المؤتمرات في الفندق ونُفاتِحها في المشكلة، وبدلًا من شهر العسل من الممكن أن تدخل بريت برنامجًا علاجيًّا لمدة ٩٠ يومًا. سوف نتغلَّب على هذه الأزمة، لكن من المستحيل أن تكون متخلِّفة عقليًّا. إنها في حاجة إلى القليل من العلاج وإعادة التأهيل فحسب.

من الواضح أنهم يُسيئون الكلام عن بريتني لأنهم يشتهونها والغيرة تلتهمهم. بمجرَّد أن أبعد ناظرَي تجدهم محتشدين حولها كالنمل، ويقولون لي: «لا تنظر الآن، لكنك ضاجعت فتاة متخلِّفة

https://jadidpdf.com

عقليًّا يا صاح». هذا هو قَدري عندهم، وعليَّ أن أرضى بهؤلاء الأصدقاء المقزِّزين. يُصرُّون على أن عقل بريتني لم ينمُ عن سِنِّ السادسة، ويقولون لي إنها لا تحبُّني لأنها لا تملك القُدرة على الحُبِّ أصلًا.

كأن السبب الوحيد الذي يدفع فتاةً إلى الزواج بي أنها مصابة بخللٍ عقلي! أقولُ لهم: «مستحيل أن تكون متخلِّفة لأنها ترتدي ثونج وردي اللون!». ولا بد أنه حبٌّ حقيقي، لأنه كلما نمنا معًا أجدني أبلغ الذُّروة بقوةٍ شديدة تؤلمني. وكما قلتُ لصاحب أمي يوم عيد الشُّكر، إن بريتني ليست مصابة بأيِّ شيء. أفضل تخمين لديَّ أنها مدمنة على الكحول، وتشمُّ الكُلَّة وتستنشق الهيروين، لكننا نعمل على أن تتلقَّى العلاج بمجرَّد أن تضع بنتينا. ولعلها مصابة بشبقٍ مَرَضي، لكن المهم أنها مصابتي أنا. هكذا يصاب أفراد عائلتي بالجنون من فرط الحسد، وأقول لهم: «أنا واقعٌ في حبِّ عاهرة جميلة مدمنة، فلِمَ لا تشعرون بالسعادة من أجلي؟».

وبعد كلِّ هذا اللغو ستجد أن عدد الذين حضروا زفافي أقلُّ من المتوقَّع بكثير...

وربما يجعلك الحب متحيِّزًا، لكن رأيي كان دومًا أن بريتني ذكيَّة حقًّا. تعرف هذا الإحساس: عندما تُشاهِدان التليفزيون معًا لعامٍ كامل ولا تتجادلان أبدًا حول البرامج والقنوات. حقًّا، إذا عرفت كَمَّ التليفزيون الذي نُشاهِده كلَّ أسبوع ستُدرِك أن زيجتنا سعيدة.

والآن لديَّ بنتان جميلتان رائحتهما كفطائر عيد الشُّكر، وعندما

https://jadidpdf.com

تكبران سأخبر طفلتَي أن الجميع يبدون على شيءٍ من الجنون عندما تنظر إليهم من كثب، وإذا كنت لا تنظر إليهم من كثبٍ فأنت لا تحبُّهم حقًّا. تدور عجلة الحياة طوال الوقت، وإذا ظللت تنتظر مجيء وليف الرُّوح المثالي فلن تعثر على الحُبِّ أبدًا، لأن مقدار حبِّك له هو ما يجعل هذا الشخص مثاليًّا.

وربما أكونُ أنا المتخلِّف عقليًّا، لأنني لا أنفكُّ أستيقظُ متوقِّعًا أن تنفد هذه السعادة بدلًا من أن أستمتع بها. ببساطة، لا يُمكن أن يكون الوقوع في هذا الحُبِّ المجنون السعيد بهذه السهولة، ولا أتوقَّعُ أن تدوم هذه السعادة الشاملة طوال حياتي، ولا بد من وجود علَّةٍ ما بي إذا كنتُ أحبُّ زوجتي إلى هذا الحد، لكنني في الوقت الحالي أقودُ السيَّارة عائدًا بعائلتي الجديدة من المستشفى، زوجتي الجميلة إلى جواري وطفلتانا في المقعد الخلفي، وما زلتُ أحدِّثُ نفسي قَلِقًا من أن سعادةً كهذه لا يُمكن أن تدوم أبدًا، عندما تلكمني بريتني في كتفي فجأةً وتصرخ: «خنفسة!»، فتفلت مني عجلة القيادة ونكاد نصدم واجهة محل الديري كوين القريب.

---

تشاك بولانك (١٩٦٢- )، روائي وصحافي مستقل أمريكي مشهور بروايته الأولى «نادي القتال» التي تحوَّلت إلى فيلم سينمائي من إخراج ديفيد فينشر وبطولة براد بيت وإدوارد نورتون، وله عدَّة روايات شهيرة أخرى منها «وحوش خفيَّة» و«الناجي الأخير» و«أغنية المهد».

نُشرت القصَّة بعنوان «*Romance*» في مجلة «*Playboy*» عام ٢٠١١.

https://jadidpdf.com

# قطط صغيرة

## *دين ر. كونتز*

تدفَّقت المياه الباردة في مجرى النهر مُحْدِثةً فقاقيع صغيرة حول الصخور البُنِّيَّة الملساء، وعاكسةً اللون الأخضر الداكن الكئيب لأشجار الصَّفصاف التي اصطفَّت على الضفَّة، فيما جلست مارني الصغيرة على العُشب تقذف الحجارة في المياه العميقة، وتُشاهِد التموُّجات الناتجة تنتشر وتتَّسع إلى أن تنتهي عند الضفَّتين الموحلتين. كانت تُفكِّر في القِطط الصغيرة، تلك التي وُلِدَت هذا العام وليس قِطط العام الماضي، التي وضعتها قِطَّتها بينكي ثم اختفت بعد ثلاثة أيام وقال أبواها إنها ذهبت إلى الجنة.

يومها قال أبوها: «أخذها الله إلى السماء لتعيش معه هناك».

لم تشكَّ مارني في كلام أبيها، فهو رجل متديِّن رغم كلِّ شيء، يُلقي العظة في مدرسة الأحد كلَّ أسبوع، بالإضافة إلى عمله في الكنيسة موظَّفًا مسؤولًا عن عَدِّ أموال التبرُّعات وتدوينها في دفترٍ أحمر صغير، وفي كلِّ ليلةٍ يقرأ عليهم آياتٍ من الكتاب المقدَّس. كانت قد تأخَّرت على القراءة في الليلة السابقة، فعُوقِبَت بالصَّفع

https://jadidpdf.com

على مؤخِّرتها. يُردِّد أبوها طول الوقت أن «العصا لمن عصى»، وهي لا تشكُّ في كلامه، لأنه خير من يعرف كلَّ شيءٍ عن الله والقِطط الصغيرة.

لكنها لا تزال تتساءل: لِمَ، وهناك مئات الآلاف من القِطط الصغيرة في العالم، يختار الله أن يأخذ الأربع اللاتي كنَّ لديها بالذات؟ هل الله أناني؟

إنها المرَّة الأولى التي تُفكِّر فيها في تلك القِطط الصغيرة منذ فترةٍ طويلة، فقد حدثت أشياء كثيرة جعلتها تنسى طيلة العام المنصرم، كدخولها المدرسة للمرَّة الأولى، وضجَّة الاستعداد لليوم الأول وشراء الكُتب والأقلام والكرَّاسات، كما أن الأسابيع الأولى في المدرسة كانت مثيرة بحق، إذ تعلَّمت خلالها الأبجديَّة والأرقام. وعندما بدأت تصاب بالملل من المدرسة، حلَّ الكريسماس بالثلج والهدايا والأنوار الحمراء والصفراء والزرقاء والخضراء، ورأت سانتا كلوز سائرًا يترنَّح عند ناصية الشارع، وذهبت إلى الكنيسة المضاءة بالشموع عشيَّة العيد (ليلتها أرادت دخول الحمَّام، لكن أباها رفض أن تتحرَّك حتَّى انتهاء القُدَّاس). وعندما بدأت الأشياء تصبح مملَّة مرة أخرى في مارس، كانت أمها قد أنجبت توأمين. شعرت ماري بالدهشة من حجمهما الصغير للغاية، ثم كيف بدآ يكبران في الأسابيع التالية.

وها هو يونيو من جديد. التوأمان سِنُّهما ثلاثة أشهُر الآن وقد بدأ وزنهما يزداد أخيرًا، ولا توجد دراسة، والكريسماس الجديد لا

https://jadidpdf.com

يزال بعيدًا. كلُّ شيءٍ يثير الملل. لذا، حين سمعت أباها يقول لأمِّها إن پينكي ستضع مرَّة أخرى، حاولت أن تستنزف كلَّ قطرةٍ من الإثارة من الخبر. هكذا شغلت نفسها في المطبخ بتجهيز القليل من الخِرَق والقُطن، بالإضافة إلى صندوق مناسب تعيش فيه القِطط الوليدة عندما تأتي.

مضى كلُّ شيءٍ في مساره الطبيعي، وانسلَّت پينكي ذات ليلةٍ إلى رُكنٍ مظلم من الحظيرة لتضع المواليد. لم تكن هناك حاجة إلى الخِرَق والقُطن المُعقَّم، لكن الصندوق كان مفيدًا واحتوى القِطط الست التي كانت كلها رماديَّة اللون، لها نقاط سوداء بدت كأنها بُقَعٌ من الحِبر لطَّخها أحدهم بها على عجلة.

أحبَّت مارني القِطط الصغيرة وشعرت بالقلق عليها. ماذا لو أخذها الله كما فعل العام الماضي؟

- «ماذا تفعلين؟».

لم يكن من الضروري أن تنظر، فقد كانت تعرف مَن الواقف خلفها، لكنها التفتت على كلِّ حال -من باب الاحترام- لترى أباها يرمقها وقد تلوَّث إبطا قميصه الأزرق بالعَرَق وتلطَّخت ذقنه ووجنته اليُسرى بالتُّراب.

أجابت بهدوء: «أقذفُ الحجارة».

- «على الأسماك؟».

- «لا يا سيدي. أقذفُ الحجارة فقط».

https://jadidpdf.com

سألها بابتسامةٍ سمجة: «هل تذكرين من سقط ضحية قذف الحجارة؟».

أجابت: «القديس ستيفن».

- «أحسنتِ».

ثم خبَت ابتسامته وقال: «العشاء جاهز».

جلست مارني متخشّبة على الكرسي القديم ذي اللون الأحمر الداكن، تنظر بانتباهٍ إلى أبيها وهو يقرأ عليهم من الإنجيل الذي توارثَته العائلة لأجيال، بغلافه الجلدي الأسود وصفحاته البالية. جلست أمُّها إلى جوار أبيها على الأريكة الزرقاء، وقد طوت يديها في حجرها وحملت ملامحها التقليديَّة -التي لم تخلُ من حُسن- ابتسامةً من نوع «أليس-ما-منَّ-الله-علينا-به-جميلًا؟»، أو شيئًا من هذا القبيل.

«دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ».

أغلق أبوها الكتاب بضربةٍ خفيفة بدا كأن صداها قد علِق في الهواء بعدها ليرفع ستارًا من الصَّمت الثقيل. لم يتكلَّم أحدهم دقائق كثيرة، ثم: «أيُّ آيةٍ كنا نقرأ الآن يا مارني؟».

ألقت الإجابة بطاعة، فغمغم أن أحسنتِ، ثم التفت إلى زوجته التي تحوَّلت ابتسامتها إلى تعبير «لقد-فعلنا-ما-يجب-أن-تفعله-

https://jadidpdf.com

كلِّ-عائلةٍ-مُتَدَيِّنَة»، وقال: «ماري، القهوة لنا والحليب لمارني».

قالت أمها: «حاضر»، وأسرعَت إلى المطبخ.

جلس أبوها في مكانه يفحص أغلفة الكتاب المقدَّس الداخليَّة، ويُمرِّر أصابعه على شقوق الورق المصفر وشبح البُقعة التي علقت إلى الأبد بصفحة العنوان، نتيجةً للنبيذ الذي سكبه أحدهم دون قصدٍ منذ مليون عام تقريبًا.

قالت بتردُّد: «أبي».

رفع رأسه إليها دون أن يبتسم أو يقطِّب.

- «ماذا عن القِطَط؟».

- «ماذا عنها؟».

- «هل سيأخذها الله مرَّة أخرى؟».

تبخَّر نصف الابتسامة الذي كان قد بدأ يزحف على وجهه في هواء الغرفة، وأجاب باقتضاب: «ربما».

قالت بصوتٍ شبه باكٍ: «لا يمكنه أن يفعل هذا».

- «هل تقولين ما يمكن أن يفعله أو لا يفعله الله؟».

- «لا يا سيدي».

- «الله يمكنه أن يفعل أيَّ شيء».

انكمشت في الكرسي أكثر وقالت: «نعم يا سيدي. لكن لِمَ قد يريد أخذ قِططِي الصغيرة مرَّة أخرى؟ ولِمَ قِطَطي أنا دائمًا؟».

https://jadidpdf.com

- «لن نتكلَّم في هذا مرَّة أخرى».

ردَّدت بإصرار: «لكن لِمَ قِططِي أنا؟».

انتفض واقفًا فجأةً وهوى على وجهها الرقيق بصفعةٍ جعلت قطرة رفيعة من الدم تسيل من رُكن شفتها، فمسحتها بكَفِّها، فيما قال هو بغضب:

- «لا يجب أن تُشكِّكي في حكمة الله أبدًا. إنك صغيرة للغاية على هذا!».

كان اللعاب يُغرِق شفتيه عندما جذبها من ذراعها لتنهض قسرًا، وقال: «والآن إلى غُرفتك. موعد النوم».

لم تُجادِل، وعلى السلالم التي تقود إلى غُرفتها في الطابق العلوي مسحت الدم الذي عاد يتجدَّد على رُكن شفتها.

صعدت السلالم ببطءٍ تاركةً يدها تتحسَّس الدرابزين الخشبي اللامع.

سمعت أمها تقول بالأسفل: «ها هو الحليب».

وسمعت أباها يقول بخشونة: «لن تحتاج إليه الليلة».

استلقت في غُرفتها التي لم تكن مظلمة تمامًا ليلتها في ضوء القمر الكامل، الذي جاء عبر النافذة لينير عددًا من اللوحات والأيقونات الدينيَّة المتراصَّة على أحد الجدران. وفي غُرفة أبويها كانت أمها تُهْدِهد التوأمين -الملاكين الصغيرين كما تُسمِّيهما- وأبوها يُدَغدِغهما.

https://jadidpdf.com

لم يأتِ أبوها أو أمها ليتمنيا لها ليلة سعيدة، فقد كانت تتلقَّى العقاب.

كانت مارني جالسةً في الحظيرة تُلاعِب واحدة من القِطط الرماديَّة الصغيرة، مؤجِّلةً مشوارًا أرسلتها فيه أمها قبل عشر دقائق. رائحة التِّبن الذهبي الجاف الغنية تُفعِم الجو، وفي الطرف الأقصى البقرتان تتبادلان الخوار، وقد بدأتا تتماثلان للشفاء بعد أن جرحت الأسلاك الشائكة قوائمهما. كانت القِطط الصغيرة تموء وتُداعِب الهواء تحت ذقن البنت.

ثم سمعت صوت أبيها الهادر من مكانٍ ما في منتصف الطريق بين البيت والحظيرة يسأل عنها، وكانت على وشك الاستجابة عندما سمعت أمها تقول: «أرسلتها لتُحضِر وصفة من هيلين. ستعود بعد عشرين دقيقة».

قال الأب: «هذا وقت كافٍ إذن».

سمعت صوت حذائه الثقيل يضرب الأرض مُقتربًا في خطواتٍ عسكريَّة ثابتة، وعرفت أن شيئًا ما على غير ما يرام، شيئًا ليس من المفترَض أن تراه. وضعت القِطَّة في الصندوق وزحفت وراء كومة من القش لترى.

دخل أبوها الحظيرة وملأ دلوًا بالماء ووضعه أمام صندوق القِطط. هسَّت القطة الأم ببينكي وقوَّست ظهرها، فرفعها الرجل

https://jadidpdf.com

وألقى بها في برميلٍ فارغ وأغلقه، لتأتي صرخاتها الغاضبة من الداخل صاخبةً تليق بغابات إفريقيا لا مزرعة أمريكيَّة. كادت مارني تضحك، لكنها تذكَّرت أن أباها هنا، فكتمت ضحكتها.

ثم عاد الرجل إلى صندوق القِطط مرَّة أخرى، وبحذرٍ رفع واحدة من الصغار من مؤخِّرة عنقها وربَّت عليها مرتين... ثم دفن رأسها في دلو الماء!

الضربات العنيفة التي جاءت من داخل الدلو... وقطرات الماء التي تناثرت هنا وهناك... وسِحنة الأب التي انقلبت وهو يدفع الجسم كله تحت الماء... ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تهمد حركة القِطَّة تمامًا.

وجدت مارني أصابع يدها مغروسة في الأرضيَّة الخرسانيَّة لدرجةٍ آلمتها.

لماذااااااا؟! لماذا؟! لماذا؟! لماذا؟!

رفع أبوها الجسد الرخو من الدلو، ورأت الصغيرة شيئًا ورديًّا داميًا ينزلق من فم القِطَّة الميتة؛ لم تعرف إن كان لسانها أم أن المسكينة قاءت أمعاءها في الماء في محاولةٍ يائسةٍ أخيرة للهرب من ميتة الاختناق الشنيعة.

بعد قليل كانت القِطط الصغيرة الست ميتة، وبعد قليل أُلقيَت ست جُثَثٍ في كيسٍ من الخيش. أخرج الرجل القِطَّة الأم من البرميل، وتبعته هذه مرتجفة وهي تموء بضعف، تهسُّ في وجهه عندما يلتفت إليها.

https://jadidpdf.com

تجمّدت مارني في مكانها لوقتٍ طويل، لا تُفكّر في شيءٍ سوى حُكم الإعدام الذي شهدت تنفيذه، تحاول أن تفهم. هل أرسل الله أباها؟ وهل هو من قال له أن يقتل القِطط ويأخذها منها؟ إذا كان هذا ما حدث، فإنها لا تعرف كيف يمكنها أن تقف أمام المذبح ذي اللونين الأبيض والذهبي لتتلقى العشاء الربّاني مرّة أخرى.

نهضت مارني وعادت إلى المنزل والدم يقطر من أناملها، الدم والأسمنت.

سألتها أمها عندما دخلت وصفقت باب المطبخ إن كانت قد أحضرت الوصفة، فقالت كاذبة ببراعةٍ أدهشتها شخصيًّا: «لم تجدها، لكنها ستُرسِلها غدًا».

ثم قالت فجأة: «هل أخذ الله قِططي الصغيرة؟».

ردّت أمها بارتباك: «نعم».

صرخت وهي تهرع إلى حجرتها: «سأستردُّ حقي منه! لا يمكنه أن يفعل هذا! لا يمكنه أن يفعل هذا!».

نظرت إليها أمُّها ولم تحاول أن تمنعها، أما هي فصعدت السلالم ببطءٍ تاركةً يدها تتحسّس الدرابزين الخشبي اللامع.

عاد أبوها بعد الظهر من عمله في الحقل ليسمع صوت أشياء تتحطّم بصوتٍ عالٍ. هرع الرجل إلى الداخل ليجد زوجته ساقطةً

https://jadidpdf.com

عند السلالم. كانت المائدة الجديدة مقلوبة والتماثيل والأيقونات محطَّمة.

جثا إلى جوارها قائلًا بتوتُّر: «ماري، هل أنت بخير؟ هل جُرحتِ؟».

رفعت إليه عينين غطَّتهما غشاوة كثيفة، وبرُعب قالت:

- «الملاكان الصغيران... ربَّاه! الصغيران! الماء في حوض الاستحمام! الملاكان الصغيران!».

---

دين ر. كونتز (١٩٤٥- )، كاتب رعب وإثارة أمريكي، من أهم أعماله «وجه الخوف» و«قلبك ينتمي إليَّ».

نُشرت القصَّة بعنوان «*Kittens*» في مجموعة «*Strange Highways*» عام ١٩٩٥.

https://jadidpdf.com

# العائلة النوويّة

## *ألكس شفارتسمان*

قال دادي إننا لا نستطيع أن نضع شجرة حقيقيَّة هذا الكريسماس.

شعرتُ بالحزن في البداية، لكن مامي قالت إننا سنرتجل. نر-تـ-جل. أحبُّ تعلُّم الكلمات الكبيرة. هذه تعني أن نستخدم الأشياء الموجودة لدينا في البيت، وأبي وأمي يرتجلان طول الوقت منذ لم نعد نستطيع الخروج.

صعد دادي إلى أعلى ليجد بعض الأشياء التي سنرتجل بها. أردتُ أن أساعده، لكن دادي قال إننا يجب أن نبقى جميعًا في القبو مدة طويلة للغاية كي لا نمرض. إنني أكرهُ القبو، فلا يوجد ما أفعله هنا على الإطلاق. تصعد مامي ودادي إلى أعلى كل بضعة أيام ويعودان حاملَيْن القليل منْ الأشياء، عادةً ما تكون طعامًا أو ورق حمَّام أو ما إلى ذلك، وأحيانًا ما تكون كُتبًا أو دُمى أو لُعبًا من حُجرتي. يصعدان وينزلان السلالم بأقصى سرعة، لأن من الممكن أن يمرضا بدورهما إذا ظلَّا بالأعلى طويلًا.

غاب دادي خمس دقائق تقريبًا هذه المرة، لكنه عاد حاملًا أشياء

https://jadidpdf.com

كثيرة. وضع مشجب معاطف طويلًا في منتصف القبو لعمل جذع الشجرة، وألصق به بعض العِلّاقات المعدنية بعد أن فردَها لتكون بمثابة الفروع، وأعطاني مفرش مائدة أخضر وقال لي أن أقطّعه إلى شرائط طويلة رفيعة، ثم إننا ألصقنا الشرائط بالعِلّاقات المعدنية وأضفنا الزينة. لم تبدُ النتيجة النهائية كشجرةٍ حقيقيَّة، لكن مامي قالت أن نستخدم خيالنا. لم أمانع، فقد أعطاني تزيين مشجب المعاطف شيئًا أفعله على الأقل.

ثم إننا أخذنا الحبوب المضادة للإشعاع، لكنني أسقطتُ حبتي على الأرض وأصيب دادي بغضبٍ شديد، وقال إن ما لدينا بالفعل لا يكفينا أصلًا إلى أن يصبح الخروج آمنًا، ولا يمكننا تبديد أيها.

جعلني دادي ألتقط حبتي من على الأرض وأبتلعها... يَك!

قرَّبنا المائدة من الشجرة الزائفة عشيَّة الكريسماس وأكلنا وجبة العيد. أعدَّت أمي قِدرًا كبيرة من يخنة اللحم المعلَّب، وكان مسموحًا لكلٍّ منا تلك الليلة بأن يتناول طبقًا ثانيًا، بما أننا في مناسَبة خاصة للغاية، بل إننا تناولنا شرائح الخوخ على سبيل طبق الحلو كذلك. لم يأكل دادي ومامي الكثير منها، وقالا إنها مكافأة خاصة لي، لكنهما جرَّباها على كلِّ حال لأنها كانت العلبة الأخيرة، وقال دادي إنه يجهل متى سنذوق الخوخ مرَّة أخرى. أسكتَته مامي، ثم بدأنا ترديد جميع أغاني الأعياد التي نذكرها.

لم يكن دادي موجودًا عندما استيقظنا في الصباح. قالت مامي إنه اضطرَّ إلى الخروج بعض الوقت، لكن طريقة بكائها أنبأتني بأنه

https://jadidpdf.com

غالبًا لن يعود. شعرتُ بالخوف، فقالت لي مامي أن أذهب لأفتح هداياي.

تحت شجرة الكريسماس الزائفة كانت أشياء موضوعة، كلها من لُعبي القديمة التي أتيا بها من أعلى، وكانت هناك أيضًا عُلبة صغيرة فيها حصَّة دادي من الحبوب المضادة للإشعاع.

سخيفٌ دادي حقًّا! من يريد حبوبًا كهدية؟

---

آلكس شڤارتسمان (١٩٧٥- )، كاتب خيال علمي أمريكي يكتب القصص القصيرة لعدَّة مجلات.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Nuclear Family*» في مجلة «*Kasma SF*» عام ٢٠١٢.

https://jadidpdf.com

# بنات آوى والعرب

## *فرانتس كافكا*

كنا مخيِّمين في الواحة وقد خلد رفاقي إلى النوم، ومرَّ شبحٌ طويل أبيض لرجلٍ عربي يُعنى بالجِمال في طريقه إلى مكان نومه بدوره.

استلقيتُ على ظهري وسط العُشب محاولًا الاستسلام للنوم لكنني لم أفلح، خصوصًا عندما تعالى عواء أحد بنات آوى على مسافةٍ من المخيَّم، فاعتدلتُ جالسًا من جديد. ثم إن ما كان بعيدًا أصبح على حين غرة شديد القُرب. كانت بنات آوى محتشدةً حولي بأعيُن تومض ببريقٍ ذهبيٍّ باهت وأجسادٍ لدنة تتحرَّك برشاقةٍ وتوازُن كأنها تأتمر بلسعة سوط.

جاء واحدٌ من بنات آوى من خلفي داسًّا نفسه تحت ذراعي ومحتكًّا بي بشدَّةٍ كأنه ينشد الدفء، ثم وقف أمامي وتحدَّث إليَّ وعيناه شبه مثبَّتتين على عينيَ: «إنني أكبر بنات آوى سنًّا ها هنا وعلى مدى البصر، ويسرُّني أن ألتقيك أخيرًا. لقد كدتُ أفقدُ الأمل بعد أن انتظرنا مجيئك سنينًا بلا عدد. انتظرَتك أمي، وأمُّها من قبلها،

https://jadidpdf.com

وأمُّها من قبلها، بدايةً من الأم الأولى لجميع بنات آوى. الحق أقولُ، صدِّقني!».

ناسيًا إشعال كومة الحطب الجاهزة إلى جواري لإرهاب بنات آوى، قلتُ: «هذا مفاجئ لي، وإنني لمندهشٌ حقًّا لسماع هذا. إن الصدفة وحدها هي ما جاء بي من الشمال البعيد إلى هنا، كما أنني مجرَّد عابر ببلادكم، فما الذي تريده مني بنات آوى؟».

وكأنما شجَّعها هذا التساؤل الذي أحسبُ أنه كان ودودًا أكثر من اللازم، التفَّت حلقة بنات آوى حولي وقد طفقن يلهثن بأفواهٍ مفتوحة.

قال أكبرهن: «نعرف أنك جئت من الشمال، وهذا ما بنينا عليه آمالنا. إنكم أيها الشماليون تتمتَّعون بنوعٍ من الذكاء لا يمكن العثور عليه بين العرب. دعني أقولُ لك إنه لاَ توجد شرارة ذكاءٍ واحدة يمكن إشعالها من جلافتهم وغطرستهم الباردة. إنهم يقتلون الحيوانات ليأكلوها، أما الجيفة فينبذونها».

قلتُ: «لا تتكلَّم بصوتٍ عالٍ هكذا، فثمَّة بعض العرب النائمين على مقربةٍ من هنا».

ردَّ ابن آوى: «أنت غريب هنا حقًّا، وإلا لكنتَ عرفتَ أن لا أحد من بنات آوى عبر تاريخ العالم كله شعر بالخوف من عربي. ولِمَ نخافهم؟ أليس طالعنا سيئًا بما يكفي لأن نعيش منفيين بين مخلوقاتٍ كهذه؟».

عقَّبتُ: «ربما، ربما، فجهلي بأمور البلاد البعيدة عني يجعلني

https://jadidpdf.com

عاجزًا عن الحُكم عليها كما ينبغي. يبدو لي أن نزاعكم نزاع شديد القِدَم، وربما يسري في دمائكم كذلك، وقد لا ينتهي إلا بالدم».

قال كبير بنات آوى: «أنت شديد الذكاء».

ثم بدأ القطيع كله في اللهاث بسرعةٍ أكبر، وبدأ الهواء يخرج من رئاتهن كثيفًا على الرغم من وقفتهن الثابتة، وقد انبعثت من فكوكهن رائحة كريهة اضطرتني إلى الضغط على أسناني في أحيانٍ كي أحتملها.

- «إنك شديد الذكاء بحق، فما قلته حالًا يتفق تمام الاتفاق مع تقاليدنا العتيقة. سوف نُريق دماءهم وينتهي النزاع».

قلت بحماسةٍ أشدُّ مما أردتُ: «لكنهم سيدافعون عن أنفسهم، وسيُردونكم بالعشرات ببنادقهم».

فقال: «لقد أسأت فهمنا. يبدو أن ثمَّة نوع من الضعف البشري يسود في الشمال البعيد كذلك. إننا لا نقترح أن نقتلهم، فمياه النيل كلها لا يمكنها تطهيرنا من فعلةٍ كهذه. إن مجرَّد مرآهم يجعلنا نُولِّي الأدبار إلى بقاعٍ الهواء فيها أنقى، إلى الصحراء التي هي وطننا لهذا السبب بالتحديد».

ثم إن جميع بنات آوي الحاضرات -بما فيهن أعداد أكبر جاءت من مسافاتٍ بعيدة- وضعن أنوفهن بين قوائمهن الأمامية وأخذن يلعقنها بكفوفهن كأنهن يحاولن إخفاء نوعٍ من الاشمئزاز قوي بما لا يُقاس.

https://jadidpdf.com

سألتُ محاولًا الوقوف على قدمَي: «ماذا تنتوون إذن؟»، لكنني لم أستطع النهوض إذ غرس اثنان صغيران من بنات آوى أسنانهما في معطفي وقميصي، فاضطررتُ إلى أن أظلَّ جالسًا.

قال ابن آوى الأكبر بجديَّة تامة: «هذه علامة على التكريم».

صحتُ وأنا ألتفت إلى ابن آوى الأكبر تارة وإلى الصغيرَيْن تارة: «أريدهما أن يبتعدا!».

- «سيبتعدان بالطبع إذا كانت هذه رغبتك، لكن هذا سيستغرق بعض الوقت، لأن أسنانهما مغروسة بعُمقٍ كما تنصُّ أعرافنا، وعليهما تحرير فكوكهما أولًا. لكن في تلك الأثناء أريدك أن تُصغي إلى مطلبنا».

- «لكن سلوككم لا يُزيدني رغبةً في تلبيته».

قال وقد تبدَّى الحزن في نبرة صوته للمرَّة الأولى: «لا تحمل علينا كوننا نتسم بالخَرَق، فنحن مخلوقات مسكينة لا تملك شيئًا إلا أسنانها، وأيًّا كان ما نريد أن نفعله -خيرًا كان أو شرًّا- فلا نفعله إلا بأسناننا».

قلتُ بغير راحة: «حسن، ماذا تريدون إذن؟».

هتف وبقية بنات آوى تعوي في ما بدا لي كلحنٍ يجيء من بعيد: «سيدي، نريد منك أن تضع نهايةً لهذا الصراع الذي يُقسِّم العالم تقسيمًا. إنك أنت الرجل الذي تنبَّأ أسلافنا بأنه سيولد كي يقوم بهذه المهمة بالتحديد. لا نريد أن يقضَّ العرب علينا مضاجعنا بعد الآن،

https://jadidpdf.com

نريد مساحة لنتنفَّس، أُفُقًا خاليًا منهم. نريد ألا نسمع ثغاء الغنم التي يذبحها العرب مرَّة أخرى، أن يموت كل حيوانٍ ميتة طبيعية دون تدخُّل، إلى أن نأتي على الجيفة كلها فلا نترك منها إلا العظام نظيفة بيضاء من غير سوء. النظافة ولا شيء غيرها هي ما نبغي. (والآن بدأ قطيع بنات آوى في النواح والعويل). كيف يمكنك احتمال العيش في عالمٍ كهذا يا صاحب القلب النبيل والأمعاء الطيبة؟ إن القذارة بياضهم، والقذارة سوادهم. لحاهم تثير الرعب، ومجرَّد رؤية محجر عين الواحد منهم تثير فيك الرغبة في البصاق، وعندما يرفع أحدهم ذراعه تجد ظلمات الجحيم تتثاءب تحت الإبط. لهذا -أيها السيد الطيب، أيها السيد المبجَّل- نريد منك أن تجزَّ أعناقهم بهذا المقص!».

ولوَّح برأسه فجاء واحد من بنات آوى حاملًا بين فكَّيه مقص خياطة صغيرًا غلَّفه الصدأ يتدلى من نابٍ طويل.

- «إذن ها هو المقص أخيرًا، وفي الوقت المناسب!»، صاح بها فجأةً قائد المجموعة العربية الذي كان قد زحف نحونا ضد اتجاه الريح، والآن كان يُلوِّح بسوطه في الهواء. ولَّت بنات آوى هاربةً، وإن تجمَّعت في حشدٍ متقارب الأجساد على مقربةٍ منا كأن حزامًا خفيًّا طوَّقها بمجرَّد أن أخذ العربي يلسع الفراغ بالسوط.

قال العربي ضاحكًا بأكبر قدرٍ من المرح يسمح به تحفُّظ بني قومه: «إذن فقد شهدتَ أنت أيضًا فقرة التسلية هذه يا سيدي».

سألته: «أتعرف ما يردنه إذن؟».

https://jadidpdf.com

أجاب: «بالطبع. إنها حكاية متداولة معروفة: ما دام العرب باقين سيبقى المقصُّ يجوب الصحراء، وسوف يجوبها معنا إلى نهاية أيامنا. إنه يُعرَض دائمًا على كلِّ أوروبي يأتي هنا، وكل أوروبي لديهم هو المختار الذي أرسلته إليهم الأقدار. هذه الحيوانات لديها أكثر الآمال طيشًا وجنونًا. إنهم حمقى، حمقي لا مثيل لهم، ولهذا السبب نحب بنات آوى، فهي كالكلاب الأليفة عندنا، كلاب أفضل مما عندكم بكثير بالمناسبة. راقب ما سيحدث الآن. لقد مات أحد جِمالنا ليلة البارحة، وطلبتُ إحضار جثته إلى هنا».

جاء أربعة رجال حاملين الجثة الثقيلة وألقوها أمامنا، ولم تكن الجثة قد لمست الأرض بعد عندما رفعت بنات آوى أصواتها بالعواء، وكأن حبلًا يسحبها بدأت تزحف إلى الأمام بتردُّدٍ على بطونها. نسيت بنات آوى العرب، نسيت البغضاء التي تحملها وقد سحرها حضور الجيفة نتنة الرائحة تمامًا. كان أحدها الآن متشبثًا بعُنق الجمل الميت بالفعل وقد غرس أسنانه حتّى آخرها في أحد الشرايين، وكمضخةٍ قويةٍ صغيرة تحاول بكل ما لديها من عزمٍ وأملٍ إطفاء حريق متأجّج، أخذت كل عضلةٍ في جسد ابن آوى ترتعش وتتقلّص مع المجهود الذي يبذله في افتراس الجثة، ولم يمض إلا لحظاتٍ قبل أن يعتلي القطيع كله الجثة، يتكوَّم بعضه فوق بعض كأنه جبل شاهق.

بدأ قائد القافلة يهوي بالسوط على ظهور بنات آوى وقد بدت تلك كأنها على وشك السقوط في إغماءة من فرط النشوة، وعندما

https://jadidpdf.com

رأين العرب واقفين أمامهن وشعرن بلسعة السوط على أجسادهن لُذن بالفرار. لكن دم الجمل كان قد سال بِرَكًا بِرَكًا بالفعل، وفاحت رائحته المنفِّرة وتمزَّقت الجثة وتشوَّهت في غير موضع. لم تستطع بنات آوى المقاومة وعُدن مرَّة أخرى، فرفع العربي سوطه من جديد، إلا أنني أمسكتُ ذراعه، فقال: «ليكن يا سيدي، سنتركهن وشأنهن. كما أننا يجب أن نتحرَّك الآن على كلِّ حال. مخلوقات مدهشة بنات آوى تلك، أليس كذلك؟ ولكم تمقتنا!».

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Schakale und Araber*» في مجلة «*Der Jude*» عام ١٩١٧، والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية المعتمدة لويلا وإدوين ميور.

https://jadidpdf.com

# بَعد...

## *رون كولنز*

فقط بعد أن تقضي حياتك كلَّها في التدريبات (متخلِّيًا عن ساعات المرح مع الأصدقاء في نهاية كلِّ أسبوع ومشاهَدة مباريات كرة القدم والسَّهر، من أجل دراسة أنظمة التحكُّم والديناميكا الحراريَّة، ثم قوائم عمليَّات الإطلاق وفيزياء إعادة دخول الغلاف الجوي، وآلاف الأشياء الأخرى التي يحشون رأسك بها)، بعد أن تكتشف أن المشكلة كلَّها سبَّبها عُطل ميكانيكي بسيط (مفتاح ربط أسود لم يُصمَّم ليسقط في ميكانيزم غُرفة معادلة الضغط، لكنه سقط رغم ذلك)، بعد أن تجد نفسك خارج السفينة، تشاهِد رفاقك المحمومين يُجرِّبون كلَّ ما تخلَّوا في سبيل دراسته عن ساعات المرح مع الأصدقاء في نهاية كلِّ أسبوع ومشاهَدة مباريات كرة القدم والسَّهر (ثم يُجرِّبون مئات الأشياء الأخرى غير المذكورة في كُتيِّبات التعليمات وبرامج الكومبيوتر)، بعد أن تُدرِك أنهم لا يستطيعون التفكير في أيِّ حلول، فتقطع الحبل الذي يربطك بالسفينة كي لا تُسبِّب لهم المزيد من الألم، وتبدأ في الدوران في الفضاء السرمدي

https://jadidpdf.com

ساعات، أيامًا، أسابيع، فيما تفرغ شُحنة بطَّارية بذلتك بالتدريج؛ فقط بعد كلِّ هذا العمل والجهد والمعاناة تتطلَّع بمخِّك -الذي بدأ يعاني نقْص الأوكسجين- إلى كونٍ شديد العُمق يزخر بالنجوم والمجرَّات والكواكب والأقمار وآلاف الأشياء الأخرى التي لا تستطيع تخيُّلها حتى، فتجد نفسك تُتَمتِم: «كم أنت جميلٌ حقًّا».

---

رون كولنز شاب أمريكي يكتب قصص الخيال العلمي لعددٍ من المجلات، ونُشرت قصَّته هذه على موقع «*The Chair Parade*» عام ٢٠١٣.

https://jadidpdf.com

# رجل الذَّاكرة

## *بيتر بيكسل*

عرفتُ رجلًا يحفظ مواعيد القطارات عن ظهر قلب، فعلى ما يبدو كانت السكك الحديديَّة الشيء الوحيد الذي يثير اهتمامه بحق. كان يقضي الساعات في محطة القطار، يراقب كيف ترحل القطارات وتجيء، ينظر بدهشةٍ إلى العربات متعجبًا من قوة القاطرة وحجم العجلات، متعجبًا من حركة الموصِّلات الكهربائيَّة السريعة وعمل مجلس إدارة المحطة الدؤوب.

كان يعرف كلَّ قطارٍ يتوقف في تلك المحطة أو يمرُّ بها، من أين يأتي وإلى أين يذهب وفي أيِّ محطاتٍ أخرى سيتوقَّف، ويعرف أرقام القطارات ومواعيدها وما إن كانت تضمُّ عربات طعام أو عربات بريد أو عربات نوم، ويعرف أسعار التذاكر والغرامات و... باختصار، كان يعرف كلَّ ما يمكن معرفته عن السكك الحديدية.

لم يكن من مرتادي المطاعم أو دور السينما، ولم يكن يهوى التنزُّه أو ركوب الدراجات أو الاستماع إلى الراديو أو مشاهَدة التليفزيون،

https://jadidpdf.com

ولا كان حتّى من قراء الصحف أو الكتب أو المجلات، حتّى إنه لم يكن يقرأ الخطابات التي تصله. طبعًا لم يكن يملك الوقت ليفعل أيًا من تلك الأشياء، لأنه يقضي أيامه في المحطة. فقط عندما تتغير خطة القطارات في مايو وأكتوبر لا يراه أحد لبضعة أسابيع، إذ يجلس في منزله أمام المنضدة ويحفظ خطة القطارات الجديدة، يقرأها من أول إلى آخر صفحة ويسجّل التغييرات في ذاكرته، وبالطبع كان يسعد بذلك.

أحيانًا كان يحدث أن يسأله أحدهم عن موعد قيام قطارٍ ما. عندئذٍ يتحمس ويشرق وجهه و... وبالطبع لست ترغب في أن تسأله، لأنك لو استمعت إليه فلن تلحق بموعد القطار، فهو لن يتركك مطلقًا، بل سيُخبرك بعدد العربات في القطار وطراز القاطرة والمحطات التي ستمرُّ بها، ويوضّح أنه يمكن استقلال هذا القطار إلى باريس مع تغييره بآخر في أمستردام أو بروكسل، مع إخبارك بموعد الوصول بالضبط.

لم يكن يستوعب أن الناس لا يكترثون لذلك، وعندما يتركه أحدهم ويواصل سيره دون أن ينتهي من سرد كل المعلومات التي لديه، كان يستشيط غضبًا وينهال بالسباب على رأس السائل.

العجيب أنه هو نفسه لم يسافر بالقطار قط!

كان يقول إن هذا ليس له معنى لأنه يعرف مسبقًا موعد وصول وقيام القطار، وكانت حجته في ذلك أن ذوي الذاكرة الضعيفة فقط هُم من يسافرون بالقطار، لأنهم لو كانوا يملكون ذاكرة قوية مثله

https://jadidpdf.com

لكان بإمكانهم معرفة مواعيد القيام والوصول كما يفعل، ولم ليكن لزامًا عليهم أن يسافروا ويعايشوا وقت السفر.

حاولتُ أن أوضح له قائلًا: «لكن هناك من يسعدون بالرحلة ويفضِّلون السفر بالقطار. ربما يناسبهم الجلوس إلى جوار النافذة ومشاهدة الموجودات في الخارج».

لكنه غضب لأنه اعتقد أنني أسخرُ منه، وقال: «حتى هذا موجود في خطة السفر، إنهم يمرُّون بلوترباخ وديتيجن ونيدربيت و...»، وأخذ يحصي المدن الألمانية التي تمرُّ بها القطارات.

تمالكتُ أعصابي وقلتُ له: «ربما يسافر الناس بالقطار لأنهم يرغبون في الذهاب إلى مكانٍ ما».

قال غاضبًا: «حتى هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًّا، لأن جميعهم تقريبًا يعود مرة أخرى! بل إنه يوجد بعض من يركبون من هنا كل صباح ويعودون في المساء. ذاكرتهم ضعيفة جدًّا!».

وأخذ يسبُّ من في المحطة متهمًا إياهم بضعف الذاكرة، وأراد أن «يُفسِد متعة» ركَّاب قطار ما فقال لهم بشماتة: «ستمرُّون بهاجن دورف!». ثم إنه صرخ: «لقد سافرتم بالأمس بالفعل أيها الأغبياء!».

وعندما اكتفى الناس بالضحكات المشفقة أخذ يجذبهم من على درجات القطار مقسمًا ألا يسافروا به أبدًا.

- «سأشرحُ لكم كل شيء بالضبط: ستمرُّون في الساعة ١٤:٢٧

https://jadidpdf.com

بهاجن دورف. أنا أعرفُ هذا بالضبط وسترون. إنكم تضيعون أموالكم هباءً. كل شيء موجود في خطة السفر!».

فلمّا لم يعره أحدهم انتباهًا كاد يضربهم بزعم أنّ الذي لا يسمع يجب أن يحس!

طبعًا لم يكن أمام أمن المحطة إلا أن يخبره بأنه ممنوع من التواجد فيها بعد الآن إذا لم يهدِّئ ثورته. أصيب الرجل بالهلع لأنه لم يكن يستطيع الحياة من دون المحطة، وهكذا لم ينطق بكلمةٍ واحدة. فقط كنت تجده بعد ذلك اليوم جالسًا بصمتٍ يراقب القطارات تأتي وتذهب، ومن آنٍ إلى آخر يهمس لنفسه ببعض الأرقام محاولًا فهم تصرفات الناس الغريبة.

إلى هنا وكان يمكن أن تنتهي الحكاية بالفعل...

لكن بعد مرور عدة سنوات افتُتِح مكتب للاستعلامات في المحطة، حيث جلس رجل بالزي الرسمي خلف الشباك. هذا الرجل يعرف إجابات كل الأسئلة التي لها علاقة بالسكك الحديديَّة، الأمر الذي لم يصدِّقه رجل الذاكرة. هكذا كان يذهب كل يوم إلى مكتب استعلامات مختلف ويسأل عن تفصيلة صعبة للغاية كي يختبر الموظفين، فمثلًا يسأل: «ما رقم القطار الذي يصل إلى لوبك أيام الأحد في الساعة السادسة و٢٤ دقيقة صيفًا؟»، فينقر الموظف على بضعة أزرار في جهاز الكومبيوتر ويذكر له الرقم الدقيق. ويسأل: «متى أصلُ إلى موسكو إذا سافرتُ من هنا في قطار التاسعة و٥٧ دقيقة؟»، فيجيبه الموظف.

https://jadidpdf.com

استسلم رجل الذاكرة إلى قدره ومزق كل خطط السفر التي لديه وقرَّر أن ينسى كل ما يعرفه. إلا أنه ذات يوم سأل أحد الموظفين: «كم عدد درجات السلالم التي أمام المحطة؟»، فقال الموظف بلا مبالاة إنه لا يعرف.

كاد الرجل يطير في الهواء من فرط السعادة وهو يهتف: «لا يعرف! لا يعرف!».

وأخذ يعدُّ سلالم المحطة ويطبع الأرقام في ذاكرته التي لم تعد تحمل أرقام ومواعيد القطارات.

ومنذ ذلك اليوم لم يره أحد مرَّة أخرى في المحطة، فهو الآن يتنقَّل في المدينة وينتقل من مبنى إلى آخر ليعدَّ درجات السلالم جيدًا، وعندما عرف أعدادها في المدينة كلها استقلَّ القطار لأول مرة في حياته إلى مدينةٍ أخرى ليعدَّ السلالم هناك، ثم يتابع السفر ليعدَّها في العالم كله.

كلُّ هذا ليعرف شيئًا لا يعرفه أحد.

شيئًا لا يمكن لأي موظف معرفته عن طريق الكومبيوتر.

---

بيتر بيكسل (١٩٣٥- ) كاتب قصص أطفال وصحافي سويسري شهير.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Der Mann mit dem Gedächtnis*» عام ١٩٧٠، والترجمة عن الألمانية مباشرةً.

https://jadidpdf.com

# يوم جاءت الأطباق الطائرة

## *نيل جايمان*

في ذلك اليوم هبطَت الأطباق الطائرة.

مئات منها، ذهبيَّةٌ صامتةٌ هبطَت من السَّماء، كأنها رقائق ثلجٍ ضخمة.

ووقفَ أهل الأرض وحدَّقوا إليها وهي تقترب، منتظرين بأفواه جافَّة خروج ما يقبع في داخلها.

ولا أحد منا كان يعرف إن كنا سنظلُّ هنا غدًا.

لكنكِ لم تُلاحظي هذا لأن...

... في ذلك اليوم، يوم جاءت الأطباق الطائرة، فُتِحَت القبور لتلفظ ما فيها.

وانبثقَ الموتى من قلب الأرضِ ليجتاحوا الأرضَ بأعيُنٍ خاوية من كلِّ تعبير، ودون أن يقوى أحد على أن يوقفهم.

لكنكِ لم تلاحظي هذا لأن...

https://jadidpdf.com

... في ذلك اليوم، يوم جاءت الأطباق الطائرة ويوم الموتى الأحياء، اندلعَت معركة الآلهة الكبرى.

وأرَتنا شاشات التلفاز سفينةً مصنوعةً من أظفار الموتى، وأفعى، وذئبًا.

كلها أضخم مما يتصوَّر خيال البَشر.

ولم يستطِع المصوِّرون الابتعاد بما يكفي.

ثم خرج الآلهة من السفينة.

لكنكِ لم تري هذا، لأن في يوم الأطباق الطائرة والموتى الأحياء ومعركة الآلهة، تحطَّمت السدود كلها.

وأغرقَ الجن والأشباح العالم، يعرضون علينا الأماني والعجائب والأبديَّة.

والسِّحر والذَّكاء والقلوب الشُّجاعة، وقدورًا وقدورًا من الذهب.

وانتشرَ العمالقة في أرجاء الأرض كلها، والنَّحل القتَّال.

لكنكِ لم تملكي فكرةً عن شيءٍ من هذا لأن...

... في ذلك اليوم، يوم الأطباق الطائرة والموتى الأحياء ومعركة الآلهة الأخيرة، يوم الجنيَّات.

يوم هبَّت الرِّيح العُظمى والجَليد، يوم تحوَّلت المدائن إلى بلَّور، يوم ماتَت النباتات وذابَت الجمادات.

https://jadidpdf.com

يوم انقلبَت علينا أجهزة الكومبيوتر وقالت لنا الشّاشات أن نُطيع.

يوم خرجت الملائكة تترنّح من الحانات، ويوم قُرِعَت أجراس لندن كلها.

يوم خاطبَتنا الحيوانات بالسّريانيّة، ويوم رأينا رجل الثلوج رأي العين.

يوم حلّق ذوو القوى الخارقة في السّماء بحراملهم، ويوم اخترَعنا آلة الزمن.

لم تلاحظي أيًا من هذه الأشياء لأنكِ...

... في غرفتكِ كنتِ جالسةً، لا تفعلين شيئًا، لا تقرئين.

كنتِ -فقط- تتطلّعين إلى شاشة الهاتف.

تتساءلين إن كنتُ سأتّصلُ بكِ.

---

نُشرت القصّة بعنوان «*The Day the Saucers Came*» في مجموعة «*Smoke and Mirrors*» عام ١٩٩٨.

https://jadidpdf.com

# حُلم

## *فرانتس كافكا*

كان جوزيف ك. يحلم...

كان الجو صحوًا، فقرَّر جوزيف أن يخرج ليتمشَّى، لكنه لم يكد يخطو خطوتين حتّى وجد نفسه في المقابر، حيث تمتلئ الطُّرقات بالمنعطفات الصاعدة والهابطة على نحوٍ يجعلها غير عملية، لكنه سرى في واحدٍ منها كأن جدولًا من الماء يحمله باتزانٍ لا يهتزُّ. من على مسافةٍ بعيدة لمحت عيناه كومةً من التُّراب خرجَت من قبرٍ جديد في الأرض، ووجد في نفسه رغبة في التوقُّف إلى جوارها، إذ بسطت عليه إحساسًا أقرب إلى الافتتان، وشعر بأنه لا يستطيع بلوغها بسرعةٍ كافية. كان يسري، لكن كومة التُّراب ظلَّت تغيب عن ناظريه بين الحين والآخر، إذ حجبتها رايات تُرفرِف وتخفق فيضرب بعضها بعضًا بقوةٍ عظيمة. لم يرَ جوزيف حاملي الرايات، وإن بدا له أن هناك احتفالًا بهيجًا مُقامًا هناك.

وكان لا يزال يرمق كومة التُّراب البعيدة عندما رآها فجأةً على مقربةٍ منه، بل إنه كاد يتجاوزها بالفعل. وثب جوزيف من

https://jadidpdf.com

طريقه إلى العُشب، لكن لأن الطريق يتحرَّك بسرعةٍ تحت قدميه العجولتيْن، فقد ترنَّح وسقط على ركبتيه أمام القبر المفتوح. كان هناك رجلان واقفان وراء القبر يحملان شاهدًا بينهما في الهواء، ولم يكد جوزيف يحطُّ أمام القبر حتّى ألقيا الشاهد في الأرض، فوقف ثابتًا فيها كأنه دعامة لا تتزحزح. في تلك اللحظة خرج من بين الشجيرات رجل ثالث عرف جوزيف على الفور أنه رسَّام، يرتدي سروالاً وقميصًا وُضعت أزراره في العراوي الخطأ، وعلى رأسه يعتمر قبعة من المخمل، وفي يده يحمل واحدًا من أقلام الرصاص التقليدية أخذ يرسم به أشكالًا في الهواء وهو يدنو، حتّى توقَّف أمام شاهد القبر الطويل للغاية، فلم يحتج الرسَّام إلى أن ينحني إلى أسفل، وإن كان مضطرًّا إلى الميل إلى الأمام مع حيلولة كومة تُراب القبر -التي امتنع من الخطو عليها- بينه وبين الشاهد.

هكذا وقف الرسَّام على أطراف أصابعه وثبَّت نفسه بيده اليسرى على الشاهد المسطَّح. ثم إنه، وبمهارةٍ مدهشة، بدأ يُخرج حروفًا ذهبية من قلمه الرصاص التقليدي، فكتب «هنا يرقد --» بحروفٍ نضيدةٍ جميلة ذات نقوشٍ أنيقة من أنقى أنواع الذهب. عندما خطَّ الرسَّام هاتين الكلمتين التفت يرمق جوزيف من فوق كتفه، أما جوزيف -الذي كان متشوِّقًا للغاية لمعرفة نهاية العبارة المخطوطة على الشاهد- فلم يُعر الرجل كثيرًا من الاهتمام وظلَّ مُركِّزًا عينيه على الشاهد. ثم إن الرجل عاد يواصل عمله، لكنه لم يستطع الاستمرار، إذ كان ثمَّة شيء ما يعيقه، فخفض يده حاملة القلم والتفت يرمق جوزيف مرَّة أخرى. هذه المرة بادله جوزيف

https://jadidpdf.com

النظرات، ولاحظ أنه يشعر بكثيرٍ من الخجل، وإن كان عاجزًا عن التفسير. تلاشت حيوية الرسَّام السابقة بغتةً، وهو ما جعل جوزيف يشعر بالخجل بدوره، وأخذ الاثنان يتبادلان النظرات العاجزة مع شعورٍ بسوء فهمٍ عميق بينهما لم يستطع أيهما حلَّه. والآن بدأ جرس صغير يدقُّ في غير أوانه من كنيسة المقابر، فلوَّح الرسَّام بيده بحركةٍ جعلت الجرس يتوقَّف، لكن لم يمض وقت طويل حتّى عاد الجرس يدق ثانيةً، هذه المرَّة بنعومةٍ شديدة ودون إصرار، قبل أن يصمت مرَّة أخرى كأنه كان يختبر نغماته فحسب.

شعر جوزيف بالأسى لورطة الرسَّام، فبدأ يبكي، وانتحب لفترةٍ طويلة وقد ضمَّ كفيه حول وجهه. انتظر الرسَّام حتّى هدأ جوزيف، ثم قرَّر أنه ليس هناك ما يُمكنه فعله، فعاد ليُكمل الكتابة. تنفَّس جوزيف الصعداء مع أول ضربةٍ صغيرة من قلم الرسَّام على شاهد القبر، ولو أن من الواضح تمامًا أن الرسَّام فعلها على مضضٍ شديد. هذه المرَّة لم تكن الحروف المخطوطة بجمالِ الأولى، وفوق كلِّ شيءٍ بدا غياب اللون الذهبي جليًّا مع الحرف الجديد الشاحب غير المنتظم الذي تكوَّن. كان حرف (ج) كبيرًا غير مكتمل. وفي تلك اللحظة دقَّ الرسَّام بقدمٍ واحدة على كومة تُراب القبر بغضبٍ جعل التُّراب يتناثر حوله في الهواء.

أخيرًا فهمه جوزيف، وإن كان أوان الاعتذار قد فات، فبدأ بأصابعه كلها يحفر في التُّربة التي لم تُبدِ أيَّ مقاومة. كان كل شيء يبدو كما لو أنه مُعَدٌّ مسبقًا، إذ إن هناك قشرة رقيقة من التُّربة فقط موجودة لتُعطي المنظر المطلوب، وبمجرَّد أن بدأ جوزيف الحفر

https://jadidpdf.com

انفتحت حُفرة كبيرة في الأرض ذات جوانب شديدة الانحدار غاص فيها وقد انقلب على ظهره بخفَّة.

وبينما استقبلته أغوارٌ لا يمكن النفاذ إليها، ورأسه لا يزال قائمًا إلى أعلى، لمح جوزيف ك. اسمه على شاهد القبر بالأعلى بحروفٍ منمَّقةٍ مزخرفة.

ثم إنه، مسحورًا بالمشهد، استيقظ من حُلمه.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Ein Traum*» في مجموعة «*Ein Landarzt*» عام ١٩١٩، والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية المعتمدة لويلا وإدوين ميور.

https://jadidpdf.com

# ثلاث صُور

## *ڤيرجينيا وولف*

### الصورة الأولى

من المستحيل ألا يرى المرء منا الصُّور، فإذا كان أبي حدَّادًا وأبوك من علية القوم، فمن المؤكَّد أن كلًّا منا يرى صورةً ما في الآخر بطبيعة الحال، ولا أحد منا يستطيع الهرب من إطار الصورة مستخدمًا الكلمات التقليدية. هَب أنك تراني مستندةً إلى باب ورشة الحدادة أحملُ حدوة حصان في يدي، فتقول في سريرتك وأنت تمرُّ بي: «هذا المشهد يصلح لصورة!»، في حين أراك أنا جالسًا باسترخاءٍ في سيارتك الفاخرة، كأنك على وشك الانحناء للجماهير، وأفكِّرُ في أنك صورة لإنجلترا الأرستقراطية بكل ما فيها من بذخ! كلانا مخطئ تمامًا في تصوُّره لا شك، لكن هذا مُحتَّم.

عند منعطف الطريق رأيتُ واحدةً من تلك الصُّور، ولعل شيئًا على غرار «عودة البحَّار إلى الوطن» كان يصلح اسمًا لها.

بحَّار شاب وسيم يحمل صُرَّة في يده، وفتاة تضع يدها على

https://jadidpdf.com

ذراعه، والجيران يجتمعون حولها، وحديقة كوخٍ صغير ملأى بالزهور... مع مرورك كنت لتقرأ على قاعدة الصورة أن البحَّار عاد لتوِّه من الصين، وأن وجبةً شهيةً تنتظره بالداخل، وأنه يحمل هدية لزوجته الشابة في صُرَّته، وأنها ستحمل طفلهما الأول قريبًا. كل شيءٍ مضبوط سليم كما ينبغي أن يكون، وهذا هو الانطباع الذي كنت لتستمدَّه من الصورة.

ثمَّة شيء ما جميل كان ليُشعرك بالرضا إذا رأيت كل هذه السعادة، كنت لترى الحياة أجمل وترغب في أن تنغمس فيها أكثر.

جالت هذه الخواطر ببالي وأنا أمرُّ بهم محاولةً ملء الصورة قدر الإمكان إذ لاحظتُ لون فستانها ولون عينيه ولمحتُ القطة المشمشية وهي تنسلُّ إلى داخل الكوخ.

ظلَّت الصورة مصاحبةً عينَي بعض الوقت، جاعلةً أكثر الأشياء يبدو أكثر بهجةً ودفئًا وبساطةً من المعتاد وجاعلةً بعض الأشياء يبدو سخيفًا، وبعض الأشياء صحيحًا، وبعض الأشياء خطأ، وبعضها ذا معنى أكثر من قبل. في لحظاتٍ غريبة في ذلك اليوم واليوم الذي تلاه كانت الصورة تعود إلى مخيِّلتي لتجعلني أفكِّرُ بلُطفٍ -لا يخلو من حسد- في البحَّار وزوجته وأتساءلُ عمَّ يقولانه ويفعلانه الآن، وتفتَّق الخيال عن صُورٍ أخرى وأخرى انبثقت من الصورة الأولى.

صورة للبحَّار وهو يقطِّع الحطب، يسحب الماء من البئر، يحكي لامرأته الشابة عن الصين وقد وضعت هديته لها على رفِّ المدفأة حيث تظل ظاهرةً لأعيُن كل من يأتون لزيارتها. هي تحيك ملابس

https://jadidpdf.com

مولودها القادم، والنوافذ والأبواب كلها مفتوحة على الحديقة لتتدفَّق رفرفة الطيور وأزيز النحل إلى الداخل، ورودجرز (كان هذا اسمه) يُعبِّر عن كم ارتياحه ها هنا مقارنةً ببحار الصين وقد شرع يُدخِّن غليونه مادًّا ساقيه إلى الحديقة.

## الصورة الثانية

دوَّت الصرخة الرهيبة في أنحاء القرية في ظلام الليل، ثم جاء صوت يشبه خطواتٍ سريعة، وبعده الصمت التام.

كل ما كانت تُمكن رؤيته من النافذة هو فرع شجرة الليلك الساكن على الناحية الأخرى من الطريق. كانت ليلة حارَّة بلا قمر، والصرخة جعلت كل شيء منذرًا بالخطر.

من صرخت؟ ولِمَ صرخت؟

كانت صرخة امرأة جعلتها حدَّتها تكاد تكون بلا جنس، بل وبلا تعبير، كأن الطبيعة البشرية نفسها صرخت في وجه شرٍّ ما أو رعبٍ ما غير قابلٍ للوصف.

ران الصمت ثقيلًا، وجاء ضوء النجوم باردًا ثابتًا. لا حراك في الحقول، لا حركة في الأشجار. لكن كل شيءٍ كان يحمل الآن سمت الذنب والإدانة، سمت الشرور. خطر لي أن شيئًا لا بد أن يحدث الآن، أن يلوح ضوء ما يتحرَّك بارتباك، أن يظهر أحدهم راكضًا في الطريق. المفترض أن تُضاء الأنوار وراء نوافذ البيوت، ولربما تصدر صرخة أخرى لكن أكثر تعبيرًا وربما أكثر هدوءًا. لكن

https://jadidpdf.com

لا ضوء ظهر ولا أقدام ركضت ولا صرخة ثانية دوّت. ابتلع الليل الصرخة الأولى، ولم يبق إلا الصمت.

تمدَّدتُ في الظلام مرهفةً أذنَي. كان مجرَّد صوتٍ بلا أي شيءٍ يربطه بأي شيء، بلا صورة من أيٍّ نوعٍ تصف فحواه وتجعله مفهومًا للعقل. وإذ ذهب الليل أخيرًا، كان كل ما رأيت هو شبح غير واضح المعالم لإنسانٍ يرفع ذراعه العملاقة في وجه شرٍّ مستطير.

## الصورة الثالثة

ظلَّ الطقس معتدلًا، ولولا تلك الصرخة الوحيدة التي تردَّدت ليلًا لحسبت أن الأرض كفَّت عن الدوران وأن الحياة تجمَّدت أو لجأت إلى كهفٍ هادئ وسكنت هناك. لكن الأصوات عادت، وأينما رحت -في جولةٍ طويلة بين التلال مثلًا- كنت لتشعر بشيءٍ يتقلَّب باضطرابٍ تحت السطح جاعلًا كل السلام والاستقرار الباديَيْن غير حقيقيَّيْن بشكلٍ ما.

كانت الخراف مجتمعةً عند جانب التل، والوادي يمتدُّ كأمواجٍ مدرَّجة كسقوط المياه الملساء. بلغتُ بيت مزرعة رأيت عنده جروًا يلعب في الباحة والفراشات تطفر مرحًا بين الزهور. كل شيء كان هادئًا مسالمًا تمامًا، لكن فكرة الصرخة التي مزَّقت كل هذا الهدوء ظلَّت تلاحقني. كل هذا الجمال كان شريكًا بالصمت في الليلة السابقة إذ وافق على أن يظل كما هو لا يتبدَّل. كل هذا الجمال والسلام كان على السطح فقط.

ثم إنني، كي أطرد هذه الأفكار الكئيبة من رأسي، عدتُ إلى

https://jadidpdf.com

صورة البحَّار العائد. رأيتها مرة أخرى وهي تغزل تفاصيل صغيرة عديدة أخرى: لون فستان الفتاة الأزرق، الظِّل الذي ألقته الشجرة الصفراء المزهرة... تلك التفصيلة الأخيرة لم تُستخدم من قبل. عند باب الكوخ وقفا وصُرَّته على ظهره وهي تمس كُم قميصه بيدها بخفَّة، والقطة المشمشية تنسلُّ إلى الداخل. هكذا ظللتُ أمرُّ على تفاصيل الصورة بالتدريج إلى أن أقنعت نفسي إلى حدٍّ ما بأن الاحتمال الأعظم أن الهدوء والقناعة والسلام هي الأشياء التي تستقرُّ تحت السطح أكثر من كل شيءٍ آخر مشؤوم، الخراف وأمواج الوادي وبيت المزرعة والجرو اللاهي والفراشات الراقصة في كل مكان. هكذا عدتُ أدراجي وأنا أفكِّرُ في البحَّار وزوجته، وفي عقلي صورة بعد صورة لهما كي تتراكم طبقات الصُّور فوق الصرخة الشنيعة إلى أن تكتمها وتقتلها.

ها هي القرية أخيرًا، وباحة الكنيسة التي لا بد من أن أمرَّ بها. هناك خطر لي الخاطر المعتاد ذاته، أن المكان شديد الهدوء شديد السلام بأشجاره دائمة الخضرة والشواهد المصقولة والقبور التي بلا اسم. الموت مبهج هنا! نعم، انظر إلى هذه الصورة! كان الرجل يحفر قبرًا ويلهو الأطفال إلى جواره، وبينما يُلقي هو أكوام التربة الصفراء بالمجرفة على جانب القبر، كان الأطفال يلتهمون الخبز والمربى ويشربون الحليب من أكوابٍ فخارية كبيرة، وإلى شاهد قبرٍ ارتكنت زوجة الدفَّان (وهي امرأة بدينة حسناء) وفردت مئزرها على الكلأ إلى جانب القبر المفتوح لتضع عليه أقداح الشاي، وإن تناثر القليل من قطع الطمي بين الأقداح.

https://jadidpdf.com

سألتُ: «لمن القبر؟ هل مات دودسون العجوز أخيرًا؟».

رمقتني زوجة الدفَّان وأجابت: «لا، إنه رودجرز البحَّار. لقد مات منذ ليلتين بحمى أجنبيَّة ما. ألم تسمعي زوجته؟».

ثم هرعت إلى الطريق وصاحت في ابنها تومي موبخةً إياه على التُّراب الذي لوَّث نفسه به.

ويا لها من صورة!

---

ڤيرجينيا وولف (١٨٨٢-١٩٤١)، كاتبة إنجليزية من أيقونات الأدب الحديث في القرن العشرين، ومن أوائل من استخدموا تيار الوعي كطريقةٍ للسرد، من أهم أعمالها «الليل والنهار» و«السيدة دالواي» و«المنارة».

نُشرت القصَّة بعنوان «*Three Pictures*» في مجموعة «*The Death of the Moth*» عام ١٩٤٢، بعد وفاة المؤلِّفة.

https://jadidpdf.com

# فضيحة في بوهيميا

## *آرثر كونان دويل*

### الفصل الأول

عند شرلوك هولمز دائمًا ما ستظلُّ هي «المرأة»، إذ لم أسمعه يأتي على ذِكرها بأيِّ اسمٍ آخر إلا في مرَّاتٍ نادرة. في عينيه كانت تحجب بقيَّة بنات جنسها وتسمو عليهن مجتمعات. ليست المسألة أن شرلوك شعر بأيِّ نوعٍ من الحب نحو آيرين آدلر، فلطالما كانت المشاعر بشكلٍ عام -والحب على الأخص- شيئًا ينفر منه عقله البارد الدقيق الذي يُثير اتِّزانه الإعجاب.

أجسرُ على أن أقول إن هولمز كان أكمل آلة استنتاج وملاحَظة عرفها العالم، في حين أنه لا يستطيع التصرُّف كشخصٍ واقع في الحب على الإطلاق، فلم يكن يتكلَّم أبدًا عن العواطف الرقيقة إلا وقد صاحبت كلامه السُّخرية. أشياء كتلك تثير اهتمام الملاحِظ، فهي وسيلة ممتازة لإماطة اللثام عن دوافع الناس وأفعالهم، لكن أن يسمح المفكِّر المدرَّب لها بأن تصير دخيلةً على مزاجه المضبوط الحسَّاس، فمعنى هذا أنه يُدخِل على المعادلة عاملًا ملهيًا من شأنه

https://jadidpdf.com

أن يلقي ظلال الشك على جميع ثمار تفكيره. إذا بدأت واحدة من أدواته الحسَّاسة في إصدار صرير، أو إذا تصدَّعت واحدة من عدساته المُكبِّرة، فمع طبيعةٍ كطبيعته لن يكون هذا أكثر إزعاجًا من مجرَّد شعورٍ قويٍّ ما. ومع ذلك كانت هناك امرأة واحدة بالنِّسبة إليه، الراحلة آيرين آدلر، التي خلَّفت وراءها ذكرياتٍ ملأى بالشكوك والالتباس.

لم أكن قد رأيتُ هولمز كثيرًا في الفترة الأخيرة، إذ أدَّى زواجي إلى جنوحٍ بيننا، فسعادتي الخالصة، بالإضافة إلى الاهتمامات المُتمركِزة حول الحياة المنزليَّة (التي تتزاحَم حول أيِّ رجلٍ يجد نفسه سيِّدًا لبيته الخاص للمرَّة الأولى) كانت كافيةً لاستغراقي بالكامل، بينما ظَلَّ هولمز -الذي ينفُر من جميع صُور العلاقات الاجتماعيَّة بروحه البوهيميَّة إياها- في شقَّتنا في بيكر ستريت مدفونًا بين كُتبه القديمة، يُبدِّل نشاطه من أسبوعٍ إلى أسبوع بين تعاطي الكوكايين والطُّموح، بين الخمول الذي يصيبه به المُخَدِّر والطاقة القويَّة التي تتميَّز بها طبيعته الحادَّة.

كان -كالعادة- شديد الانجذاب إلى دراسة الجريمة، وقد انغمس بمَلَكاته العقليَّة الفذَّة وقُدرته الاستثنائيَّة على الملاحَظة في تتبُّع الخيوط ورفع السِّتار عن الألغاز التي تخلَّت الشُّرطة عن محاوَلة حلِّها باعتبارها مستحيلة. بين الحين والآخَر كنتُ أسمعُ أخبارًا غامضةً عن أنشطته، كاستدعائه إلى أوديسا لحلِّ جريمة قتل تريبوف، ووضعه نهايةً لمأساة الأخوين آتكينسن الغريبة في ترينكومالي، وأخيرًا المهمَّة التي أنجزها بمنتهى النجاح والدِّقَّة

https://jadidpdf.com

لحساب العائلة الملكيَّة في هولندا. لكن بخلاف تلك الأخبار عن مغامراته، التي لم يكن لي فيها دور إلَّا مشارَكتها مع قُرَّاء الصحافة اليوميَّة، صِرتُ لا أعرفُ الكثير عن صديقي ورفيقي السابق.

ذات ليلة -يوم العشرين من مارس ١٨٨٨- كنتُ عائدًا من زيارةٍ إلى مريض (فقد عدتُ إلى ممارسة الطِّب)، حين قادتني خُطاي إلى بيكر ستريت. حين مررتُ بالباب الذي أذكُره جيدًا، والذي سيظلُّ مرتبطًا دائمًا في وجداني بأيام الغزل والأحداث المؤسفة التي وقعت خلال قضيَّة «دراسة في اللون القِرمزي»، شعرتُ برغبةٍ قويَّةٍ في رؤية هولمز مرَّةً أخرى، ومعرفة فيم يستغلُّ قُدراته غير العاديَّة. كانت شقَّته مضاءةً بأنوارٍ ساطعة، وعندما رفعتُ عينَي إلى أعلى رأيتُ شبحه الطويل النحيل يمرُّ مرَّتين كظِلٍّ أسودَ وراء الستائر. كان يقطع الغُرفة بخطواتٍ سريعة ملهوفة، وقد حنى رأسه على صدره وشبك أصابع يديه وراء ظهره. بالنِّسبة إليَّ، الذي يعرف أمزجته وعاداته كلها، حكى لي أسلوبه وطريقة حركته القصَّة. كان هولمز يعمل من جديد. لقد أفاق من أحلامه التي صاغَتها المخدِّرات، والآن يسعى بحماسةٍ وراء مشكلةٍ جديدة. رننتُ الجرس، واصطحبَتني مالكة العقار إلى الشَّقَّة التي شاركتُ في المعيشة فيها في ما سبق.

لم يكن استقباله لي عاطفيًّا -إذ نادرًا ما يكون كذلك- لكنه سُرَّ لرؤيتي على ما أعتقدُ. لم يقل شيئًا تقريبًا، لكن النظرة في عينيه كانت مُرَحِّبةً وهو يشير لي بالجلوس على مقعدٍ ذي ذراعين. ثم إنه ألقى لي عُلبة سجائره، وأشار نحو زجاجةٍ من الشراب وجهاز الجازوجين في الرُّكن، ووقف أمام المدفأة وتطلَّع إليَّ بأسلوبه المتمعِّن الفريد،

https://jadidpdf.com

وقال: «حياة الزوجيَّة تُناسِبك. أعتقد أن وزنك ازداد سبعة أرطال ونِصفًا منذ رأيتك آخِر مرَّةٍ يا واطسن».

قلتُ: «سبعة أرطال فقط!».

- «بالفعل. كان يجب أن أفكِّر أكثر قليلًا. ثم إنك عُدت إلى ممارَسة الطِّب مجدَّدًا. لم تُخبِرني أنك تنوي العودة إلى العمل».

- «كيف عرفت إذن؟».

- «إنني أرى الأمارات، أستنتِجها. كيف عرفتُ أن المطر أغرقك في الفترة الأخيرة، وأن عندك خادمة خرقاء مُهمِلة؟».

- «عزيزي هولمز، هذا كثير جدًّا. لو كنت حيًّا منذ بضعة قرونٍ لأحرقوك بتُهمة ممارَسة السِّحر. صحيحٌ أنني تمشَّيتُ في الريف يوم الخميس الماضي وعدتُ إلى المنزل مبتلًا تمامًا ومُلطَّخًا بالأوحال، لكنني لا أدري كيف استنتجت هذا وقد غيَّرتُ ملابسي. وبالنِّسبة إلى ماري جاين، فلا أمل منها، وقد صرفَتها زوجتي من خِدمتنا. ومع ذلك ما زلتُ أجهلُ كيف استنتجت هذا».

ضحك هولمز وفرك يديه الطويلتين المتوتِّرتين معًا، وقال: «إنها البساطة ذاتها. عيناي تُخبِرانني بأن جِلد فردة حذائك اليُسرى -الذي تلقي النار ضوءها عليه- به ستة شقوق شِبه متوازية، ومن الواضح أن من تسبَّب فيها شخص شديد الإهمال كشطَ حواف النعل من أجل إزالة الوحل الذي كساه. هكذا، كما ترى، كان استنتاجي المزدوَج أنك خرجت في طقسٍ رديء، وأنك مُنيت

https://jadidpdf.com

بواحدةٍ من أسوأ خادمات لندن. وبالنِّسبة إلى عملك، فإذا دخل أحدهم شقَّتي ورائحة اليودوفورم تفوح منه، وثمَّة علامة سوداء من نترات الفضَّة على سبابته اليُمنى، بالإضافة إلى انتفاخٍ في قُبَّعته يشي بالمكان الذي يُعَلِّق عليه سمّاعته، فلا بُد أن أكون أحمَقَ حقًّا إذا لم أؤكِّد أنه من مُمارِسي مهنة الطِّب النشطين».

لم يسعني إلا أن أضحك للبساطة التي شرح بها عمليَّة الاستنتاج، ثم إنني قلتُ: «عندما أسمعُ شرحك يبدو التفسير شديد البساطة إلى حدٍّ سخيف، لدرجة أنني أستطيعُ التوصُّل إليه بنفسي، رغم أنني أظلُّ شاعرًا بالحيرة إلى أن تشرح الأمر كاملًا. ومع ذلك ما زلتُ أعتقد أن عينَيَ بمِثل جودة عينيك».

قال وهو يُشعِل سيجارة ويُلقي بنفسه على مقعد: «بالتأكيد. لكنك ترى ولا تُلاحِظ، والفارق بين الاثنين واضِح. على سبيل المثال، أنت رأيتَ الدرجات التي تقود من الردهة إلى هذه الغُرفة كثيرًا».

- «كثيرًا».

- «كم مرَّة؟».

- «مئات المرَّات».

- «كم درجةً هنالك إذن؟».

- «كم درجةً؟ لا أدري».

- «بالضبط! لأنك لم تُلاحِظ مع أنك رأيت. هذا ما أقصده

https://jadidpdf.com

بالضبط. أما أنا فأعرفُ أن هناك سبع عشرة درجة، لأنني رأيتُ ولاحظتُ في آنٍ واحد. بالمناسَبة، بما أنك مهتمٌّ بتلك المسائل الصغيرة، وبما أنك كنت كريمًا بما يكفي لتوثيق واحدةٍ أو اثنتين من خبراتي، فقد تهتم بهذا»، وألقى إليَّ ورقةً سميكةً مصبوغةً باللون الوردي كانت موضوعة على المائدة، وأردف: «جاءتني هذه الرسالة في آخِر بريد. اقرأها بصوتٍ عالٍ».

كانت الرسالة غير مؤرَّخة أو موقَّعة وبلا عنوانٍ للمُرسِل، وكانت تقول: *«الليلة، في الساعة الثامنة إلا الرُّبع، ستتلقَّى زيارةً من سيِّدٍ يرغب في استشارتك في مسألةٍ ذات أهمِّيَّةٍ قُصوى. لقد بيَّنت الخدمات التي أسديتها مؤخَّرًا لواحدةٍ من العائلات الملكيَّة في أوروبا أنك رجلٌ يُمكن الاعتماد عليه في المسائل التي لا توجد مبالَغة في أهميَّتها. هذا الرأي عنك من جميع الأنحاء عرفناه. كُن في شقَّتك في تلك الساعة، ولا تنزعج إذا وجدت زائرك يرتدي قناعًا»*.

علَّقتُ بعد أن فرغت من القراءة: «رسالة غامضة بالفعل. ما الذي تعنيه في رأيك؟».

- «ليست لديَّ معلومات بعد. خطأ جسيم أن يبدأ المرء في طرح النظريَّات قبل أن تتجمَّع لديه المعلومات. من الغفلة أن تقوم بليِّ الحقائق كي تُناسِب النظريَّات، بدلًا من تعديل النظريات لتُناسِب الحقائق. لكن ماذا عن الرسالة نفسها؟ ما الذي تستنتِجه منها؟».

https://jadidpdf.com

فحصتُ خطَّ اليد والورق الذي كُتِبَت عليه بعناية، ثم قلتُ مُحاوِلًا تقليد أسلوب صديقي في الاستنتاج: «أفترضُ أن الرجل الذي كتبها في وضعٍ ماليٍّ لا بأس به، فلا يُمكن شراء مِثل هذا الورق بأقلَّ من خمسة شلنات للرزمة. إنه قويٌّ وصلبٌ على نحوٍ مميَّز».

قال هولمز: «مميَّز... هذا هو الوصف الصحيح تمامًا. إنه ليس ورقًا إنجليزيًّا على الإطلاق. ارفعها أمام الضوء».

فعلتُ كما قال، فرأيتُ حرف «E» كبيرًا مع حرف «g» صغير، وحرف «P» وحرف «G» كبيرين مع حرف «t» صغير، كلها مُدمَج في تركيب الورقة.

سألني هولمز: «ماذا تستنتِج من هذا؟».

- «اسم الصانع لا شك، أو الحروف الأولى من اسمه بالأحرى».

- «إطلاقًا. حرف الـ«G» الكبير مع الـ«t» الصغير اختصار لكلمة «Gesellschaft»، التي تعني شركة بالألمانيَّة. إنه اختصار معتاد هناك، كما نستخدم «Co» للإشارة إلى كلمة شركة هنا. حرف الـ«P» يرمز إلى كلمة «Papier» بالطبع، أي الورق. وبالنسبة إلى الـ«Eg» فدعنا نُلقي نظرةً على المُعجَم الجغرافي»، والتقط مجلَّدًا ثقيلًا من مكتبته، وفتحه ليقرأ، ثم قال: «حسن» «Eglonitz»، «Eglow»... ها هي ذي الكلمة، «Egria». إنها مدينة في بلدٍ يتكلَّم الألمانيَّة، في بوهيميا، ليست بعيدة عن كارلسباد... «تشتهِر بأنها مسرح وفاة ڤالنشتاين، وبمصانع الزجاج والورق الكثيرة». ها ها يا ولدي! ما الذي تستنتجه من هذا؟».

https://jadidpdf.com

كانت عيناه تتألَّقان وهو يُطلِق سحابةً زرقاء كبيرة من دُخان سيجارته بظفر، وقلتُ أنا: «الورق مصنوع في بوهيميا».

- «بالضبط، والذي كتب الرسالة ألماني. هل تُلاحِظ التركيب الغريب لجملة «هذا الرأي عنك من جميع الأنحاء عرفناه»؟ ليس من الممكن أن رجلًا فرنسيًّا أو روسيًّا كتب هذا. الألمان هُم مَن لا يتعاملون بكياسةٍ مع الأفعال وتصريفها. إذن يتبقّى فقط أن نعرف ما يريده ذلك الألماني الذي يكتب على الورق البوهيمي ويُفضِّل ارتداء قناعٍ على أن يكشِف وجهه. وها هو ذا قد أتى ليُجيب عن جميع شكوكنا ما لم أكن مخطئًا».

سمعنا وهو يتكلَّم صوت حوافر خيولٍ وصرير عجلاتٍ تبعه صوت الجرس الذي دقَّه أحدهم بحدَّة، فأطلق هولمز صفيرًا، وقال: «أظنُّ من الصوت أنهما حصانان»، ثم نظر من النافذة وأضاف: «نعم، عربة صغيرة لطيفة وحصانان جميلان، ثمن الواحد منهما مئة وخمسون جنيهًا. ثمَّة أموال في هذه القضيَّة يا واطسن، ما لم يكن هناك شيء آخَر».

- «أظنُّ أن من الأفضل أن أنصرِف».

- «بتاتًا يا دكتور. ابقَ في مكانك. إنني أضيعُ من دون رفيقي، وهذه القضيَّة تُبشِّر بأنها واعدة. سيكون من المؤسِف أن تفوتك».

- «لكن عميلك...».

- «دعك منه. قد أحتاجُ إلى مساعَدتك، وقد يحتاج إليها كذلك. ها هو ذا. اجلس على هذا المقعد يا دكتور وامنحنا كامل انتباهك».

https://jadidpdf.com

توقَّفت الخطوات البطيئة الثقيلة، التي سمعناها على الدرجات وفي الرواق خارِج الباب، ثم تعالت دَقَّة عالية تشي بطبيعة صاحِبها الآمرة.

دعا هولمز الطارِق إلى الدخول، فدخل رجل لا يمكن أن يقلَّ طوله عن ستة أقدام وستٍّ بوصاتٍ كاملة، له صدر وأطراف تليق بهرقل. كانت ثيابه فخمةً تلك الفخامة التي تُعَدُّ في إنجلترا دلالةً على سوء الذوق. على كُمَّي معطفه ذي الصدر المزدوَج شرائط ثقيلة من فرو الحِملان، والحرملة الزرقاء الداكنة على كتفيه مُبطَّنة بالحرير ذي اللون الناري، ومثبَّتة عند العُنق بدبوسٍ به حُلية مفردة من الزبرجد بلون اللهب، أما الحذاء طويل العُنق الذي يرتفع إلى رَبْلَتَي ساقيه فمُحَدَّد من أعلى بالفرو البنِّي الفاخر، وهو ما أكمل انطباع الثراء الهمجي الذي يشي به مظهره. كان يحمل في يده قُبَّعة ذات حافةٍ عريضة، ووضع على النِّصف العلوي من وجهه قناعًا أسودَ امتدَّ إلى ما بعد عظام وجنتيه، وقد بدا أنه قد سوَّاه في هذه اللحظة بالتحديد، لأن يده كانت لا تزال مرفوعةً وهو يدخل. أوحى النِّصف السُّفلي من وجهه بأنه رجل قوي الشخصيَّة، له شفة سُفليَّة بارزة ممتلئة، وذقن طويل مستقيم يشي بتصميمٍ يكاد يبلغ حدَّ العناد.

سأل الرجل بصوتٍ خشن عميق ولكنةٍ ألمانيَّة قويَّة: «هل استلمت رسالتي؟ قلتُ فيها إنني سأزورك».

كان ينقل بصره بيننا، كأنه لا يدري مَن يُخاطِب فينا، فقال هولمز: «تفضَّل بالجلوس. هذا صديقي وزميلي الدكتور واطسن،

https://jadidpdf.com

الذي يتفضَّل بمساعَدتي في قضاياي بين الحين والآخَر. مع من أتشرَّفُ بالحديث؟».

- «يُمكنك مخاطَبتي بالكونت ڤون كرام، نبيل بوهيمي. أعتقدُ أن هذا السيِّد صديقك رجل يتحلَّى بالشَّرف والكتمان، ويُمكنني ائتمانه على مسألةٍ في غاية الأهميَّة. إن لم يكن كذلك، فأفضِّلُ الكلام معك وحدك».

نهضتُ لأغادِر، لكن هولمز أمسكني من معصمي وأعادني إلى المقعد قائلًا: «إما أن تتكلَّم مع كلينا أو لا أحد منا. لكن يُمكنك أن تتكلَّم كما تشاء أمام هذا السيِّد».

هزَّ الكونت كتفيه العريضتين، وقال: «فلأبدأ إذن بأن أُلزِمكما بالسِّرِّيَّة المُطلَقة لمدَّة عامين، فبعد نهاية تلك الفترة لن تعود للأمر أهميَّة. أما في الوقت الراهن فليس من المبالَغة أن أقول إنه أمرٌ ذو ثقلٍ كبير وقد يكون له تأثير على التاريخ الأوروبي نفسه».

قال هولمز: «أعدك».

وقلتُ: «وأنا كذلك».

تابع زائرنا الغريب: «الشخص ذو الشأن الرفيع الذي أعمل لحسابه يرغب في أن يكون وكيله مجهولًا لك، ويجب أن أعترف حالًا بأن اللقب الذي قدَّمتُ به نفسي ليس لقبي بالضبط».

قال هولمز بلهجةٍ جافَّة: «أدركتُ هذا».

- «الظروف شديدة الحساسيَّة، ويجب اتِّخاذ جميع الإجراءات

https://jadidpdf.com

التي من شأنها القضاء على ما قد يتحوَّل إلى فضيحةٍ كُبرى ويُعرِّض واحدةً من العائلات المالكة في أوروبا إلى شُبهةٍ حقيقيَّة. لأتكلَّم بصراحة، فالأمر يخصُّ عائلة أورمشتاين العظيمة، العائلة التي يتوارث ملوكها عرش بوهيميا».

غمغم هولمز وهو يستقرُّ في مقعده ويُغلِق عينيه: «أدركتُ هذا».

حدَّق زائِرنا بدهشةٍ واضحة إلى الرجل النحيل الجالس بتراخٍ، والذي وصفوه له بلا شَكٍّ باعتباره أذكى مفكِّرٍ وأنشط محقِّق في أوروبا كلها، ثم فتح هولمز عينيه ببطءٍ ورمق الرجل ضخم الجثَّة بصبرٍ نافد، وقال: «إذا تفضَّلت جلالتك بشرح المسألة، فسأفيدك على نحوٍ أفضل».

وثب الرجل من مقعده، وأخذ يذرع الغُرفة جيئةً وذهابًا بسخطٍ مفرط، ثم أومأ برأسه بيأسٍ وخلع القناع عن وجهه وألقاه على الأرض صائحًا: «أنت على حق. أنا الملك، فلِمَ أحاولُ إخفاء هذا؟».

غمغم هولمز: «لِمَ بالفعل؟ لم تكن جلالتك قد تكلَّمت بعد عندما أدركتُ أنني أخاطِبُ ڤيلهلم جوتسرايخ سيجيزموند ڤون أورمشتاين، دوق كاسل فيلشتاين الأكبر والملك وريث عرش بوهيميا».

عاد زائرنا الغريب يجلس مرَّةً أخرى واضعًا يده على جبهته البيضاء الكبيرة: «لكنك تفهم... لكنك تفهم أنني لم أعتد القيام

https://jadidpdf.com

بعملٍ كهذا بنفسي، لكن المسألة حسَّاسة للغاية ولا أستطيعُ الاعتماد فيها على وكيلٍ لي دون أن أضع نفسي تحت رحمته. لقد جئتُ تحت اسمٍ مستعار من پراج بغرض استشارتك».

قال هولمز وهو يُغلِق عينيه من جديد: «استشِر إذن».

- «هذه هي الحقائق باختصار: منذ خمس سنوات تقريبًا، خلال زيارةٍ طويلة لوارسو، تعرَّفتُ إلى المغامِرة الشهيرة آيرين آدلر. الاسم مألوفٌ لك لا شكَّ».

غمغم هولمز دون أن يفتح عينيه: «ابحث عنها في فهرسي من فضلك يا دكتور».

لسنواتٍ طويلةٍ تبنَّى هولمز نظامًا لتوثيق البيانات الخاصَّة بالأشخاص والأشياء، فكان من الصعب أن تَذكُر اسم شخصٍ أو شيءٍ لا يستطيع مراجَعة ما لديه من معلوماتٍ عنه في الحال. في هذه الحالة وجدتُ سيرتها الذاتيَّة مدسوسةً بين السيرة الذاتيَّة لحاخامٍ يهودي وأخرى لضابط أركان حرب كتب دراسةً عن أسماك البحار العميقة.

قال هولمز: «دعني أرى. همم! وُلِدَت في نيو جرسي سنة ١٨٥٨. تُغنِّي بصوت كونترالتو رنَّان. همم! غنَّت في دار أوپرا لا سكالا. همم! تقاعدَت من الغناء الأوپرالي... ها! تعيش في لندن... طبعًا! أعتقدُ أن جلالتك قد تورَّطت مع تلك الشابَّة، وكتبت لها بعض الخطابات المثيرة للشُّبهة، والآن ترغب في استعادة تلك الخطابات».

- «بالضبط، لكن كيف؟».

https://jadidpdf.com

- «هل كان هناك زواج سِرِّي؟».

- «لا».

- «أوراق رسميَّة أو شهادات؟».

- «لا».

- «إذن فأنا لا أفهمك. إذا استغلَّت تلك الشابَّة الخطابات بغرض الابتزاز أو خلافه، فكيف يُمكنها إثبات صحَّتها؟».

- «هناك خط اليد».

- «مُزيَّف!».

- «ورقي الخاص».

- «مسروق!».

- «ختمي الشخصي».

- «مُقلَّد!».

- «صورتي».

- «اشترتها!».

- «كلانا في الصُّورة».

- «ربَّاه! هذا سيِّئ جدًّا! جلالتك ارتكبت فِعلًا طائشًا بالفعل».

- «كنت مجنونًا، مخبولًا».

- «لقد وضعت نفسك في موقفٍ لا تُحسَد عليه حقًّا».

https://jadidpdf.com

- «كنتُ وليَّ العهد لا أكثر وقتها، كنتُ صغيرًا. أنا في الثلاثين من عُمري الآن».

- «يجب استعادة الصورة».

- «لقد حاولنا وفشلنا».

- «يجب أن تدفع يا جلالة الملك، يجب أن تشتري منها الصُّورة».

- «إنها ترفض بيعها».

- «اسرقها إذن».

- «حاولتُ خمس مرَّات. نهبَ لصوص استأجرتهم منزلها مرَّتين، وفي مرَّةٍ فتَّشنا أمتعتها وهي مسافرة، وقطع رجالي طريقها مرَّتين؛ كلُّ هذا بلا نتيجة».

- «ولا أثر للصُّورة؟».

- «لا أثر على الإطلاق».

ضحك هولمز قائلًا: «مشكلة فعلًا».

قال الملك بعتاب: «لكن خطيرة جدًّا بالنِّسبة إليَّ».

- «بالتأكيد. وما الذي تنوي فِعله بالصُّورة؟».

- «تنوي تدميري».

- «لكن كيف؟».

- «إنني على وشك الزواج».

https://jadidpdf.com

- «هذا ما سمعته».

- «الزواج من كلوتيلدا لوثمان ڤون ساكس-مييننجن، الابنة الثانية لملك سكاندنيڤيا. لعلك تعرف مبادئ عائلتها الصارمة. هي نفسها الرِّقَّة مُجَسَّدة، ومن شأن أيِّ ظِلٍّ من الشَّك يشوب سلوكي أن يضع نهايةً للأمر كله».

- «وآيرين آدلر؟».

- «تُهدِّد بإرسال الصورة إلى عائلة خطيبتي، وستفعلها. أعرفُ أنها ستفعلها. إنك لا تعرفها، لكن لها روحًا من حديد. إن لديها وجه أبرع النساء حُسنًا، وعقل أكثر الرجال تصميمًا. إذا لم أتزوَّج امرأة أخرى فليس هناك شيء ليست مستعدَّة لِفعله إطلاقًا».

- «أواثقٌ أنت بأنها لم تُرسِل الصُّورة بعدُ؟».

- «نعم».

- «ولِمَ؟».

- «لأنها قالت إنها ستُرسِلها يوم إعلان الخِطبة رسميًّا، أي يوم الاثنين المُقبِل».

قال هولمز متثائبًا: «إذن فما زالت أمامنا ثلاثة أيام. الحظ حليفنا إذن، بما أن لديَّ مسألة أو اثنتين يجب الاطِّلاع عليهما في الوقت الحالي. جلالتك ستبقى في لندن حاليًّا بالطبع؟».

- «طبعًا. ستجدني في فندق لانجهام تحت اسم الكونت ڤون كرام».

https://jadidpdf.com

- «سأتركُ لك رسالةً إذن لأُعلِمك بتقدُّمنا».

- «أرجو هذا، فسأظلُّ شديد القلق».

- «وبالنِّسبة إلى النقود؟».

- «لديك تفويض كامل».

- «كامل؟».

- «أؤكِّدُ لك أنني أستطيعُ التخلِّي عن واحدةٍ من مقاطَعات مملكتي مقابل استعادة تلك الصُّورة».

- «وبالنِّسبة إلى المصروفات في الوقت الحالي؟».

أخرج الملك حقيبة ثقيلة من الشامواه من تحت حرملته، ووضعها على الطاولة قائلًا: «ثمَّة ثلاثمئة جنيه ذهبي وسبعمئة جنيه بنكنوت هنا».

دوَّن هولمز إيصالًا بالاستلام على ورقةٍ من مُفكِّرته وأعطاها للملك، ثم سأله: «وماذا عن عنوان المادموزيل آدلر؟».

- «بريوني لودج، سرپنتين آڤنيو، سانت جونز وود».

دوَّن هولمز العنوان، ثم قال: «لديَّ سؤال واحد آخَر: هل الصُّورة من الحجم الكبير؟».

- «نعم».

- «طابت ليلة جلالتك إذن، وأؤكِّدُ لك أننا سنُبلِغك أخبارًا طيِّبة قريبًا».

https://jadidpdf.com

وقال هولمز لي وعجلات عربة الملك تتحرَّك في الشارع: «وطابت ليلتك يا واطسن. إذا تفضَّلت بزيارتي غدًا في الثالثة بعد الظُّهر، فأودُّ أن أتكلَّم معك في هذه المسألة الصغيرة».

## الفصل الثاني

وصلتُ إلى بيكر ستريت في تمام الثالثة في اليوم التالي، لكن هولمز لم يكن قد عاد بعدُ، وأخبرَتني صاحِبة العقار بأنه غادر المنزل بعد الثامنة صباحًا بقليل. هكذا جلستُ إلى جوار المدفأة عازِمًا على انتظار عودته مهما طال الوقت. كنتُ أشعر باهتمامٍ كبير بالفعل بالتحقيق الذي يُجريه، فعلى الرغم من أنه لم يكن يشوبه شيء من السِّمات الغريبة الكريهة التي صاحبَت الجريمتين اللتين سجَّلتهما من قبل، فإن طبيعة القضيَّة ومكانة عميل هولمز المرموقة منحتها طابِعًا خاصًّا. في الواقع، بعيدًا عن طبيعة التحقيق الذي يتولَّاه صديقي، كان هناك شيء ما في قُدرته الأستاذيَّة على إدراك طبيعة المواقف، وتفكيره القاطِع الحاد جعل من مصادر مُتعتي أن أدرس نظامه في العمل، وأتبع الأساليب السريعة الدقيقة التي يحِلُّ بها أكثر الألغاز تعقيدًا، وهكذا اعتدتُ نجاحاته الدائمة، حتَّى إن مجرَّد فكرة إخفاقه كفَّت عن مراوَدتي.

كانت الساعة قد تجاوزَت الرابعة بدقائق قليلة عندما انفتح الباب ودخل منه سائس خيلٍ مبعثَر الشَّعر والسوالف، له وجه منتفِخ ويرتدي ملابس بالية. ولئن كنتُ معتادًا براعة صديقي

https://jadidpdf.com

المذهِلة في التنكُّر، فإنني حملقتُ إليه ثلاث مرَّاتٍ كاملة قبل أن أتأكَّد من أنه هو بالفعل. دخل هولمز إلى غُرفة نومه وهو يهزُّ رأسه لي، قبل أن يخرُج بعد خمس دقائقٍ يرتدي بذلة من صوف التُّويد وقد بدا مهندَمًا كما اعتدته. ثم إنه وضع يديه في جيبيه ومدَّ ساقيه أمام المدفأة، وانفجر ضاحكًا، لتستمر ضحكاته دقائق عدَّة.

- «يا للعجب!»، صاح بها ثم عاد يضحك من جديد حتّى اضطرَّ إلى أن يستلقي على ظهره مُنهَكًا.

سألته: «ماذا هناك؟».

- «الأمر مُضحِك للغاية. أنا متأكِّد من أنك لن تُخمِّن كيف استغللتُ هذا الصباح أبدًا، وما الذي فعلته فيه».

- «لا أستطيعُ أن أتخيَّل، ولو أنني أعتقدُ أنك كنت تُراقِب المِس آدلر، وربما منزلها كذلك».

- «بالضبط، لكن النتيجة كانت غير معتادةٍ إطلاقًا. سأُخبِرك بما حدث: لقد غادرتُ المنزل بعد الثامنة صباحًا بقليل متنكِّرًا في هيئة سائس خيلٍ لا يجد عملًا. ثمَّة نوعٌ رائعٌ من التعاطُف لدى من يعملون مع الخيل. كُن واحدًا منهم وستعرف كلَّ ما يُمكن معرفته. لقد وجدتُ بريوني لودج. إنها ڤيلا صغيرة أنيقة لها حديقة في الخلفيَّة، لكنها مبنيَّة على الشارع مباشرةً، وترتفع طابقين. ثمَّة قِفل من نوع «تشاب» على الباب، وغُرفة جلوس واسعة حسنة التأثيث على الجانب الأيمن، نوافذها طويلة تكاد تبلغ الأرض، ومزوَّدة بتلك الأقفال الإنجليزيَّة السخيفة التي يستطيع أيُّ طفلٍ

https://jadidpdf.com

أن يفتحها. لا يوجد شيء يلفت الانتباه في الخلفيَّة، باستثناء أن نافذة الرواق يُمكن الوصول إليها من أعلى المرأب. درتُ حول الڤيلا ودرستها بدِقَّةٍ من جميع الزوايا، لكن دون ملاحَظة شيءٍ آخَر مهم.

تجوَّلتُ بعدها في الشارع، ووجدتُ -كما توقَّعتُ- إسطبلًا في زقاقٍ يُحاذي أحد أسوار الحديقة، فساعدتُ السائسين على تنظيف الخيول، وفي المقابل تلقَّيتُ بنسين وكوبًا من الحليب ومِلء سيجارتين من التبغ، وكلَّ المعلومات التي أرغب فيها عن المِس آدلر، ناهيك بنصف دستةٍ من أشخاصٍ آخَرين في الحيِّ لم أكن مهتمًّا بهم على الإطلاق، وإن اضطررتُ إلى سماع قِصص حياتهم».

- «وماذا عن آيرين آدلر؟».

- «أوه، لقد أدارت رؤوس جميع الرجال بالفعل. إنها ألذُّ شيءٍ يرتدي قُبَّعة نسائيَّة على وجه هذا الكوكب، على حدِّ تعبير الرجال في الإسطبل. إنها تعيش في هدوء، تُغنِّي في الحفلات، تخرج كلَّ يومٍ في الخامسة وتعود في تمام السابعة لتناوُل العشاء. نادرًا ما تخرج في أيِّ أوقاتٍ أخرى، اللهم إلا عندما تُغنِّي في حفلٍ ما. يأتي لزيارتها رجل واحد فقط، لكنه يأتي بكثرة. داكِن البشرة وسيم أنيق، يزورها مرَّةً في اليوم على الأقل، وأحيانًا مرَّتين. إنه المستر جودفري نورتون من جمعيَّة المُشرِّعين. عليك أن تعرف مميِّزات أن يكون حوذيٌّ مصدر معلوماتٍ لك. لقد أقلُّوه من إسطبل سربِنتين آڤنيو عشرات المرَّات ويعرفون كلَّ شيءٍ عنه. ثم، عندما سمعتُ كلَّ ما لديهم،

https://jadidpdf.com

بدأتُ السير بالقُرب من بريوني لودج مجدَّدًا، وأخذتُ أفكِّرُ في خُطَّة التحرُّك.

من الواضح أن جودفري نورتون هذا عامل مهم في الأمر. إنه محامٍ، وهو ما بدا لي منذِرًا بالخطر. ما العلاقة بينهما؟ وما هو موضوع هذه الزيارات المتكرِّرة؟ أهي موكِّلته أم صديقته أم عشيقته؟ إذا كانت الأولى، ففي الغالب أعطته الصُّورة ليحفظها لديه، وإذا كانت الأخيرة، فهذا الاحتمال أضعف هنا. اعتمدتُ على إجابة هذا السؤال لأقرِّر إن كان ينبغي أن أواصِل عملي في بريوني لودج أم أنقل انتباهي إلى مكتب هذا السيِّد في جمعيَّة المُشَرِّعين. كانت نقطة حسَّاسة وسَّعت مجال التحقيق. أخشى أنني أثيرُ مللك بهذه التفاصيل، لكن عليَّ أن أريك الصعوبات الصغيرة التي مررتُ بها كي تفهم الموقف جيدًا».

قلتُ: «أنا مُنصِت».

- «كنتُ ما زلتُ أوازِنُ المسألة في عقلي حين توقَّفت عربة أجرة أنيقة أمام بريوني لودج ونزل منها رجل وسيم الطلعة جدًّا، داكِن البشرة ذو أنفٍ معقوف وشارِب، وكان بلا شكٍّ الرجل الذي سمعتُ عنه من السائسين. بدا في عجلةٍ شديدةٍ من أمره، إذ أمر الحوذي بأن ينتظره، واندفع متجاوِزًا الخادمة التي فتحت له الباب بسيماء رجلٍ يتصرَّف كأنه في بيته.

ظلَّ نورتون في المنزل نصف ساعةٍ تقريبًا، وقد رأيتُ لمحاتٍ منه في نوافذ غُرفة الجلوس، يقطع الغُرفة جيئةً وذهابًا ويتكلَّم

https://jadidpdf.com

بحماسةٍ مُلوِّحًا بذراعيه. أما المِس آدلر فلم أرها البتَّة. ثم إنه غادر المنزل وقد بدا أكثر حماسةً من قبل، وعندما ركب العربة التي ظلَّت تنتظره، أخرج ساعة ذهبيَّة من جيبه ونظر إليها باهتمامٍ شديد، ثم صاح: إلى جواهرجي جروس آند هانكي في ريجنت ستريت أولًا، ثم إلى كنيسة سانت مونيكا في إدجوير رود. نصف جنيهٍ لك إذا وصلت خلال عشرين دقيقة!

هكذا تحرَّكت العربة، وكنتُ أتساءلُ إن كان ينبغي لي أن أتبعه عندما جاء حنطور أنيق صغير يقوده سائق يرتدي معطفًا نِصف مزرَّر وربطة عُنُقٍ غير مربوطة. لم تكن العربة قد توقَّفت تمامًا أمام المنزل، عندما اندفعت المِس آدلر لتثب داخلها في الحال. لم أرَ إلا لمحةٍ منها لحظتها، لكنها امرأة جميلة لها وجه يُمكن أن يموت الرجال من أجله.

أمرَت المِس آدلر الحوذي بالتحرُّك إلى كنيسة سانت مونيكا، ووعدَته بنصف جنيهٍ ذهبي إذا وصل خلال عشرين دقيقة.

كان الأمر أفضل من أن يفوتني يا واطسن. كنتُ أفكِّرُ إن كان عليَّ أن أعدو إلى هناك أم أتعلَّق بعربتها من الخلف، عندما مرَّت عربة أجرة في الشارع. تطلَّع الحوذي إلى مظهري الرَّث، لكنني وثبتُ إلى داخل العربة قبل أن يجد الفرصة ليعترِض، وقلتُ له أن يهرع إلى كنيسة سانت مونيكا، ووعدته بدوري بنصف جنيهٍ ذهبي إذا وصل خلال عشرين دقيقة. كانت الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وكان ما في سبيله إلى الحدوث واضحًا تمامًا بالطبع.

https://jadidpdf.com

انطلق سائق عربتي بسرعة، ولا أحسبُ أنني تحرَّكتُ بسرعةٍ كهذه من قبل، لكنهما كانا قد بلغا الكنيسة قبلي. كانت عربتاهما الأجرة ذاتا الأحصنة التي أنهكها العدْو واقفتين أمام الباب عندما وصلتُ، فنقدتُ سائقي أجرته وأسرعتُ إلى الداخل. لم يكن هناك أيُّ أحدٍ هناك باستثناء الاثنين اللذين تبعتهما وقِسٌّ يرتدي ثوب الكهنوت الأبيض بدا أنه يتجادل معهما. كان ثلاثتهم يقف أمام المذبح، فتحرَّكتُ في الممشى الجانبي كأيِّ زائرٍ عاديٍّ يأتي الكنيسة. وفجأةً -لدهشتي- التفت الثلاثة الواقفون عند المذبح إليَّ، وجاء جودفري نورتون يعدو نحوي بكلِّ سرعته صائحًا: حمدًا لله! أنت مناسِب. هلُم، هلُم!

سألته عما هنالك، فقال: تعالَ يا رجل، تعال. ثلاث دقائق فقط، وإلا لن يكون الزواج شرعيًّا.

جرَّني إلى المذبح تقريبًا، وقبل أن أعي أين أنا وجدتُ نفسي أتمتمُ بإجاباتٍ همسوا بها في أذني، وأتعهَّدُ بأشياءَ لا أعرف عنها شيئًا؛ بشكلٍ عام أساعِد على زواج المِس أيرين آدلر العزباء بالمستر جودفري نورتون الأعزب. انتهى كلُّ شيءٍ في لحظات، ثم وجدته يشكرني من جانبٍ وهي من الجانب الآخَر، فيما منحني القِس ابتسامة عريضة من الأمام. كان أسخف موقفٍ وجدتُ نفسي فيه في حياتي على الإطلاق، والتفكير فيه هو ما جعلني أضحك الآن. يبدو أنه كان ثمَّة شيء ما ناقص في رُخصة زواجهما جعل القِس يرفض تزويجهما دون شاهدٍ ما. هكذا أنقذ ظهوري العريس من أن

https://jadidpdf.com

يهرع إلى الشوارع بحثًا عن وصيف. نقدتني العروس جنيهًا ذهبيًّا أنوي وضعه في سلسلة ساعتي تخليدًا لِذِكرى هذه المناسَبة».

قلتُ: «تحوُّل غير متوقَّع على الإطلاق للأحداث. والآن ماذا؟».

- «وجدتُ أن خُطَطي أضحت مُهَدَّدةً لأقصى حد، إذ بدا أنهما سيرحلان معًا في الحال، وهو ما تطلَّب أن أتَّخذ إجراءاتٍ عاجلة فعَّالة. على أنهما انفصلا على باب الكنيسة، فعاد هو إلى الجمعيَّة وهي إلى منزلها، بعد أن قالت له إنها ستذهب إلى الحديقة في الساعة الخامسة كالمعتاد. لم أسمع المزيد، وتحرَّك كلٌّ منهما في اتجاهٍ مختلِف، وذهبتُ أنا لعمل ترتيباتي الخاصَّة».

- «ألا وهي؟».

أجاب وهو يدقُّ الجرس: «القليل من اللحم البارد وكوب من البيرة. كنتُ مشغولًا تمامًا عن التفكير في الطعام، وفي الغالب سأكونُ أكثر انشغالًا هذا المساء. بالمناسَبة يا دكتور، سأحتاجُ إلى مساعَدتك».

- «يُسعِدني هذا».

- «ألا تُمانِع أن تخالِف القانون؟».

- «على الإطلاق».

- «ولا الهرب أو احتمال القبض عليك؟».

- «ليس إذا كان الداعي جيِّدًا».

- «أوه، الداعي ممتاز!».

https://jadidpdf.com

- «أنا رجلك إذن».

- «كنتُ واثقًا باستطاعتي الاعتماد عليك».

- «ما الذي تريده إذن؟».

- «سأشرحُ لك كلَّ شيءٍ عندما تُحضِر المسز ترنر طبق الطعام».

ثم، عندما أحضرت صاحِبة العقار وجبته البسيطة، بدأ يلتهمها بجوعٍ واضح، وقال: «يجب أن أناقِش ما لديَّ وأنا آكلُ لأني لا أملك الكثير من الوقت. إنها الخامسة تقريبًا الآن، وبعد ساعتين يجب أن نكون في مسرح الأحداث. المِس آيرين -أو المدام آيرين بالأحرى- تعود من نُزهتها في السابعة، ويجب أن نكون في بريوني لودج لنلقاها».

- «ثم ماذا؟».

- «دَع هذا لي، فقد رتبَّتُ ما سيحدث بالفعل. ثمَّة نقطة واحدة يجب أن أصرَّ عليها، ألا تتدخَّل مهما حدث، مفهوم؟».

- «سأظلُّ على الحياد؟».

- «لا أريدك أن تفعل أيَّ شيءٍ على الإطلاق. قد يقع شيء غير لطيف، لكن لا تتدخَّل فيه، فسينتهي بدخولي إلى المنزل. ثم بعد مرور أربع أو خمس دقائق ستُفتَح نافذة غُرفة الجلوس، وأريدك أن تقف بالقرب من تلك النافذة المفتوحة».

- «حسن».

https://jadidpdf.com

- «أريدك أن تُراقِبني، فسأكونُ ظاهرًا لك».

- «حسن».

- «وعندما أرفعُ يدي -هكذا- أريدك أن تُلقي شيئًا سأعطيك إياه إلى داخِل الغُرفة، ثم ترفع صوتك في الوقت نفسه صائحًا إن هناك حريقًا. هل تُتابِع ما أقوله؟».

- «تمامًا».

قال وهو يُخرِج شيئًا طويلًا له شكل السيجار من جيبه: «إنه ليس بالشيء المخيف، بل مجرَّد واحدٍ من صواريخ الدخان التي يستخدمها السبَّاكون لمعرفة إن كان هناك تسرُّب في أحد المواسير، مزوَّد بكبسولةٍ عند كلِّ طرفٍ للإشعال الذاتي. مهمَّتك تقتصِر على هذا فقط. حين تصيح أن هناك حريقًا ستجد عددًا من الناس يفعلون مثلك. عندها أريدك أن تمشي إلى نهاية الشارع، وسأنضمُّ إليك خلال عشر دقائق. آملُ أنني جعلتُ كلامي واضحًا».

- «أظلُّ على الحياد ولا أتدخَّل، أكونُ قريبًا من النافذة وأراقِبك، وعند إشارتك ألقي هذا الشيء إلى الداخل وأصيحُ أن هناك حريقًا، ثم أنتظرك عند نهاية الشارع».

- «بالضبط».

- «إذن يمكنك الاعتماد عليَّ بالكامل».

- «ممتاز. أعتقدُ أن الوقت قد حان للتحضير للدور الجديد الذي سألعبه».

https://jadidpdf.com

وغاب في غُرفة نومه، ثم عاد بعد بضع دقائق مُتَنَكِّرًا في هيئة قِسٍّ طيِّبٍ بسيط. اجتمعَت قُبَّعته السوداء العريضة وسرواله الفضفاض ورباط عُنقه الأبيض ونظرته الودود مع مظهر الرجل الذي يتطلَّع إلى ما حوله بفضولٍ حميد، لتجعل الوحيد القادر على مجاراته في التنكُّر هو المستر جون هار، الممثِّل المسرحي العظيم. لم يكن هولمز يُبدِّل زيَّه التنكُّري فحسب، بل يبدو لي أن تعبيرات وجهه وطريقته في الكلام -بل وروحه ذاتها- تتبدَّل مع كلِّ دورٍ جديد يتقمَّصه. لقد خسر المسرح مُمَثِّلًا عظيمًا، تمامًا كما خسر العلم مُفكِّرًا حادَّ الذَّكاء عندما اختار شرلوك هولمز أن يتخصَّص في الجريمة.

كانت الساعة قد بلغت السادسة والرُّبع عندما غادرنا بيكر ستريت، وعندما وجدنا نفسينا في سربنتين آفنيو كانت دقائق عشر لا تزال تفصِلنا عن الموعد. كان الغسق قد حلَّ بالفعل، وبدأت مصابيح الشوارع تضاء للتَّوِّ ونحن نقطع الطريق أمام ڤيلا بريوني لودج جيئةً وذهابًا في انتظار عودة ساكنتها. المنزل تمامًا كما تخيَّلته بناءً على وصف هولمز الدقيق، وإن بدا لي أن موقعه يتمتع بخصوصيَّةٍ أقل مما توقَّعت. على العكس، فبالنِّسبة إلى شارعٍ صغير يقع في حيٍّ هادئ، كان مُفعَمًا بالحركة على نحوٍ أدهشني. كانت هناك زُمرة من الرجال ذوي الملابس الرثَّة يُدَخِّنون السجائر ويتضاحكون عند إحدى النواصي، ورجل يدفع عربة لسَنِّ السكاكين، وحارسان يغازلان مُمرِّضة، بالإضافة إلى العديد من الشباب حسني الهِندام الذين يتجوَّلون في الشارع وقد تدلَّى السيجار من أفواههم.

قال هولمز ونحن نتمشَّى أمام المنزل: «الفكرة أن هذه الزيجة

https://jadidpdf.com

تُبسِّط الأمور. لقد صارت الصُّورة سلاحًا ذا حدَّين الآن، والرهان على أنها تخشى فكرة أن يراها المستر جودفري نورتون، تمامًا كما يخشى عميلنا أن تقع في يد أميرته. السؤال الآن: أين نجد الصُّورة؟».

- «أين فعلًا؟».

- «من المستبعَد تمامًا أنها تحملها معها، فهي من الحجم الكبير، أكبر من أن تستطيع امرأة إخفاءها في ثيابها. إنها تعرف أن الملك قادرٌ على نَصب كمينٍ لها وتفتيشها، وقد جرت محاولتان من ذلك النوع بالفعل. نستنتِج إذن أنها لا تحملها معها».

- «أين إذن؟».

- «مع محاميها أو الشخص الذي يتولَّى شؤونها الماليَّة. إنه احتمال مزدوَج، لكنني أميلُ إلى الظنِّ أنه لا هذا ولا ذاك. النساء يُفضِّلن الحفاظ على أسرارهن بأنفسهن، فلِمَ تُعطيها لأحدٍ آخَر؟ إنها تثق بقُدرتها الخاصَّة على حماية الصُّورة، لكنها لم تعرف نوع الأثر السياسي أو الأثر غير المباشر الذي سيُحدِثه هذا مع رجل أعمالٍ كبير. تذكَّر أنها عازمة على استخدامها خلال أيامٍ قليلة، فلا بُدَّ أنها في مكانٍ ما في متناوَل يديها. لا بُدَّ أنها في منزلها».

- «لكنهم سطوا على المنزل مرَّتين».

أطلق هولمز صيحة ساخرة، ثم قال: «كانوا يجهلون كيف يبحثون».

- «وكيف ستبحث أنت؟».

https://jadidpdf.com

- «لن أبحث».

- «ماذا إذن؟».

- «سأجعلها تُريني إياها».

- «لكنها سترفض».

- «لن تكون قادرةً على الرفض. إنني أسمعُ صوت عجلات، فلا بُدَّ أنها عربتها. أريدك أن تُنفِّذ تعليماتي بالحرف الواحد».

كان يتكلَّم وبريق مصابيح عربة أجرة يلوح عند ناصية الشارع. كان حنطورًا سريعًا صغيرًا توقَّف أمام أبواب بريوني لودج، وفي اللحظة نفسها اندفع واحد من المتسكِّعين عند الناصية ليفتح الباب على أمل أن ينال منها قِطعة من العُملة، قبل أن يدفعه متسكِّع آخَر بمِرفقه عندما اندفع بدوره للهدف نفسه. شبَّ شجار عنيف سرعان ما تفاقَم مع انضمام الحارسين لمتسكِّعٍ، وصاحب مشحذ السكاكين إلى الآخَر. هوى أحدهم على الآخر بضربة، وفي غمضة عينٍ وجدت السيِّدة -التي كانت قد نزلت من الحنطور- نفسها في مركز حِفنة من المتشاجرين الغاضبين يهوي بعضهم على بعض بالعِصي واللكمات. اندفع هولمز نحو الحشد كي يحمي السيِّدة، لكن بمجرَّد أن بلغها أطلق صرخة وسقط على الأرض والدماء تجري على وجهه بغزارة. مع سقوطه فرَّ الحارسان في اتجاهٍ والمتسكِّعون في اتجاهٍ آخَر، وتجمَّع عددٌ من المهَندمين -الذين احتشدوا لمُشاهَدة الشجار وإن لم يُشاركوا فيه- لمساعَدة السيِّدة والرجل الجريح. كانت آيرين آدلر -كما أحبُّ أن أُسَمِّيها- قد صعدت درجات السلالم إلى المنزل، لكنها توقَّفت في

https://jadidpdf.com

الأعلى وأضواء الردهة تُحدِّد قوامها الجميل، ونظرت نحو الشارع، وسألت: «هل أصيب السيِّد بجرحٍ بالغ؟».

صاح بعضهم: «لقد مات!».

وصاح آخَر: «لا، لا، ما زال حيًّا! لكنه سيموت قبل أن يبلُغ المستشفى!».

وقالت امرأة: «إنه رجل شجاع. كانوا سيسرقون حقيبة السيِّدة وساعتها لولاه. إنهم عصابة، وعصابة عنيفة. آه، ها هو يتنفَّس الآن!».

- «لا يُمكننا أن نتركه في الشارع. هل تسمحين بأن نُدخِله يا سيِّدتي؟».

- «بالتأكيد. أدخِلوه إلى غُرفة الجلوس. لديَّ أريكة مريحة هناك. تفضَّلوا من هنا!».

ببُطءٍ وعنايةٍ حملوه إلى داخِل بريوني لودج ومدَّدوه في الغُرفة الرئيسية، وظللتُ أراقِبُ ما يحدث من مكاني بالقُرب من النافذة. كانت المصابيح مضاءة، لكن الستائر غير مُسدَلة، فرأيتُ هولمز وقد تمدَّد على الأريكة. لا أدري إن كان شعور بتأنيب الضمير قد راوده في تلك اللحظة بسبب الدور الذي يُمثِّله، لكنني عن نفسي لم أشعر في حياتي قَطُّ بذلك الخجل الذي اعتراني عندما رأيتُ تلك المخلوقة الجميلة التي نتآمر عليها، والكياسة واللُّطف اللذين تعاملَت بهما مع الرجل الجريح. على أن أسوء خيانة يمكنني أن أرتكبها في حقِّ

https://jadidpdf.com

هولمز أن أنسحِب الآن من لعب الدور الذي شرحه لي. هكذا جمَّدتُ قلبي، وأخرجتُ صاروخ الدخان من معطفي قائلًا لنفسي إننا لا نؤذيها، بل نبغي منعها من إيذاء الآخَرين.

اعتدل هولمز جالسًا على الأريكة، ورأيته يُحرِّك يديه كرجلٍ في حاجةٍ إلى هواء، فهرعت خادمة تفتح النافذة، وفي اللحظة ذاتها رأيته يرفع يده بالإشارة التي اتَّفقنا عليها، فألقيتُ الصاروخ داخل الغُرفة صارخًا: «حريق!»، ولم تكد الكلمة تغادر فمي حتّى بدأ جميع المُحتشدين -رثُّ الثياب ومُهَندَمها، السَّادة والخدم وسائسو الخيل- في ترديد «حريق!» بدورهم. انتشرت سُحب كثيفة من الدخان في الغُرفة وخرجت من النافذة المفتوحة، ولمحتُ أشباحًا تهرع هنا وهناك، وبعد لحظةٍ سمعتُ صوت هولمز من الداخل يُطَمئِنهم أنه كان مجرَّد إنذارٍ زائِف. انسللتُ بين الجموع الصاخبة، وشققتُ طريقي إلى ناصية الشارع، ولم تمضِ دقائق عشر حتّى انضم إليَّ صديقي وتأبَّط ذراعي، وشعرتُ بالسرور للابتعاد عن مسرح كلِّ هذا الصخب. سار هولمز صامتًا بخطواتٍ سريعة بضع دقائق، إلى أن انعطفنا إلى شارعٍ هادئ يقود إلى إدجوير رود.

أخيرًا قال: «أبليتَ بلاءً عظيمًا يا دكتور. أفضل نتيجة ممكنة. كلُّ شيءٍ على ما يرام».

- «هل الصُّورة معك؟».

- «أعرفُ أين هي».

- «وكيف عرفت؟».

https://jadidpdf.com

- «لقد أرتني إياها، تمامًا كما قلتُ لك».

- «ما زلتُ لا أفهمُ».

قال ضاحكًا: «لا أرغبُ في أن أجعله لُغزًا. المسألة شديدة البساطة. لقد رأيتَ لا شكَّ أن جميع من في الشارع كانوا شركاءَ لي يعملون باتِّفاقٍ معي الليلة».

- «هذا ما خمَنته».

- «ثم عندما بدأ الشجار وضعتُ القليل من الطلاء الأحمر السائل في راحة يدي، ثم اندفعتُ نحوهم وسقطتُ مُمسِكًا وجهي بيدَي ليصبح منظري يثير الشفقة».

- «هذا أيضًا خمَّنته».

- «ثم حملوني إلى الداخل. هي كانت مضطرَّة إلى أن تُدخِلني، فماذا عساها تفعل غير هذا؟ ثم وضعتني في غُرفة الجلوس، وهي الغُرفة التي كنتُ أشكُّ فيها، هي وغُرفة نومها، وكنتُ عازمًا على أن أرى الغرفتين. ثم مدَّدوني على أريكة، وحرَّكتُ يدي طالبًا الهواء، فاضطرُّوا إلى فتح النافذة، ثم جاء دورك».

- «وكيف ساعَدك ذلك؟».

- «كانت خطوة مهمَّة جدًّا. عندما تحسب امرأة أن منزلها يحترق، فإن غريزتها تدفعها إلى أن تهرع إلى أثمن شيءٍ لديها في الحال. إنه حافِز شديد القوَّة لأقصى حد، ولقد استغللته أكثر من مرَّة. كان مفيدًا لي في قضيَّة فضيحة استبدال دارلينجتن، وقضيَّة قلعة آرسوورث.

https://jadidpdf.com

المتزوِّجة تهرع إلى طفلها، وغير المتزوِّجة إلى صندوق المجوهرات. طبعًا كان واضحًا لي أن سيِّدتنا العزيزة لا تملك شيئًا في منزلها أثمن من الهدف الذي نسعى وراءه، وستهرع لتحفظه. إنذار الحريق تمَّ على نحوٍ يثير الإعجاب فعلًا، والدخان والصراخ كانا كفيلين بهزِّ أعصابٍ من حديد، واستجابت هي للحيلة بشكلٍ رائع. الصورة موجودة في تجويفٍ وراء لوحٍ منزلِق فوق الجرس الأيمن. لقد بلغتها في لحظة، ولمحتُها وقد أخرجَتها جزئيًّا من التجويف. عندما هتفتُ أنه إنذار زائف، وضعَتها في مكانها مرَّةً أخرى، ونظرت إلى الصاروخ، ثم اندفعت مغادرةً الغُرفة، ولم أرَها بعدها. هكذا نهضتُ واستأذنتُ وغادرتُ المنزل. تردَّدتُ في فكرة أن أحاول استعادة الصورة الآن، لكن سائقها الخاص كان قد دخل المنزل ويُراقبني من قُرب، فقرَّرتُ أن الانتظار أكثر أمنًا. قليلٌ من الاندفاع قد يُفسِد كلَّ شيء».

سألته: «والآن؟».

- «لقد انتهت مهمَّتنا عمليًّا. سنزور الملك غدًا معًا، إذا أردت المجيء معنا، ثم عندما نصل سيجعلوننا نجلس في غُرفة الجلوس في انتظار السيِّدة، لكن عندما تأتي فغالبًا لن تجدنا أو تجد الصورة. قد يشعر جلالته بالارتياح إذا استعادها بيديه».

- «متى؟».

- «في الثامنة صباحًا. لن تكون قد استيقظَت بعد، وسيكون المكان آمنًا. كما أننا يجب أن نُسرِع، فقد يعني هذا الزواج تغييرًا كاملًا في حياتها وعاداتها. يجب أن أبرق إلى الملك بلا إبطاء».

https://jadidpdf.com

كنا قد بلغنا بيكر ستريت ووقفنا عند الباب، وكان هولمز يُنقِّب في جيوبه عن المفتاح، عندما مرَّ أحدهم قائلًا: «تُصبح على خير يا مستر هولمز».

كان هناك أشخاص كثيرون على الرصيف وقتها، وإن بدا أن التحيَّة قد جاءت من شابٍّ نحيل يرتدي معطفًا واسعًا مرَّ بنا بسرعة.

وقال هولمز وهو يرمق الشارع ضعيف الإضاءة: «سمعتُ هذا الصوت من قبل. تُرى من صاحِبه؟».

## الفصل الثالث

قضيتُ تلك الليلة في بيكر ستريت، وكنا نتناول الخبز المحمَّص والقهوة في الصباح التالي عندما اندفع ملك بوهيميا داخلًا علينا، وصاح وهو يقبض على كتفَي شرلوك هولمز وينظر إلى وجهه بلهفة: «هل حصلت عليها فعلًا؟».

- «ليس بعدُ».

- «لكن لديك أملًا؟».

- «لديَّ أمل».

- «هلُم إذن. إنني لا أطيقُ صبرًا حتّى أرحل».

- «يجب أن نجد عربة أجرة».

https://jadidpdf.com

- «لا، عربتي تنتظرنا».

- «هذا يُسهِّل الأمور إذن».

ونزلنا متَّجهين إلى بريوني لودج مرَّةً أخرى.

قال هولمز: «آيرين آدلر تزوَّجت».

- «تزوَّجت؟! متى؟».

- «البارحة».

- «بمن؟».

- «محامٍ إنجليزي اسمه نورتون».

- «لكن ليس من الممكن أنها تحبُّه».

- «آملُ أنها تحبُّه في الحقيقة».

- «ولِمَ؟».

- «لأن هذا سيعفي جلالتك من أيِّ إزعاجٍ آخَر في المستقبَل. إذا كانت السيِّدة تحبُّ زوجها فهي لا تحبُّ جلالتك، وإذا كانت لا تحبُّ جلالتك فليس لديها سبب يجعلها تتدَّخل في خُطط جلالتك».

قال الملك: «هذا صحيح. ومع ذلك... ليكن! ليتها كانت من مقامي! لكانت ملكةً رائعة!».

ثم إنه لاذ بصمتٍ واجِم إلى أن بلغنا سربنتين آفنيو، حيث وجدنا باب بريوني لودج مفتوحًا، وكانت امرأة عجوز تقف على الدرجات وترمقنا بنظرةٍ ساخرة ونحن ننزل من العربة.

https://jadidpdf.com

قالت: «المستر شرلوك هولمز على ما أعتقد؟».

أجابها صديقي وهو يرمقها بنظرةٍ متسائِلة شابها الانزعاج: «أنا المستر هولمز».

- «بالتأكيد! سيِّدتي قالت إنك ستزورنا. لقد رحلَت هذا الصباح مع زوجها في قطار الخامسة والرُّبع في الطريق إلى خارج القارَّة».

تراجع شرلوك هولمز إلى الوراء وقد شحب وجهه ولاحت الصدمة والدهشة على وجهه، وصاح: «ماذا؟ هل تعنين أنها غادرت إنجلترا؟».

- «ولن تعود أبدًا».

قال الملك بصوتٍ مبحوح: «وماذا عن الأوراق؟ لقد ضاع كلُّ شيء».

- «سنرى»، قال هولمز واندفع متجاوِزًا الخادمة، والملك وأنا في أعقابه. كانت قِطَع الأثاث مبعثرةً في كلِّ اتجاه، الأرفُف عارية والأدراج مفتوحة، كأن السيِّدة نهبت محتويات المكان قبل فرارها.

اندفع هولمز نحو الجرس، وانتزع لوحًا مُنزلِقًا صغيرًا، ثم دسَّ يده داخل التجويف، ليخرُجها مُمسِكًا بصورةٍ ورسالة. كانت الصورة لآيرين آدلر نفسها وهي ترتدي فستان سهرة، والرسالة إلى *«شرلوك هولمز، المحترَم. تُترَك حتّى يفتحها»*.

فتح صديقي الرسالة، وقرأها ثلاثتنا معًا. كان موعد كتابتها منتصف الليلة السابقة، وتقول:

https://jadidpdf.com

«عزيزي المستر شرلوك هولمز،

كنتَ شديد البراعة حقًّا، ونجحتَ في خداعي تمامًا. إنني لم أرتَب في أيِّ شيءٍ حتّى إنذار الحريق، لكن عندما أدركتُ أنني خدعتُ نفسي بدأتُ أفكِّر. ثمّة من كان قد حذَّرني منك منذ شهور، وقال لي إنه إذا كلَّف الملك عميلًا له لاستعادة الصورة فإنه سيكون أنت لا شك، وأعطاني عنوانك. وعلى الرغم من كلِّ ذلك جعلتني أكشف لك عما أردت معرفته. حتّى بعدما بدأت الشكوك تُراوِدني وجدتُ أن من الصعب أن أسيء الظَّنَّ بقِسٍّ عجوزٍ لطيف. على أنك تعرف أنني تدرَّبتُ على التمثيل عن نفسي، والتنكُّر في هيئة رجلٍ ليس بالشيء الجديد عليَّ، وكثيرًا ما أستغلُّ الحُرِّيَّة التي يمنحها كذلك. لقد أرسلتُ جون -سائقي الخاص- لمراقَبتك، ثم هرعتُ إلى أعلى ووضعتُ ملابس التجوُّل -كما أطلِقُ عليها- ونزلتُ وأنت تغادِر.

ثم إنني تبعتك إلى باب منزلك، وتأكَّدتُ من أنني محطُّ اهتمام المستر هولمز الشهير بالفعل، لكنني تصرَّفتُ بشيءٍ من الحماقة عندما تمنَّيتُ لك ليلة طيِّبة، وتوجَّهت نحو جمعيَّة المشرِّعين لأرى زوجي.

قرَّرنا معًا أن الفرار هو أفضل ملاذٍ الآن في مواجهة خصمٍ قوي مثلك، ولهذا ستجد العُشَّ خاليًا عندما تأتي في الصباح. وبالنِّسبة إلى الصورة فقُل لعميلك أن يطمئنَّ، فأنا أحبُّ رجلًا أفضل منه ويحبُّني، ويستطيع الملك الآن أن يفعل ما يشاء دون أيِّ معوِّقاتٍ من المرأة التي أخطأ في حقِّها بقسوة. احتفاظي بها لحماية نفسي فقط،

https://jadidpdf.com

*وللحفاظ على سلاحٍ دائمٍ ضد أيِّ خطواتٍ قد يتَّخذها في المستقبَل. على كلِّ حالٍ، لقد تركتُ صورة قد يرغب في الاحتفاظ بها.*

*المُخلِصة لك دائمًا يا مستر شرلوك هولمز،*

*آيرين نورتون/ آدلر».*

صاح ملك بوهيميا عندما فرغنا من قراءة الرسالة: «يا لها من امرأة! يا لها من امرأة! ألم أقل لك كم هي ذكيَّة عنيدة؟ ألم تكن لتُصبح ملكة تثير الإعجاب؟ أليس من المؤسِف أنها ليست من مقامي؟».

قال هولمز ببرود: «مما رأيتُ من السيِّدة، فهي على مستوى مختلف تمامًا عن مستواك فعلًا يا جلالة الملك. أعتذرُ لعدم استطاعتي تنفيذ مهمَّة جلالتك بنجاحٍ أكبر».

صاح الملك: «على العكس يا سيِّدي العزيز، لا يوجد ما هو أنجح من هذا. إنني أعرفُ أنها ستصون كلمتها. الصُّورة آمنة الآن تمامًا كما لو أنها احترقت».

- «يُسعِدني أن أسمع جلالتك تقول هذا».

- «إنني مدينٌ لك إلى أقصى حَد. قُل لي أرجوك كيف أُكافِئك. هذا الخاتم»، وخلع خاتمًا من الزمرُّد على شكل ثعبان من إصبعه ومدَّه إليه في راحة يده، فقال هولمز: «جلالتك معه شيء أعتبره أعلى قيمةً».

- «اطلبه».

https://jadidpdf.com

- «الصُّورة!».

نظر إليه الملك بدهشة، ثم قال: «صورة آيرين؟! بالتأكيد، إذا كنت تريدها».

- «أشكرُ جلالتك. هكذا انتهت هذه المسألة إذن. يُشرِّفني أن أتمنَّى لك نهارًا سعيدًا جدًّا».

وانحنى هولمز، ثم التفت دون أن يُلاحِظ اليد التي مدَّها الملك لمصافَحته، وتحرَّك في صُحبتي عائدًا إلى بيته.

وهكذا كانت نهاية الفضيحة التي كانت تُهدِّد مملكة بوهيميا، وكيف تغلَّب ذكاء امرأة على خُطط شرلوك هولمز المُحكَمة.

كان قد اعتاد السخرية من ذكاء النساء، لكنني لم أعُد أسمعه يفعل هذا في الفترة الأخيرة، وعندما يتكلَّم عن آيرين آدلر، أو عندما يذكُر صورتها، فإنه يُطلِق عليها دائمًا لقب «المرأة» الذي اختصَّها به دون غيرها.

---

آرثر كونان دويل (١٨٥٩-١٩٣٠)، كاتب وطبيب بريطاني اشتهر بمغامرات شرلوك هولمز، كما كتب أيضًا الفانتازيا والخيال العلمي، ومن أهم أعماله «دراسة في اللون القِرمزي» و«العالم المفقود» و«العصابة الرقطاء».
نُشرت القصَّة بعنوان «*A Scandal in Bohemia*» في مجلة «*The Strand*» عام ١٨٩١.

https://jadidpdf.com

# كعكة السُّم

## *تِري بيسون*

مرحبًا. أنا رون، رئيس المُساعِدين التنفيذيِّين لمقدِّم البرنامج، لكن يُمكنكِ دعوتي برون فقط. دعيني أبدأ -رغم ما في هذا من غرابة- بأن أهنِّئكِ.

أعرفُ طبعًا. إنني أعملُ في هذا البرنامج منذ ستِّ سنواتٍ كاملة، فكيف لا أعرفُ؟ لكن تعامَلي مع الأمر من هذا المنطلَق يا كيم... هل تسمحين أن أدعوكِ بكيم؟ لقد وقع عليكِ الاختيار لتمثيل الجِنس البشري كله لليلةٍ واحدة، وليس البشر فقط، بل وجميع الطيور والحيوانات كذلك، والدُّود والفراشات، والأسماك في البحار، والزهور في الحقول.

لمدَّة نصف ساعةٍ كاملة هذه الليلة ستكونين ممثِّلةً لجميع صُور الحياة على هذا الكوكب، وربما في جميع أنحاء الكون على حدِّ علمنا. ألا يستحقُّ هذا التهنئة؟ لكِ أن تشعري بالفخر، وأن تشعر به عائلتكِ أيضًا.

هل كانت لكِ... أقصد هل لكِ عائلة؟ جميل. كلنا نعرف أيُّ

https://jadidpdf.com

برنامج سيُشاهدون الليلة، أليس كذلك؟ أعرفُ بالطبع أن الجميع يُشاهدونه على كلِّ حال، أكثر من حفلات الأوسكار بفارق ثمان إلى عشر نقاطٍ كاملة. هل تعلمين أن النقطة الواحدة تساوي ثلاثة عشر مليون مُشاهد؟

حسن، هل ظهرتِ على شاشة التليفزيون من قبل؟ عظيم. أنا أيضًا كنتُ أحبُّ بيل موري كثيرًا، ليرحمه الله. حسن، إن تسعة وتسعين بالمئة من العمل التليفزيوني هو الإعداد، خصوصًا عندما يكون البَث مباشِرًا. تفضَّلي هنا معي، ولننتهز هذه الفُرصة لمراجَعة الخطوات مع مسؤولي الإضاءة -ومعكِ أيضًا بالطبع- كي يكون تركيزكِ كله مُنصبًّا على الحدث نفسه فقط الليلة.

بعدكِ، تفضَّلي، إنها ليلتكِ أنتِ، انتبهي لخطواتكِ، الأسلاك كثيرة هنا.

حسن، نُطلِق على هذه المنطقة يسار المسرح. في الثامنة و٥٩ دقيقة، أي قبل دقيقةٍ واحدة من بدء العرض، ستُخرِجكِ واحدة من الفتيات إلى المسرح. نعم، واحدة من تلك الفتيات ذوات الفساتين الخضراء القصيرة. ماذا؟ من المفترَض أن يكونوا رجالًا يرتدون البكيني بما أنكِ امرأة؟ آه، إنها دعابة. لديكِ حِس فكاهةٍ لا بأس به يا كيم. هل تسمحين أن أدعوكِ بكيم؟

نعم، هذا صحيح.

على كلِّ حال، ستقفين هنا، أصابع قدميكِ على العلامة. لا تقلقي، لن تثبت الكاميرات عليكِ طويلًا، ليس بعدُ. ستكونين

https://jadidpdf.com

جزءًا من المشهد العام فقط في البداية. ستكون هناك أغنية واحدة يغنِّيها كورال أطفال جمعيَّة رينبو الدوليَّة، «ها هي ذي الشمس تُشرِق» على ما أظنُّ. ما عليكِ إلا أن تقفي في مكانكِ وتبدي جميلة. ماذا؟ لتبدي وقورة إذن، لا فرق. أنتِ أول امرأة منذ عامين بالمناسبة. آخِر مستهلكَيْن كانا من الرجال.

لا أدري السَّبب في الحقيقة. إننا نُطلِق عليهم اسم المستهلكين فحسب. هل هناك اسم معيَّن تريدين منا إطلاقه عليكِ؟

هذه دعابة أخرى، أليس كذلك؟ لا يهمُّ.

حسن، ستنتهي الأغنية في التاسعة و٧ دقائق، ثم شيء من التغيير في إضاءة المسرح، ثم يخرج مقدِّم البرنامج. لا حاجة إلى إخباركِ بأنه سيكون هناك تصفيق بالطبع، ثم يتجه إليكِ، و... هل تُفضِّلين قُبلة أم مصافحة؟ كما تشائين. القليل من الثرثرة بعد المصافحة، أين وُلدتِ، وظيفتكِ، إلخ... من أين أنتِ بالمناسبة؟ هذا لطيف جدًّا! لم أكن أعرف أنهم يتكلَّمون الإنجليزيَّة هناك، لكنها خضعت للاحتلال البريطاني لسنواتٍ طويلة، أليس كذلك؟

حسن، لا يُقلقنَّكِ ما ستقولينه، فمقدِّم البرنامج يعرف كلَّ شيءٍ عن خلفيَّتكِ، وسيُلقي عليك سؤالًا قصيرًا أو اثنين، تمامًا كما في برنامج «*Jeopardy*». هل تعرفينه؟

تودِّين لقاءه؟ نعم، بالطبع، ربما قبل العرض الليلة إذا سمح الوقت. لكن يجب أن تعرفي أن المستر كريستال رجل مشغول جدًّا يا كيم. هل تسمحين أن أدعوكِ بكيم؟

https://jadidpdf.com

نعم، هذا صحيح. نسيتُ، آسف.

حسنٍ، على كلِّ حال، القليل من الثرثرة حتّى التاسعة و١٠ دقائق. كلُّ شيءٍ مدوَّن معي هنا بالدقيقة كما ترين. في التاسعة و١٠ دقائق يُغيِّرون الإضاءة، ثم يخرج رؤساء السوق المشتركة والاتحاد الإفريقي والأمريكتين، إلخ... خمسة من القادة، منهم امرأة هذا العام على ما أظنُّ. سيكون هناك بيان قصير، لا شيء معقَّدًا، «شجاعتكِ العظيمة تصون أسلوب حياتنا» أو شيء من هذا القبيل. سيلقون بضع كلماتٍ عن طريقة عمل القُرعة، بما أن هذا هو أول عام يُسمَح فيه للناس بشراء تذاكر لغيرهم.

آسفٌ لهذا. بالطبع كان التطوُّع ليصبح أفضل، لكن لا بُدَّ أن أحدهم ابتاع لكِ تذكرة. هكذا يجري الأمر كله كما تعلمين.

حسن، أين كنا؟ التاسعة و١٣ دقيقة. سيكون مع الرؤساء لوحة شرف ستأخذها عائلتكِ فيما بعد، لكن لا تأخذيها، اطَّلعي عليها فقط. ثم القُبلة... آسف، المصافحة. سأدوِّنُ هذا كي لا أنسى. ثم يخرج الرؤساء من يمين المسرح. لا تقلقي، الفتيات يتولَّيْن الحركة كلها.

في التاسعة و١٤ دقيقة ستخفت الإضاءة ليبدأ استعراض السُّكَّان الأصليين الذي ستُشاهدينه من مكانكِ في يسار المسرح بالطبع. ربما يروقكِ أيضًا. ثلاث نساء وثلاثة رجال، وتريَّات وطبول وما إلى ذلك. سترقص النساء فيما يُغنِّي الرجال «العِلم كان عدوَّنا من قديم، أما الآن فقد صار أخانا الحميم» أو ما شابه.

https://jadidpdf.com

ستشعرين بشيءٍ على مؤخِّرة عنقكِ. إنها ماكينة الرياح، فلا تقلقي. سينتهي الاستعراض في التاسعة و١٧ دقيقة، ثم يخطون إليكِ ويُسلِّمونكِ لفافة من لِحاء الشَّجر، خذيها لكن لا تفتحيها. في التاسعة و١٨ دقيقة سيخرجون من يسار المسرح، وهذه نهاية الـ... ماذا؟ لا، الرعاة الرسميُّون أنفسهم لا يظهرون.

حسن، إنها التاسعة و١٩ دقيقة، وهذه هي نهاية «التسخين» -كما نُطلِق عليه- ثم يعود مقدِّم البرنامج وتسيرين معه إلى منتصف المسرح. دعينا نجرِّب. سيُساعدكِ على البقاء في دائرة الضوء. سيُبدي إعجابه باللفافة، دعابة أو اثنتان، القليل من الثرثرة. لا تقلقي، إنه يُقدِّم البرنامج للعام السادس على التوالي، ولم يخطئ مرَّة.

لن تكون كلُّ هذه الأسلاك موجودة على الأرض الليلة.

حسن، إنها التاسعة و٢٠ دقيقة وأنتِ في منتصف المسرح، أصابع قدميكِ هنا. المزيد من تغيير الإضاءة، ثم يُقدِّم مقدِّم البرنامج رئيس المعهد الدولي لعلوم البيئة الذي سيأتي من يسار المسرح ومعه الكعكة بالطبع. لن نراها في البداية، لأنها ستكون داخل كيسٍ ورقيٍّ أبيضَ، ثم سيضعها أمامكِ هنا على المنصَّة.

سيقف هنا، وهذه العلامات الخضراء له. (إننا نُطلِق عليه اسم الأخضر الوقح بالمناسبة)، ثم يبدأ كلمته عن شرور العِلم في التاسعة و٢٢ دقيقة، «لقرونٍ طويلة والعِلم يُسمِّم الأرض ويُلوِّث الهواء ويُفسِد المياه، إلخ...». إنها الكلمة نفسها من العام الماضي لكن مختلفة بعض الشيء، إذا كنت تفهمين ما أعنيه. ثمَّة ڤيديو

https://jadidpdf.com

سيُعرَض في الآن نفسه نُطلِق عليه اسم الفيديو الحزين. ليس من الضروري أن تُشاهديه إذا لم ترغبي، لكن عليكِ أن تبدي مهتمَّة أو حتّى منزعجة، لا يهمُّ. لقد حدث كلُّ ما فيه بالفعل! الأنهار الجافَّة والطيور الميتة والتلوُّث. سيستغرق هذا دقيقتين.

حسن، إنها التاسعة و٢٤ دقيقة. سيبدأ عرض الفيديو الآخَر، الفيديو المرِح؛ سماء زرقاء، طيور، دببة، إلخ... في أثناء عرضه سيُلقي رئيس المعهد الدولي لعلوم البيئة كلمته الأخرى عن عجائب العِلم، وسيشرح كيف استطاع العلماء جمْع واحتواء جميع المواد الضارَّة والملوَّثة على مدار العام المنصرِم كله وحِفظ البيئة منها، و...

كيف؟ لا أدري في الحقيقة. إنني لا أصغي للجزء التقني أبدًا... إنه شيء ما مجهري-منمنَم-جزيئي لا أفقهُ منه حرفًا. لكن الرجل سيشرح كلَّ شيء. أعتقدُ أنه سيكون هناك رسم بياني كذلك. على كلِّ حال، سيشرح كيف يتم جمْع وتركيز جميع المواد الضارَّة والملوَّثة على مدار العام المنصرِم في كعكةٍ واحدةٍ فقط. العام المقصود هو العام المالي بالمناسَبة، ولهذا السبب تتم المراسم الليلة، وليس ليلة رأس السنة.

حسن، ثم سيُناوِلك الكيس الورقي ويخرج من يمين المسرح في التاسعة و٢٧ دقيقة. الآن ليس هناك إلاكِ ومقدِّم البرنامج، والكعكة في كيسها بالطبع.

قد تكون هناك الكثير من الدُّهون عليها، لا أدري، لكن يمكنك أن تُمسكيها من أعلى إذا أردتِ!

https://jadidpdf.com

حسن، في التاسعة و٢٨ دقيقة ستسمعين دقّات الطبول. قد يبدو هذا سخيفًا لكِ الآن، لكنه لن يبدو سخيفًا وقتها. أعرفُ هذا لأنني كنتُ هنا في الأعوام الستَّة الماضية، وفي كلِّ مرَّةٍ تُغرق عينَي الدموع، في كلِّ مرَّةٍ لعينة! تقترب منكِ الكاميرات، وتمدين يدكِ داخل الكيس. هذه هي لحظتكِ، و...

ماذا؟ إنها تبدو كأيِّ كعكةٍ أخرى. بالتأكيد ستكون مدهونةً بالعسل إذا كان هذا طلبكِ!

حسن، إنها التاسعة والنصف، لكن لا تشغلي نفسكِ بالوقت، فهذه لحظتكِ. هي لحظتنا جميعًا في الحقيقة، لحظة كلِّ من يهتم بالبيئة في العالم، وهذا يتضمَّن الجميع في أيامنا هذه. ستمدين يدكِ داخل الكيس وتُخرجين الكعكة...

ماذا سيحدث بعدها؟ أرى أنكِ ما زلتِ تمزحين. إنني معجبٌ حقًّا بحِسِّ الفكاهة لديكِ يا كيم.

حسن، كلنا نعرف ما سيحدث بعدها.

ستأكلين الكعكة بالطبع.

---

تِري بيسون (١٩٤٢- )، كاتب خيال علمي وفانتازيا أمريكي، حاصل على جائزتَي هيوجو ونبيولا الأدبيَّتين، وله عدة روايات ومجموعات قصصيَّة.
نُشرت القصَّة بعنوان «*The Toxic Donut*» في مجلة «*Science Fiction Age*» عام ١٩٩٣.

https://jadidpdf.com

# دعم سلبي

## *تشاك پولانك*

كانت أودري من المنبوذين جنسيًّا، جاريةً تستعبدها النَّغَمات اللاتينيَّة، وليدة جراحةٍ قيصريَّة في السبعينات، نَمِرةً ضاريةً حبيسةً في الحرِّ الخانق على متن الحافلة رقم ١٤ المتجِّهة إلى بوننديل.

والآن ها هي ذي جالسة وراءك للمرَّة الثالثة هذا الشهر. من غير الممكن أن تكون هذه مصادفةً. إنها هنا لسببٍ ما، ولا بُدَّ أنها تشمُّ رائحة خوفك كما تفعل الكلاب.

هي ليست مجرَّد فتاةٍ بيضاء أخرى ذات شَعْرٍ تالف، هي أفعى تتخلَّص من الجلد الميت في شكل فُستانٍ أسودَ قصير بلا حمَّالات مصنوع من الإيلاستين. من السمَّاعتين الموضوعتين على أذنيها تتدفَّق أغاني بوب مارلي، ولها تلك الطريقة المتأنية البسيطة التي تجعل بها حافة الفُستان تنحسر عن ساقيها. تشقُّ أودري طريقها في هذا العالم بنفسها، دون حاجةٍ إلى حقوق المرأة أو التمييز الإيجابي مع الأقليَّات أو معطِّرٍ للأنفاس. إنها مسطولة وحُرَّة وتملك أسنانها كلها، وهو ما يجب أن تعتبره تحذيرًا.

https://jadidpdf.com

لا يُمكنك أن تراها لأنك لا تملك الشَّجاعة الكافية لأن تلتفت خلفك وتُلقي نظرةً، لكنك تعرف أنها تجلس مرتكنةً بظهرها إلى جدار الحافلة المعدني الدافئ وقد رفعَت ساقيها على المقعد المجاور لها. هي لا تحبُّ نور النهار كثيرًا، وليس من المحبَّب أبدًا أن تراها وهي ترتدي الألوان. في النهار هي صورة بالأبيض والأسود يبدو عليها القِدَم كدُميةٍ لمُغنٍّ مساعد في ڤيديو كليپ لفرقة هيڤي ميتال تخلَّص منها أحدهم في القمامة، وليلًا هي صورة ضوئيَّة من الجيل الرابع وقد دبَّت فيها الحركة، لكنها لن تحيا بما يكفي لأن تصل إلى عُمر الصُّور ذات اللون البنِّي الداكن.

تعرف يقينًا -كما لو أنك في حُلم- أن اسمها أودري، لكنك لا تعرف السَّبب، ربما لأن الاسم يُذكِّرك بكلمةٍ تُرادِف «البهرجة الرخيصة». تعرف أن أغسطس هو الوقت المفضَّل لها من العام، عندما يأتي في أغسطس. إنها تحبُّ الشتاء عندما يأتي في الشتاء، والربيع عندما يأتي في الربيع، ويُمكنها التعامل مع أيِّ شيء.

تتمنَّى أن تنزل من الحافلة قبل أن تتجاوز وسط البلد لأنك لا تستطيع الالتفات، لكنك تريد إلقاء نظرةٍ أخرى عليها. سوف ينكسر قلبك إذا واصلَت طريقها معك إلى الضواحي وهدوئها.

إن لديها لكنة بريطانيَّة، أو لعلها تتشدَّق باللهجة الجنوبيَّة، ويُمكنها أن تتكلَّم وفمها مليء بدُخان السجائر.

تعرف أنها قتلت أباها وأمَّها لاعتدائهما الجسدي عليها، وإذا كانا حيَّيْن فقد تبرَّأت منهما لأنهما من البليونيرات. ليس هناك من

https://jadidpdf.com

هي مسؤولة أمامه، ولم تحصل على درجاتٍ عالية في الدراسة، ولا تملك رخصةً لمزاوَلة التجميل، ولا يوجد سرير بمظلة تكدسَّت عليه دُمى الحيوانات ينتظرها عندما تصل إلى وجهتها. لا تحاول أودري أن تفقد بعض الوزن أو تُقلِع عن التدخين أو تُحسِّن خياتها وتجعل لنفسها قيمةً ما في هذا العالم، ولو ذكرتَ لها هذا لقالت: «إنني في أفضل حال، ولطالما كنتُ كذلك. إذا كنت لا ترى هذا فالمشكلة مشكلتك».

هي لا تملك سيَّارة، وإذا كانت تملك واحدةً فإنها بلا تأمين. ليس لها مسار مهني معيَّن بل مجرَّد وظيفة، ولو سألتها عنها فلن تُخبِرك. تُعرِّف نفسها بأنها غير قابلةٍ للتعريف، ولا تعمل أو تدرس كي تصبح واحدةً أخرى غير نفسها. لن تصبح ممثلةً، ولا تثير إعجابها حقيقة أنك مستشار مالي. إذا حاولتَ أن تُخبرها بمشكلة بشرتك الجافَّة المزمنة فستريك الالتهاب الذي أصابها من جرَّاء محاولة إزالة وشمها الرديء بمُبيِّض الغسيل الساخن.

كلما توقَّفت الحافلة تجد نفسك تنظر من النافذة لترى إن كانت قد نزلت من الباب الخلفي. حتّى إذا التقيتَها فعلًا فلن تتزوَّجك أودري أبدًا، لكنها ستُوافِق في الغالب على أن تتواعدا. ستسبُّ أصدقاءك ويسبُّك أصدقاؤها لا مناص، تمامًا كما ينجذب العُث للَّهب، وستفقد السيطرة.

ستكرهها أمُّك.

ستأخذها إلى بيت والديك لتناوُل العَشاء، وستُدخِّن أودري

https://jadidpdf.com

السجائر دون فلتر وهي تأكل، هذا إذا أكلَت. سترفع طبقها وتنظر إليه كمصَّاص دماءٍ يبحث عن انعكاسٍ لن يجده وتقول بسخرية: «والداك رائعان».

ستبتسم أمُّك بارتباك وهي تحاول أن تأخذ ما قيل على محمل المجاملة، لكن أودري لن تعرض المشاركة في رفع الأطباق عن المائدة، وستقرأ أفكارك كأنها ساحرة.

ستقول بلهجةٍ آمرة: «ساعِد أمَّك. سيعطيكما هذا فرصة للكلام عني في المطبخ».

وستقول أمُّك بعتابٍ وأنتما تغسلان الأطباق: «هناك من هنَّ أفضل منها بكثير».

وستجيب كاذبًا: «إنها رائعة حقًّا».

في غُرفة الطعام سيزدرد أبوك كلماته المهذَّبة بالماء فيما ترمقه أودري دون أن تطرف عيناها وقد اتسع البؤبؤان، وستضحك فجأةً في لحظاتٍ غير ملائمة وهو يحكي عن تجربته في حرب كوريا، ثم ستميل إلى الأمام لتُريه الندبة التي خلَّفها مرض جلدي قديم بين ثدييها، وعندها سيقول بضعف: «لطالما عانيتُ أنا نفسي من الأكياس الدُّهنيَّة».

وأخيرًا، بعد شهورٍ من تلك الليلة، بعد أن قطعَ والداك كلَّ صلةٍ لهما بك وفقدت وظيفتك، ستُدرك حجم بؤسك. عندما تُلمِّح أنك ستتركها لن تُهدِّد بقتل نفسها بل بقتلك أنت. لا أحد يترك أودري، مفهوم؟ وعندما تخرج من الحمَّام لن تجدها، وإن كنت

https://jadidpdf.com

ستجد سكينًا مغروسًا حتّى المقبض في جانِبك من الفِراش، وفي اليوم التالي ستجد كلَّ شيءٍ تملكه في مقلب القمامة.

ثمّة شيء ما يدقُّ على ظهر مقعدك في الحافلة.

تتحرَّك في مكانك بتوتُّر مع خاطر أنها تحاول الآن بالفعل أن تطعنك عبر الوسادة المصنوعة من المطاط الإسفنجي، وهناك ستظلُّ جالسًا معتدلًا وقد خوزقك النصل المعدني السميك كما لو في حُلم عالم حشرات. سترمق عيناك الفراغ، وسيحسبك الجميع مدمنًا على مخدِّرٍ ما. سيُثبِّتك النصل في مكانك ساعاتٍ قبل أن يدرك أحدهم أخيرًا أنك ميت.

لعلَّ الحافلة مرَّت على مطبٍّ فحسب...

ولعلَّ سيَّارة ما صدمت الحافلة...

- «أنت...»، يقول الصوت بإصرار مع دقةٍ أخرى.

- «أنت!»، يأتي الصوت مرتفعًا أكثر هذه المرَّة دون أن ينتظر إجابة.

- «أغلِق نافذتك».

تُردِّد اعتذارًا وأنت تُغلِق النافذة، ويشكرك الصوت بكآبةٍ، فتلتفت لتُكرِّر الاعتذار.

هذه هي اللحظة السحريَّة التي ستُغيِّر حياتكما إلى الأبد. هي تبدو كأودري، نعم. تضع كثيرًا من الماكياج كأنها كانت في شجار، وعيناها تبدوان كمطفأتي سجائر متَّسختين.

https://jadidpdf.com

تقول هي حانقةً: «في شَعري جل بثلاثة دولارات كاملة، والهواء سيُفسده».

وترفع يدها لتعيد تسوية خصلات استشارها، وتلاحظ أنت الشَّعر الأسود الكثيف تحت إبطها وأنت تحبس أنفاسك منتظرًا أن ينزلق الفستان الأسود عن ساقيها إلى خصرها.

- «أودري؟».

يصدر منها تعبير مستنكر وعيناها ترتفعان إلى أعلى كأنها تنظر بهما عبر مخِّها وهي تُعيد ترتيب شَعرها. تبدو مثل زومبي يرتدي ملابس النساء، ثم إنك تلاحظ لمعة مزيل العرق على شَعر إبطها.

- «هل اسمكِ أودري؟».

تجيب بأسنان صفراء مائلة إلى جانبٍ واحد كأحجار الدومينو: «لا، اسمي شيلا».

وتقول وأنت تلتفت بعيدًا عنها: «آسف، حسبتُني للحظةٍ أعرفكِ».

---

نُشرت القصّة بعنوان «*Negative Reinforcement*» في مجلة «*Modern Short Stories*» عام ١٩٩٠.

https://jadidpdf.com

# صفحات من مفكّرة

## *نيل جايمان*

صفحات من مفكّرة عُثر عليها في عُلبة حذاء متروكة على متن حافلة

**الاثنين ٢٨**

أظنُّ أنني ألاحقُ سكارلت منذ فترةٍ طويلة. البارحة كنتُ في لاس ڤيجاس، وفي أثناء عبوري مرأب أحد الملاهي وجدتُ بطاقة بريدية على الأرض. كانت هناك كلمة مكتوبة عليها بطلاء شفاهٍ قِرمزي، كلمة واحدة هي «تذكَّر»، وعلى الوجه الآخر صورة لطريقٍ سريع في مونتانا.

لا أذكرُ ما الذي يجدر بي تذكُّره، لكنني على الطريق الآن أتجهُ شمالًا.

**الثلاثاء ٢٩**

إنني في مونتانا -أو ربما هي نبراسكا- وأكتبُ هذه الكلمات في موتيل على الطريق. الريح تعصف خارج غرفتي وأنا أحتسي

https://jadidpdf.com

قهوة الموتيل السوداء، تمامًا كما سأحتسيها غدًا وبعد غد. في مطعمٍ صغير ببلدةٍ صغيرة اليوم سمعتُ من يقول اسمها. قال الرجل إن «سكارلت على الطريق». كان ضابط مرور، وقد غيَّر الموضوع بمجرَّد أن دنوتُ لأصغي.

كان يتكلَّم عن حادث تصادمٍ شنيع، ويقول إن الزجاج تناثر على الطريق متألِّقًا كالماس. حيَّاني الرجل قائلًا بكياسة: «سيِّدتي».

الأربعاء ٣٠

قالت المرأة: «ليس العمل ما يصيبك بكلِّ هذا الاستياء، بل نظرات الناس». كانت ترتجف، فالليلة باردة حقًّا، وهي لا ترتدي ملابس خفيفة طبعًا.

قلت لها إنني أبحث عن سكارلت، فاعتصرت يدي بيدها، ثم مسَّت وجنتي بخفةٍ شديدة، وقالت: «لا مناص من مواصلة البحث»، ثم راحت تقطع الشارع بخطواتٍ واثقة.

لم أعد في بلدةٍ صغيرة، وربما أكون الآن في سانت لويس. كيف تعرف أنك في سانت لويس؟ بحثتُ عن دلالةٍ ما، عن شيء يربط الشرق بالغرب، لكن لا بد أنه فاتني إن كان له وجود.

بعد ذلك عبرتُ نهرًا.

الخميس ٣١

كان التوت الأزرق البري ناضجًا على جانب الطريق، وثمَّة

https://jadidpdf.com

خيط أحمر عالق بالشجيرات. أخشى الآن أنني أبحثُ عن شيء لم يعد موجودًا، أو ربما لم يوجد قط.

في مقهى في الصحراء تكلَّمتُ مع امرأةٍ كنتُ أحبُّها تعمل نادلة هناك منذ زمنٍ طويل.

قالت لي: «حسبتني وجهتك، لكن يبدو أنني مجرَّد محطَّة أخرى على الطريق»، فلم أستطع أن أرد بشيءٍ ذي معنى، ولم تكن تسمعني. كان حريًّا بي أن أسألها إن كانت تعرف مكان سكارلت.

الجمعة ٣٢

حلمتُ بسكارلت ليلة أمس. كانت ضخمة غاضبة، وتطاردني. كنتُ أعرفُ كيف تبدو في الحلم، ولمَّا استيقظتُ وجدتُ نفسي في سيارة جر مركونة على جانب الطريق، وكان هناك رجل يُسلِّط ضوء كشافه على وجهي عبر النافذة. قال: «سيِّدي»، وطلب رؤية بطاقتي الشخصية.

قلتُ له من أحسبني أكونُ وعمَّن أبحثُ، لكنه ضحك وابتعد وهو يهزُّ رأسه ويدندن أغنية لا أعرفها. قدتُّ السيارة جنوبًا حتّى الصباح. أحيانًا أحسبُ أن ما أفعله أصبح هوسًا.

الغريب أنها تمشي على قدميها في حين أتنقَّلُ أنا بالسيارة، فكيف تسبقني دائمًا؟

السبت ١

عثرتُ على علبة حذاء أحتفظ فيها ببعض الأشياء. في

https://jadidpdf.com

مكدونالدز بجاكسونفيل تناولتُ كوارتر باوندر بالجُبنة وميلك شيك بالشوكولاتة، ثم أفرغتُ كل ما أحتفظ به في العلبة على المائدة أمامي: الخيط الأحمر العالق بشجيرة التوت الأزرق، البطاقة البريدية، صورة ضوئية وجدتها في أرضٍ خراب بالقرب من صنست بوليڤارد فيها فتاتان تتهامسان الأسرار بوجهين متورِّدين، شريط كاسيت، مقدار من الترتر الذهبي في زجاجةٍ صغيرة أعطاني أحدهم إياها في واشنطن، صفحات كنت قد مزَّقتها من كتب ومجلات، فيشة لعب من أحد الملاهي، وهذه المفكِّرة.

- «عندما تموت يمكنهم أن يُحوِّلوك إلى ماسٍ الآن. إنه العلم. هكذا أريدُ أن يذكرني الناس، أريدُ أن أبرق».

قالتها امرأة ذات شعرٍ داكن جالسة إلى المائدة المجاورة.

الأحد ٢

الطُّرق التي تسلكها الأشباح مكتوبةٌ على الأرضِ بكلماتٍ عتيقة، فالأشباح لا تقطع الطُّرق الرابطة بين الولايات ركوبًا، بل تمشي. أشبحًا أتبعُ إذن؟ أحيانًا أحسبُ أنني أنظر من خلال عينيها، وفي أحيانٍ أخرى أحسبُ أنها هي من تنظر من خلال عينَي.

إنني في ويلينجتون بنورث كارولاينا، أكتبُ هذه الكلمات على شاطئٍ خالٍ فيما يلتمع نور الشمس على مياه البحر، وأشعرُ بوحشةٍ عارمة.

إننا نرتجل خطواتنا التالية ارتجالًا، أليس كذلك؟

https://jadidpdf.com

**الاثنين ٣**

كنتُ في بالتيمور، أقفُ على رصيفٍ في مطر الخريف الخفيف أتساءلُ عن المكان الذي كنتُ أقصده. أظنني رأيتُ سكارلت في سيارةٍ مقبلة نحوي. كانت راكبة ما لم أستطِع رؤية وجهها، لكن شعرها أحمر. كانت المرأة التي تقود السيارة -سيارة جر قديمة الطراز- سمينة سعيدة ذات شعر أسود طويل وبشرة سمراء.

قضيتُ تلك الليلة في بيت رجلٍ لا أعرفه، وعندما استيقظتُ قال لي إنها في بوسطن. سألتُ عمَّن يقصد فقال إنها من أبحثُ عنها.

سألته كيف عرف، لكنه رفض الإجابة، وبعد فترةٍ قصيرة طلب مني أن أغادر، ففعلتُ.

أريدُ أن أعود إلى بيتي، وكنتُ لأعود لو عرفتُ أين هو، لكنني أشقُّ الطريق بدلًا من هذا.

**الثلاثاء ٤**

في أثناء مروري بنيو آرك في منتصف النهار استطعتُ أن أرى قمَّة نيويورك وقد تلطَّخت بالظلام من فرط الغبار في الهواء استعدادًا للغرق في ظلامٍ دامس بفعل عاصفةٍ رعدية قادمة. لعلها نهاية العالم. أحسبُ أن العالم سينتهي بالأبيض والأسود، تمامًا كما في الأفلام القديمة. (شعرٌ أسود كالفحم، بشرةٌ بيضاء كالجليد). لعلنا نستطيع الاستمرار طالما تبقَّت لنا الألوان. (شفتان حمراوان كالدَّم)... أظلُّ أذكِّرُ نفسي بهذا.

https://jadidpdf.com

بلغتُ بوسطن مع حلول المساء، وأجدُ نفسي أبحثُ عنها في المرايا والانعكاسات. تأتي عليَّ أيام أذكرُ فيها عندما جاء البِيض هذه الأرض وهبط السُّود على السواحل مكبَّلين بالأغلال، وأذكرُ عندما كان الحُمر يجوبون هذه الأرض وهي أكثر شبابًا.

وأذكرُ عندما كانت الأرض وحيدةً تمامًا.

- «كيف يمكنك أن تبيع أمك؟».

كان هذا قول القوم الأولين عندما طُلب منهم أن يبيعوا الأرض التي يمشون عليها.

## الأربعاء ٥

تحدَّثت إليَّ ليلة أمس. كلي ثقة بأنها هي.

كنتُ أمرُّ بهاتف عمومي في أحد شوارع لوس أنجليس عندما رنَّ الهاتف، فرفعتُ السماعة.

قال الصوت: «هل أنت بخير؟».

سألتُ: «من أنتِ؟ ربما طلبتِ رقمًا خطأ».

قالت: «ربما، لكن هل أنت بخير؟».

أجبتُ: «لا أدري».

قالت: «هناك من يحبُّك»... وعرفتُ عندها أنها هي. أردتُ أن أقول لها إنني أحبُّها أيضًا، لكنها كانت قد وضعت سماعة الهاتف، هذا إذا كانت هي. لقد كانت هنا للحظةٍ واحدة، وربما كان الرقم

https://jadidpdf.com

خطأً بالفعل، لكني لا أظنُّ ذلك. لقد اقتربتُ بشدة. أشتري بطاقة بريدية من شريدٍ يسكن الرصيف ويحمل دثارًا به أشياء وأشياء، وأكتبُ «تذكَّر» على البطاقة بطلاء الشفاه كي لا أنسى أبدًا. لكن الريح تهبُّ وتذرو البطاقة بعيدًا، وأظنُّ أنني سأواصلُ المشي في الوقت الحالي على الأقل.

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية
بحجم خفيف جدا على مكتبة جديد بدف
https://jadidpdf.com

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Pages from a Journal Found in a Shoebox in a Greyhound Bus*» في مجموعة «*Fragile Things*» عام ٢٠٠٦.

https://jadidpdf.com

# شجر ميت

## *جو هيل*

ثمَّة من يقولون إن حتّى الأشجار نفسها يمكن أن تظهر كأشباح، وهناك عدد كبير من الشَّهادات المذكورة في كُتب الپاراسيكولوجي عن تلك التجسُّدات، منها مثلًا شجرة الصَّنوبر البيضاء الشهيرة في وِست بِلفري، ماين، التي قُطِعَت في عام ١٨٤٢، بعد أن كانت شجرة شاهقة ضخمة لها لحاء أبيض أملس لا يُشبه شيئًا رأته عينٌ من قبل، وأغصان بلون الفولاذ اللامع.

بعدها شُيِّدَ خان على التّلّ الذي كانت ترتفع الشجرة فوقه في السابق، ويُحكى عن بُقعةٍ باردة ظلّت موجودةً في أحد أركان غُرفة الطعام الصفراء، بُقعة تثير القشعريرة في الأجساد، لها قُطر جِذع شجرة الصَّنوبر البيضاء بالضبط.

فوق غُرفة الطعام مباشرةً كانت غُرفة نومٍ صغيرة، لكن لا أحد من النُّزلاء كان يقبل قضاء الليل هناك، ومن حاوَل منهم قال بعد ذلك إن هبوب رياحٍ شبحيَّة عنيفة كان يُقاطِع نومه، وإنه سمع صوت حفيفٍ واطئ خفيف، كأن الهواء يُحرِّك الفروع العالية،

https://jadidpdf.com

فتتطاير الأوراق في الغُرفة وتتحرَّك الستائر، وفي الربيع تنزف الجدران نُسغًا.

وفي أحد أيام عام ١٩٥٩ ظهرَت غابة شبحيَّة كاملة في كانانڤيل، بنسلڤانيا، لمدَّة عشرين دقيقة، وهناك صُور لهذه الحادثة. كان مشروعًا جديدًا لإقامة حيٍّ كامل من المنازل العصريَّة ذات الطابق الواحد والطُّرق المُلتفَّة، واستيقظ السُّكَّان صبيحة يوم أحدٍ ليجدوا أنفسهم نائمين بين الحشائش والشجيرات التي بدت كأنها تنمو من قلب أرض غُرف نومهم ذاتها، فيما تمايلَت النباتات المائيَّة والطحالب وانجرفَت في أحواض السِّباحة. امتدَّت الظاهرة إلى مركز تسوُّق قريب، وامتلأ الطابق الأرضي بالعُلَّيق، وتدلَّت الملابس من أغصان القيقب النرويجي، واستقرَّ سربٌ من العصافير فوق نافذة عرض المجوهرات، لتلتقط بمناقيرها اللآلئ والسلاسل الذهبيَّة.

أن تتخيَّل شبح شجرةٍ أسهل بشكلٍ ما من أن تتخيَّل شبح إنسان. فكِّر كيف تقف الشجرة في مكانها مئات السنين، تُتخِم نفسها بضوء الشمس وتمتصُّ النُّسغ من الأرض، تستمدُّ حياتها من التُّربة بلا تعبٍ كشخصٍ يملأ دلوًا من بئرٍ بلا قرار. جذور الشجرة المقطوعة تُواصِل الشُّرب من الأرض شهورًا بعد موت الشجرة نفسها، وقد اعتادَت الحياة لدرجة أنها لا تستطيع التخلِّي عنها، فلا يُمكنك أن تتوقَّع بالطبع من الشيء الذي لم يعرف أنه كان حيًّا أصلًا أن يعرف أنه مات.

بعد أن رحلتِ -ليس في الحال، لكن بعد أن مرَّ صيفٌ كامل-

https://jadidpdf.com

قطعتُ الشجرة التي اعتدنا الجلوس تحتها على ملاءة أمِّك والقراءة، الشجرة التي غِبنا في النوم تحتها ذات مرَّةٍ ونحن نُصغي إلى أزيز النحل. كانت شجرة عتيقة تعفَّنت وانتشرَت فيها الحشرات، على الرغم من أن براعم جديدةً كانت تنمو على أغصانها كلَّ ربيع. قلتُ لنفسي إنني لا أريدها أن تتهاوى في يومٍ وتَسقُط على المنزل، رغم أنها لم تكن مائلةً نحوه حقًّا.

لكن أحيانًا، عندما أخرجُ إلى الفِناء الواسع المفتوح، تهبُّ الرِّيح وتَصرُخ وهي تَمضُغ ملابسي... وإنني أتساءلُ، ما الذي يَصرُخ معها أيضًا؟

---

جو هيل (1972 - )، كاتب رعب أمريكي مثله مثل أبيه ستيفن كينج، من أهم أعماله «الشبح» و«صندوق على شكل قلب».

نُشرت القصَّة في مجموعة بعنوان «*Dead-Wood*» في مجموعة «*Twentieth Century Ghosts*» عام ٢٠٠٥.

https://jadidpdf.com

# أسماء الله التسعة بلايين

## *آرثر ت. كلارك*

قال د. واجنر محاوِلًا إخفاء دهشته قدر الإمكان: «طلبٌ غير معتاد حقًّا. إنها المرَّة الأولى التي يُطلَب منا إرسال كومبيوتر للمتتالِيات العدديَّة إلى دَيْرٍ في التبت. لا أرغبُ في أن أبدو فظًّا، لكنني أتساءَلُ عن سبب احتياج جماعتكم إلى آلةٍ من هذا النوع، فهلَّا شرَحت لي ما تنتوون عمله بها؟».

أجاب اللاما وهو يضع مفكِّرته جانبًا بحِرص: «بكلِّ سرور. الكومبيوتر الذي صنعتموه، مارك ٥ هذا، يُمكنه سرد جميع المتتالِيات العدديَّة التقليديَّة حتّى عشر خانات، لكن ما نحن مهتمُّون به حقًّا هو الحروف لا الأرقام، ولهذا السَّبب نريد منكم تعديل الآلة، بحيث تطبع قوائم من الكلمات وليس الأعداد».

- «لا أظنُّ أنني أفهمك».

- «العمل الذي نقوم به استغرقَ منا القرون الثلاثة الأخيرة، منذ بداية إنشاء الدَّيْر في الحقيقة. ما سأُخبِرك به سيكون غريبًا بعض

https://jadidpdf.com

الشيء على طريقتكم في التفكير، لكنني آملُ أن تُصغي إليه بعقلٍ متفتِّح».

- «هذا مفروغٌ منه».

- «السبب بسيط جدًّا في الحقيقة. إننا نعمل على قائمةٍ تضمُّ جميع الأسماء المحتمَلة لله!».

كان للإجابة وَقْعٌ صادِمٍ على د. واجنر، الذي اتَّسعت عيناه عن آخرهما، فيما تابَع اللاما بهدوء: «لدينا أسباب تدعونا للاعتقاد بأن كلًّا من هذه الأسماء من الممكن أن يُكتَب بما لا يزيد على تسعة أحرُف من الأبجديَّة التي ابتكرناها».

- «وتفعلون هذا منذ ثلاثة قرون؟».

- «نعم. حساباتنا قالت إن الانتهاء من القائمة سيستغرق منا خمسة عشر ألف سنة».

قال د. واجنر ببُطء: «أوه، نعم، فهمتُ الآن لِمَ تحتاجون إلى الكومبيوتر. لكن ما الغرض من هذه القائمة أصلًا؟».

تردَّد اللاما لحظةً، فتساءَل د. واجنر إن كان السؤال قد أثار استياءه، لكن الإجابة جاءت بالتهذيب نفسه وطريقة الكلام البطيئة ذاتها كما من قبل: «إنها جزء مهم جدًّا من عقيدتنا. جميع الأسماء المعروفة للخالق الأعظم -سواء عند المسيحيِّين أو المسلمين أو اليهود أو غيرهم- هي أسماء ابتكرها البَشر. ثمَّة مشاكل معيَّنة في هذه الأفكار، لكن لا مجال للكلام عنها هنا. إننا نؤمن بأن في مكانٍ

https://jadidpdf.com

ما بين جميع الترتيبات المحتمَلة للحروف تَكمُن الأسماء الحقيقيَّة لله. هكذا نحسب جميع الترتيبات المحتمَلة لحروف الأبجديَّة لنصنع قائمة كاملة بها».

- «فهمتُ. بدأتم إذن بالمصفوفة «AAAAAAAAA» وهكذا حتّى «ZZZZZZZZZ» في النهاية».

- «بالضبط، لكن الأبجديَّة التي نستخدِمها خاصَّة بنا. أخشى أن شَرْحَ جميع التفاصيل سيَستَغرِق وقتًا طويلًا جدًّا، لأنك لا تَعرِف لُغتنا».

سارَع د. واجنر يقول: «بالتأكيد».

- «من حُسن الحظ أنه سيكون من السهل جدًّا إجراء التعديلات اللازمة على المارك ٥ كي يقوم بهذا العمل ويطبع لنا الأسماء، وبدلًا من خمسة عشر ألف سنة، ستكون القائمة قد اكتملت خلال مئة يومٍ فقط».

كانت أصوات شوارع نيويورك تَبلُغ مسامع د. واجنر في مكتبه الواقع في طابقٍ عالٍ، لكنه شعر كأنه في عالمٍ آخر. هؤلاء الرُّهبان ظلُّوا يعملون بصبرٍ وأناةٍ يومًا وراء يومٍ في جبالهم الموحِشة البعيدة على قوائم من كلماتٍ بلا معنى. أما من حَدٍّ لحماقة البشر؟ لكن يجب ألا أن يلوح ما يُفكِّر فيه على وجهه، فالعميل دائمًا على حق.

قال د. واجنر: «ليست هناك مشكلة في تعديل المارك ٥ لطباعة هذا النوع من القوائم، لكن ما يُقلِقني حقًّا هو التأكُّد من أن الكومبيوتر

https://jadidpdf.com

سليم ويعمل كما ينبغي عندما يصلكم. تعرف أن إدخال أيِّ شيءٍ إلى التبت في هذه الأيام ليس سهلًا».

- «سنعمل على هذه الترتيبات. مكوِّنات الكومبيوتر صغيرة ويُمكن نقلها بالطيران. نستطيع استلامها في الهند إذا استطعتم إرسالها إلى هناك».

- «وتريدون اثنين من مهندسينا؟».

- «نعم، طيلة الشهور الثلاثة التي سيَستَغرِقها العمل».

دَوَّن د. واجنر الملاحَظة ليُذكِّر نفسه بها، ثم قال: «لا مشكلة. هناك شيئان آخران».

قبل أن يتم عبارته، وجد اللاما يُناوِله قطعةً من الورق قائلًا: «هذا من بنكنا، ويحمل توقيع المدير كما ترى».

قال د. واجنر ناظرًا إلى الرقم على الشيك: «هذا... كافٍ تمامًا. السؤال الثاني قد يبدو غريبًا نوعًا، لكن أحيانًا ما نغفل عن الأشياء البسيطة... هل لديكم كهرباء؟».

- «نعم، لقد أحضرنا آلات لتوليد الكهرباء منذ خمسة أعوام تقريبًا، وتعمل بكفاءةٍ تامَّة. الكهرباء جعلت الحياة في الدَّيْر أكثر راحةً بكثير، لكن السبب الرئيسي لشرائها بالطبع كان وجود محرِّكات لتشغيل عجلات الصلاة».

- «عجلات الصلاة، بالطبع. لِمَ لم أفكِّر في هذا؟».

https://jadidpdf.com

في البدء كان المنظر الذي يطلُّ عليه الدَّير يخطف الأنفاس حقًّا، لكن المرء يعتاد كلَّ شيءٍ حتّى الملل إذا طال الوقت. بعد مرور ثلاثة أشهُر كاملة، لم يَعُد جورج هانلي يُلاحِظ الهاوية التي يَبلُغ عُمقها سبعمئة مترٍ وتَفغُر فاها في الوادي عند السَّفح. كان واقفًا عند الصخور التي نعَّمَتها الرياح، والتي شُكِّل منها السور الواطئ المحيط بالمبنى الرئيسي، يَرمُق الجبال البعيدة بتعاسةٍ مُفكِّرًا أنه لم يملك قَطُّ اهتمامًا يكفي لأن يتعلَّم أسماءها.

قال جورج لنفسه إن هذا العمل أكثر شيءٍ مجنون حدثَ له على الإطلاق. منذ أسابيع والمارك ٥ يطبع أوراقًا ملأى بكلامٍ فارغ. بصبرٍ لا تملكه إلا الآلات، وبلا نهاية، ظَلَّ الكومبيوتر يعيد ترتيب مصفوفات الحروف بجميع الطُّرُق الممكنة. وكلما خرجَت أفراخ الورق من الطابعات أخذَ الرُّهبان يَقُصُّونها بعنايةٍ ويضعونها في مجلَّدات عملاقة. حمدًا لله أن هذا لن يستمرَّ أكثر من أسبوعٍ واحدٍ من الآن. كان جورج يجهل لِمَ قرَّر الرُّهبان أنه ليس من الضروري تجربة متتالية حروف من إحدى عشرة خانة أو أكثر، لكن أسوأ مخاوفه أن يطرأ تغيير ما على الجدول الزمني المتَّفَق عليه، وأن يقول اللاما الأكبر (الذي أطلقَ عليه وزميله تشاك اسم سام، لأنه أسهل من اسمه الحقيقي) فجأةً إن العمل سيستمر حتّى سنة ٢٠٦٠ مثلًا.

سمع جورج صوت الباب الخشبي الثقيل يُفتَح مع خروج تشاك لينضمَّ إليه عند السور. كالعادة، كان تشاك يُدخِّن واحدةً

https://jadidpdf.com

من السجائر التي جعلَته مفضَّلًا عند الرُّهبان الذين يجنحون إلى الاستمتاع بمُتَع الحياة المتواضِعة، وهذا شيء يستحق الامتنان بطبيعة الحال. من المؤكَّد أنهم مجانين، لكن هذا لا يحول بينهم وبين الاستمتاع بوقتهم في الآن ذاته.

قال تشاك: «اسمع، هناك شيء ما عرفته سيؤدِّي إلى مشكلةٍ كبيرة».

- «ماذا حدث؟ هل هناك خلل في الكومبيوتر؟».

كان هذا أسوأ احتمال يُمكن أن يتخيَّله جورج. قد تتأجَّل عودته، وليس هناك ما هو ألعن من هذا. وجد نفسه يتمنَّى بيأسٍ أن يعود إلى وطنه أخيرًا.

جلسَ تشاك على السُّور المُنخَفِض، الأمر غير المعتاد لأنه مرعوب دائمًا من الهاوية أسفله، وقال: «ليس شيئًا من هذا. اسمع، لقد عرفت السَّبب وراء كلِّ ما يفعلونه».

- «ماذا تعني؟ حسبتنا نَعرِف بالفعل».

- «نَعرِف ما يحاول الرُّهبان فعله، لكننا لا نعرف الدافع... والدافع يا صديقي مجنون فعلًا».

غمغم جورج بسخط: «قُل لي شيئًا لا أعرفه».

- «... لكن سام العجوز أخبرَني بالسَّبب منذ قليل. لقد بدأ يَشعُر بالحماسة مؤخَّرًا مع اقترابنا من الانتهاء من القائمة. إنهم يؤمنون بأنهم إذا سردوا أسماء الله جميعًا -وهُم يعتقدون أن لديه

https://jadidpdf.com

تسعة بلايين اسم- فإن غرض الله من خَلْقِ العالم سينتهي. لن يعود هناك المزيد مما يُمكن أن يفعله البشر، ولن يعود هناك سبب لاستمرارهم».

- «وماذا ينتظرون منا؟ أن نَنتَحِر جميعًا؟».

- «يقول إنه ليست هناك حاجة إلى ذلك. عندما تنتهي القائمة، سيتدخَّل الله بنفسه ويُنهي كلَّ شيء... بانج!».

- «فهمتُ. إذن سينتهي العالم مع انتهائنا من العمل».

أطلقَ تشاك ضحكة عصبيَّة قصيرة، وقال: «هذا ما قلته لسام بالضبط، فهل تعرف ما حدث؟ نظر لي بطريقةٍ غريبةٍ تمامًا، وقال: ليس الأمر بالبساطة التي تحسبها».

أطرق جورج مفكِّرًا قليلًا، ثم قال: «هذا ما أُطلِق عليه اسم النَّظر إلى الصورة الشاملة. لكن ماذا تقترح أن نفعل؟ لا أرى أن هذا يصنع فارقًا بالنسبة إلينا. إننا نَعرِف أنهم مخبولون من البداية».

- «نعم، لكن ألا ترى ما قد يَحدُث؟ عندما تنتهي القائمة ولا ينتهي العالم -أو أيًّا كان ما يتوقَّعونه- فقد نجد نفسينا في ورطة. إنهم يستخدمون كومبيوترنا نحن. هذا لا يروقني على الإطلاق».

قال جورج ببطء: «أعرِفُ ما تعنيه. لكن أشياءَ شبيهة حدثَت كثيرًا من قبل. في طفولتي في لويزيانا كان هناك قِسٌّ قال إن العالم سينتهي يوم الأحد المقبل، وصدَّقه المئات، ومنهم من باعَ بيته وأملاكه. لكن عندما لم يَحدُث شيء لم يَشعُروا بالغضب كما لك

https://jadidpdf.com

أن تتوقَّع، بل قرَّروا فقط أن التوقيت كان خطأ، واستمرُّوا على إيمانهم».

- «لسنا في لويزيانا إذا كنت لم تُلاحِظ. إننا اثنان فقط وهناك المئات منهم. إنني أحبُّهم، وأشعرُ بالأسف من أجل سام المسكين عندما يَكتَشِف أن عمل عمره كان من أجل لا شيء، لكنني ما زلتُ أتمنَّى أن نكون في مكانٍ آخَر».

- «أنا نفسي أتمنَّى هذا منذ أسابيع، لكن ليس في وسعنا شيء حتّى ينتهي العمل وتأتي الطائرة لتحملنا».

قال تشاك مفكِّرًا: «من الممكن دائمًا التلاعُب بالكومبيوتر».

- «مستحيل! سيزيد هذا الأمور سوءًا».

- «لا أعني تعطيله. سينتهي من عمله بعد أربعة أيام من الآن، والطائرة ستأتي بعد أسبوع. حسن، كل ما علينا فِعله هو أن نجد مشكلة صغيرة خلال الفحص الروتيني. سنصلحها بالطبع، لكن ليس بسرعة. إذا حسبنا الوقت جيدًا، سنكون في المطار مع خروج آخِر اسمٍ من الطابعة، ولن يلحقوا بنا عندها».

قال جورج: «لا يروقني هذا كثيرًا. ستكون أول مرَّةٍ أتخلَّى فيها عن عمل، وقد تنتابهم الرِّيبة فينا. لا، لننتظر ونرَ ما سيَحدُث».

- «وما زال لا يروقني»، قالها جورج بعد سبعة أيام وخيول الجبال القويَّة تحملها على الطريق المنحدِر. «ولا تحسب أنني هربتُ

https://jadidpdf.com

لأنني خائف. إنني أشعرُ بالأسف فقط على هؤلاء المساكين، ولا أريدُ أن أكون حاضرًا عندما يكتشفون مدى حماقتهم. أتساءَلُ كيف سيكون شعور سام».

قال تشاك: «عندما ودَّعته راودني إحساس بأنه يَعرِف أننا سنهرب منهم، لكنه لم يبالِ لأنه يَعرِف أن الكومبيوتر يعمل بكفاءة، وأنه سينتهي من عمله عمَّا قريب. وبعد ذلك... ليس هناك «بعد ذلك» بالنِّسبة إليه على ما أعتقد».

التفتَ جورج رامقًا الطريق الجبلي المرتفِع. كانت هذه آخِر بُقعةٍ يُمكنك أن تُلقي منها نظرةً واضحةً على الدَّير بالأعلى، مبانيه المربَّعة الصغيرة مُظْلِمَةٌ تحت سماء المساء، وفي بعض النوافذ ترى الأنوار مشتعلة. تساءَل عما سيَحدُث عندما تنتهي القائمة. هل سيُحطِّم الرُّهبان الكومبيوتر من فرط الغضب وخيبة الأمل؟ هل سيجلسون بهدوءٍ ويُفكِّرون في المشكلة؟

كان يَعرِف ما يَحدُث هناك بالأعلى في هذه اللحظة بالذات. اللاما الأكبر جالسٌ مع مساعديه يُطالِعون أفراخ الورق الطويلة التي يحملها الرُّهبان الأصغر سنًّا من الطابعات ويضعونها في المجلَّدات. لا أحد يتكلَّم، والصوت الوحيد في المكان هو صوت الطابعات الصَّاخب اللانهائي، في حين يقوم الكومبيوتر نفسه بعمله في صمت.

خطرَ لجورج أن ثلاثة شهور من هذا الروتين كفيلة بإثارة جنون أيِّ أحد.

https://jadidpdf.com

هتفَ تشاك فجأةً وهو يتطلَّع نحو الوادي: «ها هي ذي! أليس منظرًا جميلًا؟».

كان المنظر جميلًا بالفِعل في رأي جورج. الطائرة الصغيرة كانت رابضةً في طرف المطار الصغير كصليبٍ فِضِّي، وخلال ساعتين ستحملهما في رحلة العودة إلى العالم الحقيقي، العالم المنطقي، وهذه فكرة مريحة للغاية.

يَحِلُّ الليل سريعًا في جبال الهيمالايا، والظُّلمة كانت قد هبطت بالفعل.

لحُسن الحظِّ أن الطريق بلا عوائق أو أخطار، لكن البرد شديد. السماء صافية تمامًا والنجوم لامعة، ولا مشاكل في الإقلاع لأن الجو صحوٌ.

بدأ يُغَنِّي، لكنه توقَّف بعد قليل عندما وجدَ صوته شيئًا ضئيلًا ضائعًا بين هذه الجبال العظيمة الصَّامتة التي تلتمع كالأشباح على كلِّ جانِب. استمرَّت الرحلة في هدوء، ثم ألقى جورج نظرةً على ساعته، وقال ناظرًا إلى تشاك من وراء كتفه: «سنصل خلال ساعة».

ثم تذكَّر شيئًا وأضاف: «أتساءَلُ إن كان الكومبيوتر قد انتهى من القائمة».

لم يُجِب تشاك، فأدار رأسه ناظرًا إليه، ليرى الشحوب الذي كسى وجهه وهو يرفع رأسه إلى السماء.

همسَ تشاك: «انظر»، ورفعَ جورج رأسه بدوره.

https://jadidpdf.com

(ثمّة مرّة أخيرة لكلّ شيء).

كانت النجوم، ودون أيّ جلبة، تنطفئ واحدًا تلو الآخر.

---

آرثر ت. كلارك (١٩١٧-٢٠٠٨)، كاتب خيال علمي وباحث علمي ومخترع بريطاني، من أهم من كتبوا في الخيال العلمي على الإطلاق، وصاحب قصّة «الحارس» التي اقتُبس عنها الفيلم الشهير «A Space Odyssey:2001» للمخرج ستانلي كوبريك.

نُشرت القصّة بعنوان «The Nine Billion Names of God» في المجموعة التي تحمل العنوان نفسه عام ١٩٦٧.

https://jadidpdf.com

# المرحومة

## *ريتشارد ماثيسون*

فتح الرجل ذو البنية الضئيلة الباب وخطا إلى الداخل بعيدًا عن أشعة الشمس السَّاطعة. كان في أوائل العقد السادس من العمر، نحيلًا لا يُميِّز مظهره شيء، وقد بدأ الصَّلع يزحف على مقدمة رأسه. أغلق الباب خلفه دون صوت، ثم وقف في البهو المظلم منتظرًا أن تعتاد عيناه تغيُّر الإضاءة. كان يرتدي بذلةً وربطة عنق سوداء مع قميصٍ أبيض، شاحب الوجه وجاف البشرة على الرغم من حرارة الجو المرتفعة.

تكيَّفت عينا الرجل مع الإضاءة الجديدة أخيرًا، فخلع قبعته وخطا نحو المكتب دون أن يُصدر حذاؤه الأسود صوتًا على البساط السَّميك.

رفع الحانوتي الجالس إلى مكتبه عينيه إليه وألقى عبارةً مُرحِّبة، فردَّها الرجل بصوتٍ ناعم.

- «هل يمكنني مساعدتك؟».

https://jadidpdf.com

أجابه الرجل بالإيجاب، فأشار الحانوتي إلى الكرسي المواجه للمكتب.

جلس الرجل على حافة الكرسي ووضع قبعته في حجره، وراقب الحانوتي صامتًا وهو يفتح دُرجًا ليُخرج منه استمارة مطبوعة، ثم قال الحانوتي برفق وهو يسحب قلمًا أسود: «والآن، من المتوفَّى؟».

- «زوجتي».

أصدر الحانوتي صوتًا يوحي بالتعاطف وقال: «آسف».

رمقه الرجل بنظرةٍ خاوية وهو يقول في خفوت: «نعم...».

- «وما اسمها».

أجاب الرجل بهدوء: «ماري آرنولد».

دوَّن الحانوتي الاسم، وسأل: «والعنوان؟».

أملى عليه الرجل العنوان، فدوَّنه الحانوتي بدوره، ثم سأله: «أهي هناك الآن؟».

- «إنها هناك».

هزَّ الحانوتي رأسه متفهمًا، وقال الرجل: «أريدُ أن يكون كل شيء مثاليًّا. أريدُ أفضل ما لديك».

غمغم الحانوتي: «طبعًا، طبعًا».

قال الرجل وحنجرته تتحرَّك إذ ابتلع لعابه الجاف: «لا تهمُّني التكلفة. لا يهمُّني أي شيء الآن في الحقيقة سوى هذا».

https://jadidpdf.com

- «مفهوم».

- «كانت تحظى بأفضل الأشياء دائمًا، ولقد حرصتُ على هذا».

- «بالطبع».

- «سيحضر كثيرون الجنازة. لقد أحبها الجميع. إنها شابة وجميلة، ولا بد أن تُجهِّز لها أفضل ما لديك، مفهوم؟».

قال الحانوتي مُطمئِنًا: «بكل تأكيد. أؤكِّد لك أنك سترضى تمامًا».

ردَّد الرجل مرَّة أخرى: «إنها جميلة للغاية، وشابَّة».

غمغم الحانوتي: «مؤكَّد».

جلس الرجل ذو البنية الضئيلة دون حراك يجيب عن أسئلة الحانوتي الروتينية دون أن تتبدَّل نبرة صوته ودون أن تطرف عيناه إلا قليلًا للغاية.

وقَّع الرجل الاستمارة عندما فرغ منها الحانوتي ثم نهض، فنهض الحانوتي ودار حول المكتب قائلًا وهو يمد يده: «سترضى تمامًا عن الخدمة، أؤكِّدُ لك».

مدَّ الرجل يده وصافحه سريعًا بكفٍّ جافة باردة.

قال الحانوتي: «سنكون عندك في المنزل في غضون ساعة».

وقطع معه الرواق الذي يقود إلى الخارج، فيما قال الرجل مرَّة أخرى: «أريدُ أن يكون كل شيء مثاليًّا. أريدُ أفضل ما لديك على الإطلاق».

https://jadidpdf.com

- «كل شيء سيكون كما ترغب بالضبط».

حدَّق الرجل إلى اللاشيء وهو يُغمغم: «إنها تستحقُّ الأفضل. إنها جميلة للغاية والجميع بلا استثناء يحبُّونها. إنها شابة وجميلة للغاية».

سأله الحانوتي: «ما موعد الوفاة؟».

لم يبدُ أن الرجل سمعه، فقط فتح الباب وخطا إلى أشعة الشمس الساطعة من جديدٍ معتمرًا قبعته.

كان قد قطع نصف الطريق إلى سيارته المركونة عندما أجاب بابتسامةٍ باهتة على شفتيه: «ما إن أعود إلى المنزل؟».

---

ريتشارد ماثيسون (١٩٢٦-٢٠١٣)، كاتب خيال علمي ورعب وفانتازيا أمريكي، من أهم أعماله «أنا أسطورة» و«منزل الجحيم» و«نزال»، التي تحوَّلت إلى أول فيلم سينمائي أخرجه ستيفن سبيلبرج.

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Near Departed*» في مجموعة «*Masques II*» عام ١٩٨٧.

https://jadidpdf.com

# يَسقُط إبليس!

## *كلايف باركر*

اجتمعت الظروف لتجعل جريجوريوس رجلًا فاحِش الثَّراء، يملك أساطيلَ وقصورًا وخيولًا ومُدنًا كاملة، يملك الكثير جدًّا، لدرجةٍ جعلت الذين كُلِّفوا أخيرًا بإحصاء ثروته -بعدما بلغت أحداث قصَّته نهايتها الرهيبة- يقولون إن الأمر سيستغرق وقتًا أقلَّ إذا ما أحصوا الأشياء التي لا يملكها بدلًا من كلِّ هذا.

ثريًّا كان، لكن أبعد ما يكون عن السعادة. نشأ جريجوريوس كاثوليكيًّا، وفي سنواته الأولى، قبل صعوده الصاروخي إلى السُّلطة والثروة، كان قد وجد ملاذًا في إيمانه. ثم إنه بدأ يتخلَّى عن إيمانه شيئًا فشيئًا، وفي سِنِّ الخامسة والخمسين، والعالم كله عند قدميه، استيقظ من نومه ذات ليلةٍ ليجد أن ما في قلبه من إيمان قد اختفى تمامًا.

كانت ضربة موجعة له، لكنه بادرَ باتخاذ بعض الخطوات في الحال ليُعوِّض خسارته، فذهب إلى روما وتكلَّم مع الحَبر الأعظم، وصلَّى ليل نهار، وأسَّس معاهد للاهوت ومستعمراتٍ للجذام، لكن الله لم يتجلَّ، وبدا أنه تخلَّى عن جريجوريوس.

https://jadidpdf.com

في غمرة اليأس دارت في عقله فكرة أنه لا يستطيع الفوز بطريق العودة إلى ذراعي خالقه، إلا إذا وضع روحه في أشدِّ أنواع الخطر. حملت الفكرة له شيئًا من المنطق، فهب أنه دبَّر لقاءً مع إبليس، كبير الشياطين نفسه، أفلن يتدخَّل الله حينها ويعيده إلى حظيرة الإيمان؟

كانت خُطَّة لا بأس بها، لكن كيف يُنفِّذها على أرض الواقع؟ إن الشيطان لا يأتي لأحدٍ بمجرَّد إجراء مكالمةٍ هاتفيَّة، حتّى عملاق في عالم المال مثل جريجوريوس، كما أن الأبحاث التي أجراها أثبتت بشكلٍ بات أن جميع الأساليب التقليديَّة لاستدعاء سيِّد الكذَّابين -كتدنيس العشاء الربَّاني أو التضحية بالرُّضَّع- لا تختلف عن استدعاء أيٍّ من الآلهة الخياليَّة التي يُحكَى عنها في الأساطير. كان عام كامل من التروِّي والتفكير الحثيث قد مضى عندما توصَّل جريجوريوس أخيرًا إلى خُطَّته الكُبرى.

سوف يبني جحيمًا على الأرض، جحيمًا عصريًّا هائلًا يغوي سيد المُغوين نفسه بأن يأتي ليسكن فيه كرُخٍّ في عُشٍّ اغتصبه.

قلب جريجوريوس العالم كله بحثًا عن مهندسٍ معماري قدير، وفي فلورنسا عثر على ضالَّته في رجلٍ اسمه ليوباردو، يقضي بقية سني عمره الذابلة في مستشفى للمجانين. كانت التصميمات التي وضعها ليوباردو لقصور موسوليني ذات نوعٍ خاص من العظَمة المجنونة التي لاءمت مشروع جريجوريوس تمامًا، وعليه خرج ليوباردو من زنزانته عجوزًا هزيلًا كريه الرائحة وقد استردَّ أحلامه من جديد، ولم يُغادِره نبوغه في كلِّ ما هو هائل متطرِّف. من أجل

https://jadidpdf.com

دعم مشروعه الضخم، فُتِحت له أعظم مكتبات العالم بحثًا عن كلِّ وصفٍ ماديٍّ ومعنويٍّ للجحيم، وقُلِّبت خزائن المتاحف لإخراج صور العذاب العظيم الممنوعة. لم يُترَك حجرٌ غير مقلوب إذا كانت هناك لمحة شكٍّ في وجود شيءٍ آثمٍ تحته.

حملت التصميمات النهائيَّة لمحاتٍ من كتابات دو ساد ودانتي، ولمحاتٍ أكبر من فرويد وكرافت إيبنج، لكن السواد الأعظم تألَّف من أشياء لم يُفكِّر فيها عقل من قبل، أو -على الأقل- يجسر على أن يضعها على الورق.

اختير موقع في شمال أفريقيا، وبدأ العمل على جحيم جريجوريوس الجديد. كلُّ شيءٍ في المشروع كان خارقًا للعادة: الأساسات شديدة الضخامة، والجدران بالغة السُّمك، والأنابيب أكثر تطوُّرًا من تلك التي في أيِّ بناءٍ آخر في أيِّ مكانٍ في العالم. راقب جريجوريوس البناء البطيء بحماسةٍ لم يَذُقها منذ أيامه الأولى وهو يبني إمبراطوريَّته. من البديهي طبعًا أن كثيرين رأوا أن الرجل فقد عقله، ورفض أصدقاؤه الذين عرفهم سنواتٍ طويلة التعامل معه، وانهار من شركاته الكثير، بعد أن سحب المستثمرون أموالهم منها بعد أنباء إصابته بالجنون. لكنه لم يهتمَّ، فخُطَّته لا يمكن أن تفشل. سوف يأتي الشيطان -ولو بدافِع الفضول- لرؤية الصَّرح الذي شُيِّد باسمه، وسيكون جريجوريوس في الانتظار عندما يفعل.

استغرق العمل أربع سنوات واستهلك الجزء الأكبر من ثروة جريجوريوس، لكن البناء بعد انتهائه كان بحجم ستِّ كاتدرائيَّات

https://jadidpdf.com

كاملة، ويحوي كلَّ ما قد يشتهيه ملاك جهنَّم. اشتعلت النيران بلا توقُّف وراء الجدران، والتهبت جاعلةً الخطو في أحد الممرات العديدة ألمًا يكاد لا يُحتمَل، وامتلأت الغُرف التي تُفضي إليها الأروقة بجميع أدوات التعذيب التي يُمكن تخيُّلها، كي يستعملها جنود إبليس كما يحلو لهم. كانت هناك أفران تكفي من فرط ضخامتها لإحراق عائلاتٍ كاملة في آنٍ واحد، وبِرَك تكفي من شدَّة عُمقها لإغراق أجيالٍ بأكملها.

كان الجحيم الجديد كارثة تنتظر الحدوث، احتفاءً بالوحشِيَّة ينتظر ضحيَّته الأولى فقط.

انسحب العاملون في البناء شاكرين، وكانت قد سرت بينهم بالفعل شائعة تقول إن إبليس يُراقِب بناء قُبَّة اللهو الخاصَّة به منذ البداية. بل إن بعضهم ذكر أنه لمحه فعلًا في المستويات الأعمق، حيث يُجمِّد البرد البول في مثانتك من شِدَّته. هناك عدد من الأدلَّة أيَّد الاعتقاد في وجود حضورٍ خارقٍ للطبيعة في البناء وهو يقترب من نهايته، ليست أقلها الميتة الشنيعة التي لقيها ليوباردو، الذي إما وثب من نافذة غُرفته في الفندق في الطابق الستين، وإما -كما أكَّد المُتطيِّرون- أُلقيَ منها، قبل أن يُدفَن وسط حالةٍ متوقَّعة من الصخب الإعلامي.

وهكذا طفق جريجوريوس ينتظر في الجحيم الجديد.

لم ينتظر طويلًا، فلم يكن يوم واحد قد مرَّ عندما سمع ضجَّة من الأعماق. ذهب جريجوريوس وترقُّبه على أشُدِّه ليبحث عن مصدر

https://jadidpdf.com

الصوت، لكنه لم يسمع إلا أصوات حمَّامات البراز والأفران، فعاد إلى جناحه الخاص في المستوى التاسع وانتظر. سمع الضجَّة مرَّة أخرى، ومرَّة أخرى ذهب ليبحث عن مصدرها، ومرَّة أخرى عاد خاوي الوفاض.

لم تتوقَّف الأصوات عند هذا الحد، وفي الأيام التالية لم تمرَّ دقائق عشر دون أن يسمع الضجَّة آتيةً من مكانٍ ما. لم يكن هناك شك لدى جريجوريوس في وجود أمير الظلام هناك، وإن توارى بين الظلال دائمًا، وكان جريجوريوس قانعًا بأن يلعب لعبته، فهذا هو حفل الشيطان رغم كلِّ شيء، ومن حقه أن يختار وسيلة لهوه بنفسه.

لكن خلال الشهور الطويلة التالية التي اتَّسم أغلبها بالوحدة، بدأ جريجوريوس يشعر بالتعب من لعبة الاستغمَّاية هذه، وبدأ يُطالِب بأن يُفصِح إبليس له عن نفسه. دوَّى صوته بلا مجيبٍ في الممرَّات الخاوية، إلى أن آلمه حَلْقه من فرط الصياح، فما كان بعدها إلا أن بدأ في البحث خلسةً، على أمل أن يفاجئ الساكن الخفي على حين غرَّة، لكن الملاك العاصي كان يتملَّص منه دائمًا قبل أن يصبح في مجال بصره.

كان يبدو أنهما يلعبان لعبة انتظار، هو وإبليس، وكلٌّ منهما يُطارِد ذيل الآخر عبر الجليد والنار والجليد مرَّة أخرى. قال جريجوريوس لنفسه أن يصبر. ألم يأتِ الشيطانُ بالفعل؟ أليست هذه بصمة إصبعه على مقبض الباب؟ أليست هذه فضلاته على

https://jadidpdf.com

السلالم؟ عاجلًا أو آجلًا سوف يُظهِر لوسيفر وجهه، وسيبصق جريجوريوس عليه.

في الخارج مضت الحياة في العالم كما هي، وإن حظي جريجوريوس بصُحبة غيره من الذين دمَّرتهم الثروة، فـ(حماقته) -كما أطلق الناس على المكان- لم تكن بلا زُوَّار، إذ كان هناك من يحبونه ولا يستطيعون نسيانه ببساطة هكذا، بالإضافة إلى بعض المنتفعين الذين يطمعون في تحويل جنونه إلى منفعةٍ لهم. هؤلاء جرؤوا على عبور بوَّابات الجحيم الجديد دون أن يُخبِروا أحدًا بوجهتهم خشية أن يعترض ذووهم، وانحصر التحقيق في اختفائهم واحدًا وراء الآخر في منطقة شمال إفريقيا فقط.

وفي حماقته ظلَّ جريجوريوس يُطارِد الأفعى، وظلَّت الأفعى تُضلِّله، غير تاركةٍ إلا المزيد والمزيد من الأمارات الرهيبة على وجودها مع مرور الشهور. كانت زوجة أحد الزُّوَّار المفقودين هي من اكتشفت الحقيقة أخيرًا وأبلغت السُّلطات، فوُضِعَت حماقة جريجوريوس تحت المراقَبة، وبعد ثلاث سنواتٍ تقريبًا من بنائها، أقدم أربعة من الضباط على عبور عتبة الباب.

كان البناء قد بدأ يبلى من دون صيانة، وانطفأت الأضواء في عِدَّة مستويات، وبردت الجدران، وتيبَّس القار في الحُفَر. لكن تقدُّم الضباط الأربعة في السراديب بحثًا عن جريجوريوس قادهم إلى دليلٍ قاطع على أن الجحيم الجديد لا يزال يعمل بكفاءة على الرغم من حالته المزرية. كانت هناك جُثَث في الأفران وجوهها عريضة

https://jadidpdf.com

سوداء، وبقايا بشريَّة جالسة مقيَّدة في كثيرٍ من الغُرف، وقد قُلِعَت عيون أصحابها أو طُعِنوا أو ذُبِحوا حتّى هلكوا.

تنامى رُعبهم مع كلِّ بابٍ فتحوه وكلِّ فظاعةٍ جديدة وقعت أعينهم المحمومة عليها.

اثنان من الأربعة الذين دخلوا لم يبلغا قلب الجحيم الجديد، بل غلبهما الرعب وهربا، فقط ليجدا نفسيهما في طريقٍ مسدود وينضمَّا إلى المئات الذين هلكوا هناك منذ مجيء إبليس وسُكناه المكان.

ومن بين الاثنين اللذين قبضا على جريجوريوس جرؤ واحد على حكاية قصَّته، على الرغم من أن الأشياء التي رآها هناك في قلب الجحيم كانت أشنع من أن يحتمل روايتها.

لم يكن هناك أثر للشيطان بالطبع؛ فقط جريجوريوس الذي احتلَّ المكان بعدما لم يجد أحدًا يسكنه، بالإضافة إلى بعض أتباعه الذين جمعهم حوله طول السنوات الماضية، والذين لم يبدوا ذوي مزيةٍ ما، وإن لم يتركوا أداة تعذيبٍ واحدة في المكان إلا واستخدموها بجميع الطُّرق وبلا رحمة.

لم يُقاوِم جريجوريوس القبض عليه، بل بدا مسرورًا بأن يجد مِنَصَّة يتفاخر من عليها بمذابحه. ولاحقًا، خلال محاكمته، تكلَّم باستفاضةٍ عن طموحه وشهوته، وعن المزيد من أنهار الدم التي سيريقها إذا تركوه، وأقسم أنها ستكفي لإغراق كلِّ ما يمت للإيمان وترهاته بصِلة، ومع ذلك لن يشعر بالشبع. الله بعيد في الجنة، والشيطان في هاوية الجحيم، فمن يوقفه؟

https://jadidpdf.com

انصبَّ عليه شلَّال من اللعنات في أثناء المحاكمة، وبعد أقلّ من شهرين مات في مستشفى المجاذيب في ظروفٍ غامضة. محا الفاتيكان كلَّ أثرٍ له من سِجِلَّاته، وحُلَّت معاهد اللاهوت التي بناها.

ومع ذلك ظلَّ البعض، ومنهم عدد من الكرادلة، ممن لم يستطيعوا الكفَّ عن التفكير في شرور جريجوريوس غير المسبوقة، وتساءلوا بين أنفسهم إن كانت خُطَّته قد فشلت بالفعل، تساءلوا إن كان جريجوريوس في تخلِّيه عن الأمل في الملائكة -من سقط منها ومن لم يَسقُط- لم يصر واحدًا منها.

وتساءلوا إن كانت الأرض تستطيع أن تتحمَّل كلَّ هذا.

---

كلايف باركر (١٩٥٢- )، كاتب ومخرج سينمائي بريطاني، يكتب الرعب والفانتازيا، واشتهر بسلسلة «كُتب الدم» التي تحول عدد من قصصها إلى أعمال سينمائية.

نُشرت القصَّة في الجزء الأول من المجموعة سالفة الذِّكر عام ١٩٨٤.

https://jadidpdf.com

# الرجل الذي أحبَّ الزهور

## *ستيڤن كينج*

قطعَ الشاب شوارع نيويورك بنشاطٍ وحيويَّة في مساء ذلك اليوم الصحو من مايو ١٩٦٣. كان الهواء جميلًا منعشًا، والظلام يسري في السماء ببطء، فتتحوَّل درجات الأزرق إلى بنفسجي الغسق الهادئ المحبَّب. هناك أناس يحبُّون المدينة، وكانت هذه من الليالي التي جعلتهم يحبُّونها، وقد بدا جميع من يقفون على أبواب متاجر البقالة والمغاسل والمطاعم مبتسمين.

تلك السيدة العجوز التي تدفع أمامها كيسين من المشتريات في عربة أطفال قديمة ابتسمت للشاب وحيَّته قائلة: «مرحبًا أيها الوسيم!».

أجابها الشاب بنصف ابتسامةٍ ولوح بيده محييًا.

وواصلت العجوز طريقها قائلة لنفسها: «إنه عاشق».

شيءٌ ما كان يميِّزه على الرغم من مظهره العادي. كان يرتدي بذلة ذات لونٍ رمادي فاتح، ولم يعقد ربطة عُنقه إلى النهاية، فبرز

https://jadidpdf.com

من تحتها زر ياقة القميص مفتوحًا. شابٌّ داكن الشعر قصيره، وبشرته بيضاء ناعمة وعيناه زرقاوان، لا تتَّسم ملامحه بشيءٍ فائقٍ للعادة، لكنه -في تلك الليلة الربيعيَّة، وفي هذه الجادة النيويوركية، وفي ذلك اليوم من مايو من عام ١٩٦٣- بدا وسيمًا، حتّى إن السيدة العجوز وجدت نفسها -في لحظةٍ من التوق إلى الماضي مرَّت بها- تُفكِّر في أن أيَّ شخصٍ قد يبدو جميلًا في الربيع، ما دام في الطريق إلى لقاء الحبيب على العشاء، ولربما الرقص بعدها.

يبدو الربيع كأنه الفصل الوحيد الذي يحمل فيه الحنين إلى الماضي مذاقًا مُرًّا، ولقد مضت العجوز في طريقها وهي سعيدة لأنها تحدَّثت إليه، ولأنه ردَّ مجاملتها بأن رفع يده بنصف تحية.

قطع الشاب الشارع ٦٣ بخطواتٍ متقافزة، محتفظًا بالابتسامة النصفيَّة ذاتها على وجهه، وعند نهاية الشارع وقف رجل عجوز إلى جوار عربة يد خضراء قديمة ملأى بالزهور التي يُسيطر على معظمها الأصفر، كأنها حُمَّى صفراء جميلة عمادها النرجس والزعفران. لدى الرجل أيضًا زهور القرنفل وزهور الشاي ذات اللونين الأصفر والأبيض، وكان يأكل البسكويت المملَّح ويستمع إلى الراديو الترانزستور الضخم المثبَّت في ركن العربة.

لم يُصغ أحد إلى الأخبار السيئة القادمة من الراديو: سفاح المطرقة لم يزل طليقًا، جون كنيدي يُعلن أن الموقف في دولة آسيوية صغيرة اسمها ڤيتنام يستوجب التحرُّك، استخراج الشُّرطة جثة امرأة مجهولة الهُويَّة من النهر الشرقي، هيئة محلَّفين كُبرى تفشل في

https://jadidpdf.com

إدانة أحد زعماء العصابات الكبار في أحد فصول حملة إدارة المدينة على تجارة الهروين، الروس فجَّروا سلاحًا نوويًا.

لم يبدُ شيء من هذا حقيقيًا... لم يبدُ شيء منه مهمًا، لأن الهواء كان رقيقًا عليلًا.

وقف رجلان ببطنين منتفخين أمام مخبز يقذفان قطع العملة ويتمازحان. كان الربيع يرتجف عند حافة الصيف، وفي نيويورك الصيف فصل الأحلام.

مرَّ الشاب بعربة الزهور، وشيئًا فشيئًا ابتعد صوت الأخبار السيئة. تردَّد الشاب لحظاتٍ ونظر من خلف كتفه وأطرق يُفكِّر. مد يده في جيب معطفه ولمس الشيء الذي في داخله مرَّة أخرى، وطيلة لحظةٍ بدت ملامحه مرتبكة مشوشة، ثم إنها عادت إلى مرحها السابق إذ غادرت يده جيب المعطف.

عاد إلى عربة الزهور مبتسمًا. سيشتري لها بعض الزهور، سيُسعدها هذا. يحبُّ أن يرى عينيها تتألقان بالدهشة والحبور عندما يأتي لها بهدية، أشياء صغيرة في المعتاد لأنه كان أبعد ما يكون عن الثراء: عُلبة من الحلوى، سوار، أو بعض البرتقال الإسباني كما فعل ذات مرَّة، فهو يعرف أنه برتقال نورما المفضَّل.

عاد الشاب إلى عربة الزهور مبتسمًا وعيناه تجريان على ما تحمله العربة منها. كان البائع العجوز في العقد السابع من العُمر تقريبًا، يرتدي معطفًا رماديًا باليًا ويعتمر قبعة رغم دفء الجو، ووجهه خريطة من التجاعيد، وعيناه غائرتان، في حين يتصاعد دُخان

https://jadidpdf.com

السيجارة التي بين أنامله. هو أيضًا تذكَّر كيف يكون المرء شابًّا في الربيع، شابًّا وغارقًا في الحُبِّ حتّى النُّخاع. وجه بائع الزهور العجوز عابس في المعتاد، لكنه الآن ابتسم قليلًا، تمامًا كما ابتسمت السيدة التي تدفع عربة البقالة. نفض العجوز فتات البسكويت من على معطفه وقال لنفسه: «إنه عاشق».

سأله الشاب: «بكم زهورك؟».

- «سأعطيك باقة جميلة بدولارٍ واحد. زهور الشاي هذه نابتة في دفيئة، لذا تتكلَّف أكثر. سبعون سنتًا للواحدة. سأبيعُ لك نصف دستة منها بثلاثة دولارات ونصف».

- «أسعارك باهظة».

- «الأشياء التي تستحقُّ لا تأتي بثمنٍ زهيد. ألم تعلِّمك أمُّك هذا يا صديقي الصغير؟».

ابتسم الشاب مجيبًا: «لعلها ذكرته لي ذات مرَّة».

- «بالطبع ذكرته! سأعطيك نصف دستة، زهرتين حمراوين وزهرتين صفراوين وزهرتين بيضاوين. لا يمكنني أن أفعل ما هو أكثر. وسأزيِّنُ لك الصحبة بالسرخس. هذا يروقهن كثيرًا».

محتفظًا بابتسامته سأله الشاب: «هن؟».

قال بائع الزهور وهو يلقي عقب السيجارة في البالوعة القريبة: «يا صديقي الصغير، لا أحد يشتري الزهور لنفسه في مايو. هذا يكاد يكون قانونًا».

https://jadidpdf.com

فكَّر الشاب في نورما، في عينيها السعيدتين المندهشتين وابتسامتها الرقيقة، ثم أومأ برأسه إيجابًا وهو يقول: «أظنُّ هذا».

- «سأخبرك برأيي، فالنصائح لا تزال مجانيَّة، أليس كذلك؟».

- «أظنُّها الشيء الوحيد الذي يظلُّ مجانيًّا هذه الأيام».

ردَّ بائع الزهور: «لك أن تراهن على هذا. حسن يا صديقي الصغير، إذا كانت هذه الزهور لأمِّك، فاشترِ لها الباقة: بعض النرجس وبعض الزعفران وبعض زنابق الوادي. عندها ستقول: *آه يا عزيزي! إنها جميلة. كم كلَّفتك؟ ألم أعلِّمك ألا تُبدِّد نقودك؟* ».

ضحك الشاب، فيما تابع البائع العجوز: «لكن إذا كانت لفتاتك، فهذا موضوع آخر يا بني. إن جلبت لها زهور الشاي فلن تتحوَّل إلى محاسِبة! هل تفهمني؟ ستلفُّ ذراعيها حول عنقك و...».

قاطعه الشاب: «سآخذُ زهور الشاي».

قهقه بائع الزهور بدوره، فالتفت إليهما الرجلان اللاعبان بقطع العملة مبتسميْن، ونادى أحدهما الشاب صائحًا: «يا فتى، هل تريد شراء خاتم زفاف بثمنٍ رخيص؟ سأبيعك خاتمي. لم أعد محتاجًا إليه».

ابتسم الشاب وسرت حُمرة الخجل في وجهه. اختار البائع ست زهورٍ وقصَّ سوقها بعض الشيء، ثم رشَّها بالماء ولفَّها وناولها للشاب، فيما جاء الصوت من الراديو يقول: «يبدو الطقس الليلة كما تريدونه تمامًا. استمتعي به يا نيويورك العظيمة، استمتعي!».

https://jadidpdf.com

أعطى الشاب البائع حساب الزهور وتناول منه الباقي، ثم واصل طريقه إلى نهاية الشارع بعينين متسعتين باللهفة والاشتياق، غير عابئ بما يدور حوله في ثيرد آفنيو. سار دون أن يعي أن المرأتين الواقفتين عند باب تلك المغسلة نظرتا إليه بحسرةٍ وهو يحمل باقة الزهور، فقد ولَّت الأيام التي كانتا تتلقيان فيها الزهور منذ زمن. سار دون أن يعي أن شرطي المرور الشاب أوقف عبور السيَّارات في الشارع ٦٦ بصفَّارة ليسمح له بالمرور، فقد كان الشرطي نفسه خاطبًا ولاحظ الانطباع الحالم على وجه الشاب. سار دون أن يعي أن هاتين المراهقتين لوحتا له ضاحكتين.

توقَّف عند بداية الشارع ٧٣ ثم انعطف يمينًا. كانت الإضاءة في الشارع الصغير الذي ترى فيه أسماء المطاعم الإيطالية خفيضة، وعلى بُعد ثلاث بنايات مباراة كرة قدم حماسية تدور تحت الضوء الخابي. لم يبتعد الشاب كثيرًا، بل انعطف مرَّة أخرى داخل زقاقٍ ضيِّق.

كانت النجوم تتألق في السماء الآن، والزقاق مظلمًا وتحفُّه الظلال التي تلقيها صناديق القمامة. سار الشاب ببطء وألقى نظرة على ساعة يده. الثامنة والربع، ولا بد أن نورما...

ثم إنه رآها قادمةً إليه من ناحية الفِناء، ترتدي سروالًا أزرق غامقاً وقميصًا كقمصان البحارة جعل قلبه يثب في صدره.

رؤيتها للمرة الأولى مفاجِئة له دائمًا، كأنها صدمة جميلة.

بدت ابتسامته كأنها تشعُّ نورًا إذ سار صوبها قائلًا: «نورما».

نظرت إليه مبتسمة... لكن ابتسامتها تلاشت حين دنَت منه.

https://jadidpdf.com

اهتزَّت ابتسامته بدورها بعض الشيء، وشعر بالقلق لحظةً. بدا وجهها الجميل مرتبكًا بينما هبط الظلام أكثر فأكثر.

هل يمكن أنه أخطأ تعرُّفها؟ لا... إنها نورما.

ناولها باقة الزهور قائلًا بسعادة: «اشتريتُ لكِ زهورًا».

نظرت الفتاة إلى الزهور وابتسمت، ثم أعادتها إليه قائلة: «شكرًا، لكنك مخطئ. إن اسمي...».

- «... نورما...»، همس وهو يُخرج المطرقة ذات اليد القصيرة من جيب معطفه.

- «إنها من أجلكِ يا نورما... كلُّ شيءٍ دومًا من أجلكِ».

تراجعت الفتاة إلى الخلف والفزع يكسو وجهها، واستدارت شفتاها على شكل رقم ٠ من الرُّعب.

هي ليست نورما...

نورما ميتة منذ عشر سنوات...

ولم يهم هذا لأنها كانت على وشك الصراخ، ولقد انقضَّ عليها هو بالمطرقة ليكتم الصرخة... ليقتل الصرخة...

انقضَّ عليها بالمطرقة، وسقطت الباقة من يده لتنزف الزهور الحمراء والصفراء والبيضاء إلى جوار صناديق القمامة...

انقضَّ عليها بالمطرقة، لكنها لم تصرخ لأنها لم تكن نورما كما لم تكن واحدة منهن نورما...

https://jadidpdf.com

هي لم تكن نورما، ولذلك هوى عليها بالمطرقة كما فعل مع الأخريات الخمس من قبل...

وعندما غادر الزقاق المظلم بعدها مبتعدًا كان الظلام قد حلَّ بالكامل، وانتهت مباراة الكرة وعاد الأطفال إلى منازلهم. إذا كانت هناك بُقع من الدم على سترته فلن يراها أحد، ليس في هذا الظلام، ليس في تلك الليلة الربيعية، ولم يكن اسمها نورما لكنه يعرف أن اسمه هو الحُب.

اسمه الحُب، ولقد سار في هذه الشوارع المظلمة لأن نورما تنتظره، ولسوف يعثر عليها.

رجعَت الابتسامة إلى وجهه والنشاط إلى خطواته المتقافزة إذ عاد إلى الشارع ٧٣. رآه زوجان جالسان على عتبة دارهما يمرُّ، فثبَّتت الزوجة عينيها على الشاب ذي البذلة الرمادية الذي اختفى في ظلمات الليل، وخطر لها بحسرةٍ أن زوجها لم يَعُد يبدو هكذا، وخطر لها أيضًا أنه إن كان يوجد ما هو أجمل من الربيع، فهو الحُبُّ الشاب.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Man Who Loved Flowers*» في مجلة «*Gallery*» عام ١٩٧٧.

https://jadidpdf.com

# نظرة على الجريمة المنظَّمة

## *وودي آلن*

ليس سرًّا أن الجريمة المنظَّمة في الولايات المتحدة تجني من الأرباح ما يربو على الأربعين بليون دولار سنويًّا، وهو مبلغ ضخم حقًّا، خصوصًا عندما تعرف أن المافيا تُنفِق القليل جدًّا على الأدوات المكتبيَّة، طِبقًا للمصادر الموثوقة التي أكَّدت أن الكوزا نوسترا لم تُنفِق العام الماضي أكثر من ستة آلاف دولار على الأوراق والأقلام، وأقل من هذا على الدبَّاسات. علاوة على ذلك، ليست لدى المافيا غير سكرتيرة واحدة تُمارِس الأعمال الكتابيَّة كلها، بالإضافة إلى ثلاث غُرف صغيرة فقط يستخدمونها كمقرٍّ رئيسي لهم، ويقتسمونها مع أحد نوادي الرَّقص.

كانت عصابات الجريمة المنظَّمة مسؤولة مسؤوليَّة مباشرة العام الماضي فقط عن أكثر من مئة جريمة قتل، بالإضافة إلى ضلوعها على نحوٍ غير مباشر في بضع مئة جريمة قتلٍ أخرى، سواء عن طريق إقراض القتلة أجرة التاكسي، أو بالحفاظ على معاطفهم نظيفة مكويَّة حتّى تنفيذهم العمليَّة. كما تضمُّ الأنشطة غير المشروعة الأخرى التي

https://jadidpdf.com

يُمارِسها رجال الكوزا نوسترا القمار والمخدِّرات والدعارة والسرقة والرِّبا، ناهيك بتهريب السَّمك الأبيض الكبير عبر حدود الولايات من أجل أغراض غير أخلاقيَّة. بل إن أذرُع تلك الإمبراطوريَّة الفاسدة تمتدُّ لتطول الحكومة نفسها كذلك، فقبل شهورٍ معدودة فقط قضى اثنان من زعماء العصابات الخاضعين للتحقيقات الفدراليَّة ليلتهما في البيت الأبيض، في حين نام الرئيس على الأريكة.

## تاريخ الجريمة المنظَّمة في الولايات المتحدة

في سنة ١٩٢١ جرَت محاولة من توماس كوفلو «الجزَّار» وسيرو سانوتشي «الخيَّاط» لتنظيم المجموعات العِرقيَّة المختلفة في العالَم السُّفلي للسيطرة على شيكاغو، لكن الخطَّة أُحبِطَت عندما دبَّر آلبرت كورلو «الفيلسوف الوضعي المنطقي» اغتيال كيد ليپسكي بحَبْسه في خزانة وامتصاص الهواء كله من داخلها عن طريق ماصَّة عصير، فانتقم مندي أخو ليپسكي -صاحب الأسماء المستعارَة مندي لويس، مندي لارسن، ومندي صاحب الأسماء المستعارَة- لمصرع أخيه باختطاف جايتانو شقيق سانوتشي -المعروف أيضًا باسم توني الصغير أو الحاخام هنري شارپستاين- وإعادته بعد عدَّة أسابيع داخل سبعة وعشرين برطمانًا لِحفظ العيِّنات... وقد كانت هذه إشارة لبدء حمَّام الدَّم.

أطلق دومينيك ميوني «بطل أمراض الجهاز التناسلي» النار على لورنزو المحظوظ -الذي أطلقوا عليه هذا اللَّقب عندما فشلت قنبلة انفجرت داخل قبَّعته في قتله- خارج بار في شيكاغو، وردًّا

https://jadidpdf.com

على هذا تبع كورلو ورجاله ميوني إلى نيو آرك وصنعوا من رأسه آلة نفخٍ موسيقيَّة. في تلك المرحلة تحرَّكت عصابة ڤيتالي، التي يقودها جيسوب ڤيتالي، للاستيلاء على جميع عمليَّات التهريب في هارلم من يد لاري دويل الأيرلندي، وهو مُبتَز شكَّاك لدرجةٍ جعلته يرفض أن يسير أيٌّ من ساكني نيويورك وراءه أبدًا، فكان يسير في الشارع دائرًا على قدمٍ واحدة طوال الوقت. قُتِل دويل عندما قرَّرت شركة سكوينلانتي للمقاولات إنشاء مكتبها الجديد على قصبة أنفه، وبعدها تولَّى نائبه بيتي روس الصغير -المعروف كذلك بلقب بيتي روس الكبير- القيادة، فقاوم استيلاء عصابة ڤيتالي على العمليَّات، وأغرى ڤيتالي نفسه بدخول جراج خالٍ في وسط البلد بعد إيهامه بوجود حفلةٍ تنكُّريَّة مقامة هناك. هكذا دخل ڤيتالي الجراج مرتديًا زيَّ فأرٍ عملاق، فحوَّلته طلقات المدافع الآليَّة إلى مصفاة في الحال. بدافع الإخلاص انضمَّ رجال ڤيتالي في الحال إلى روس، وكذلك خطيبته بيا موريتي، الفنَّانة الاستعراضيَّة ونجمة برودواي، التي تزوَّجت روس في النهاية، على الرغم من أنها رفعت عليه دعوى طلاق في ما بعد اتَّهمته فيها بأنه رشَّها ذات مرَّةٍ بمرهم ذي رائحةٍ كريهة.

خوفًا من تدخُّل الأمن، طلب ڤينسنت كولومبرارو -ملك التوست المدهون بزبدة- إقامة هدنة (يملك كولومبرارو سيطرة مُحكَمة على جميع تحرُّكات التوست المدهون بزبدة من وإلى نيو جرسي، لدرجة أن كلمة واحدة منه من شأنها إفسادِ وجبة الإفطار على ثلثي سُكَّان الولايات المتحدة). دُعي جميع رجال العالَم السُّفلي

https://jadidpdf.com

إلى مطعمٍ في حي پرث آمبوي، حيث حدَّثهم كولومبرارو قائلًا إن الحرب الداخليَّة يجب أن تتوقَّف، وإنهم يجب أن يرتدوا ملابس لائقة من الآن فصاعدًا، وأن يكفُّوا عن حركاتهم «النُّص كُم». الخطابات التي كانت تُوقَّع فيما سبق بيدٍ سوداء ستحمل الآن توقيع «مع أطيب التمنيات»، وستُقسَّم جميع مناطق السيادة بالتَّساوي، مع ذهاب نيو جرسي إلى أم كولومبرارو. هكذا وُلِدت المافيا أو الكوزا نوسترا (الكلمة تعني «معجون أسناني»، أو «معجون أسناننا» بالإيطاليَّة). بعد يومين ذهب كولومبرارو ليأخذ حمَّاما ساخنًا، وهو مفقود منذ ذلك الحين قبل ستة وأربعين عامًا.

### بناء المافيا

يشبه بناء المافيا أيَّ حكومةٍ أو مؤسَّسة كبيرة... أو منظَّمة إجرامية كذلك. على القمَّة هناك الكوپا دي توتي كاپي، أو زعيم الزعماء، وتقام الاجتماعات في منزله، وهو المسؤول عن تزويد ضيوفه بشرائح اللحم البارد ومكعَّبات الثلج، والتواني في عمل ذلك يعني الموت الفوري (الموت -بالمناسبَة- هو أحد أسوأ الأشياء التي يُمكنها أن تحدث لرجل مافيا، وكثيرون منهم يُفضِّلون دفع غرامة بسيطة). تحت زعيم الزعماء يقع نوَّابه، وكلُّ واحدٍ منهم يدير جزءًا من المدينة مع عائلته. وعائلات المافيا لا تتكوَّن من الزوجات والأطفال الذين يذهبون طوال الوقت إلى أماكن غريبة مثل السيرك أو الحديقة، وإنما هي مجموعات من الرجال المتجهِّمين الذين يجدون متعتهم الأكبر في الحياة في رؤية المدَّة التي يستطيع

https://jadidpdf.com

بعض الناس بقاءها تحت مياه النهر الشرقي في نيويورك قبل أن يكفُّوا عن التنفُّس.

عمليَّة الانضمام إلى المافيا معقَّدة للغاية. تُغمَّى أولًا عينا العضو الجديد ويُدخلونه إلى غُرفةٍ مظلمة، حيث توضع قِطَع من البطيخ في جيوبه، ثم يبدأ التوثُّب على قدمٍ واحدة وهو يصرخ كالحمقى. ثم يشدُّ جميع أعضاء هيئة التعيين شفته السفلى ويتركونها ترتدُّ إلى وجهه كشريط المطّاط، والحقيقة أن هناك بعض الأعضاء الجدد ممن يرغبون في الخضوع لهذا الاختبار مرَّتين. بعد ذلك يوضَع القليل من الدقيق على رأسه، فإذا اشتكى فإنه يُطرَد في الحال، أما إذا قال: «أحبُّ وضع الدقيق على رأسي»، فإن عضويَّته تُقبَل، ويتمُّ هذا عن طريق تقبيله على الخَد ومصافحته. منذ ذلك الحين ممنوع منعًا باتًّا عليه أن يأكل المانجو أو يُسلِّي رفاقه بتقليد الدجاج، أو يقتل أيَّ أحدٍ اسمه فيتو.

## خاتمة

الجريمة المنظَّمة آفة تُهدِّد وطننا، وبينما يُجتذب كثير من شبَّان أمريكا إلى الجريمة التي تعدهم بحياةٍ سهلة، فإن أغلب المجرمين يعملون في الحقيقة ساعاتٍ طويلة، وغالبًا في مكاتب بدون تكييف. إن تعرُّف المجرمين واجب كلٍّ منا، وفي المعتاد يُمكن تعرُّفهم من خلال ارتدائهم القمصان ذات الأساور الكبيرة وعدم قُدرتهم على الكفِّ عن الأكل، حتّى عندما يُضرَب رجلٌ جالس إلى جوار أحدهم بمرزبَّة على رأسه.

https://jadidpdf.com

**أفضل الأساليب لمكافحة الجريمة المنظَّمة هي:**

١. أن تقول للمجرم إنه ليس في بيته، فلا يأخذ راحته.

٢. الاتِّصال بالشُّرطة عندما يبدأ عدد غير تقليدي من رجال شركة صقليَّة للتنظيف الجاف في الغناء تحت نافذتك.

٣. التنصُّت على المكالمات.

لا يُمكن استخدام التنصُّت على المكالمات بدون تمييز، لكن تأثيره يتجلَّى مثلًا في تفريغ المكالمة التالية، بين اثنين من زعماء العصابات في منطقة نيويورك تنصَّت رجال الـ«FBI» على مكالماتهما:

آنتوني: ألو؟ ريكو؟

ريكو: ألو؟

آنتوني: ريكو؟

ريكو: ألو؟

آنتوني: ريكو؟

ريكو: لا أسمعك.

آنتوني: ريكو؟ أهذا أنت؟ لا أسمعك.

ريكو: ماذا؟

آنتوني: هل تسمعني؟

ريكو: ألو؟

آنتوني: ريكو؟

https://jadidpdf.com

ريكو: هل تسمعني؟

آنتوني: ألو؟

ريكو: آنتوني؟

أنتوني: ألو؟

ريكو: آنتوني؟

آنتوني: ريكو؟

بناءً على هذا الدليل الدَّامغ أدين أنتوني روتونو «السمكة» وريكو بارزيني، ويقضيان حاليًّا فترة عقوبتهما التي تبلغ خمسة عشر عامًا في سجن سينج سينج.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*A Look at Organized Crime*» في مجلة «*The New Yorker*» عام ١٩٧٠.

https://jadidpdf.com

# ڤيروس

## *نيل جايمان*

كانت هناك لعبة كومبيوتر أعطِيتُ إياها. صديقٌ لي كان يلعبها، وقد نسخَها لي. إنها رائعة بكلِّ المقاييس، قال، ويجب أن تلعبها. وقد لعبتها، وكانت كما قال.

ثم إنني نسختُها من الاسطوانة التي أخذتها منه، وأعطيتها للجميع. أردتُ أن يلعبها الجميع، أردتُ أن يستمتع بها الجميع (وهُم يستحِقُّون هذا). رفعتُ اللعبة للتحميل على منتديات الإنترنت، لكني كنتُ أنسخها لأصدقائي غالبًا.

(من يدٍ ليد، هكذا تحصَّلتُ عليها).

كان أصدقائي مثلي، يخشى بعضهم الڤيروسات. تعرف ما يحدث، يعطيك أحدهم اسطوانة، ويوم الجمعة ١٣ المقبل ستجد كلَّ ما على القرص الصلب قد أزيل، أو أن وحدات الذاكرة ستتلف. لكن هذه الاسطوانة لم تفعل ذلك قَط، بل كانت آمنة تمامًا. وحتّى أصدقائي الذين لا يتعاملون مع الكومبيوتر بدأوا اللعب.

https://jadidpdf.com

كلما تحسَّن أداؤك صارت اللعبة أصعب. وربما لا تفوز أبدًا، لكنك لا تتوقَّف عن رفع مستواك.

عن نفسي، أنا بارعٌ فيها حقًّا.

بالطبع أقضي وقتًا طويلًا للغاية ألعبُ، وكذلك أصدقائي، وأصدقاء أصدقائي.

كل من تراهم تجدهم سائرين في الطُّرقات القديمة أو واقفين في الطوابير حاملين كومبيوتراتهم، بعيدًا عن الأروقة المقنطَرة التي بزغت من الأرض بين عشيةٍ وضُحاها.

لكنهم يلعبونها في عقولهم، يجمعون بين الأشكال المختلفة، يُفكِّرون مليًّا في الزوايا والمنحنيات، يرصُّون الألوان مع الألوان، يُرسلون الإشارات إلى مقاطع جديدة تكشف عنها الشاشات، يسمعون الموسيقى.

بالطبع يُفكِّر الناس في اللعبة، لكنهم يلعبونها في الغالب.

حتى الآن ألعبُ ١٨ ساعة في اليوم. ١٢٠٫٠٤٠ نقطة، ٣ مستويات.

تلعبها رغم الدموع، ومعصمك الذي يقتلك ألمًا، ورغم الجوع، لأن كل هذا يزول بعد قليل.

يزول كلُّ شيءٍ باستثناء اللعبة.

لم تعد هناك مساحات فارغة في عقلي، لم يعد هناك مكان لأيِّ شيءٍ آخَر.

https://jadidpdf.com

لقد نسخنا اللعبة وأعطيناها لأصدقائنا. إنها تتجاوز اللغات، وتحتلُّ الزمن.

أحيانًا يخطر لي أنني بدأت أنسى كثيرًا في هذه الأيام.

أتساءل عما حدث للتليفزيون. ألم يكن لديَّ تليفزيون هنا؟

أتساءلُ عما سيحدث عندما تنفد أطعمتي المعلَّبة.

أتساءلُ أين ذهب الناس.

ثم أدركُ أنني إذا أسرعتُ فيمكنني أن أضع مربَّعًا أسود إلى جوار الخط الأحمر، ثم أعكسه وأدوِّرهما كي يختفيا ويخلو المكعَّب الأيسر لتخرج منه الفقَّاعة البيضاء (ثم يختفيان).

وعندما تنقطع الكهرباء بلا عودة سأظلُّ ألعب في عقلي حتّى أموت.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Virus*» في مجموعة «*Smoke and Mirrors*» عام ١٩٩٨.

https://jadidpdf.com

# من النِّسيان

## *هـ پ. لاڤكرافت*

عندما حلَّت أيامي الأخيرة وبدأت توافه الوجود تقودني إلى الجنون، كقطرات الماء الصغيرة التي يَتْرُكها المُعَذِّبون تتساقَط بلا توقُّفٍ على بُقعةٍ واحدةٍ من جسد ضحيَّتهم، وجدتُني أحبُّ ملاذ النوم المنير. في أحلامي وجدتُ شيئًا من الجمال الذي نشدته في الواقع عبثًا، وجعلتُ أجولُ بين حدائقَ قديمة وغاباتٍ ملأى بالسِّحر.

في مرَّة، حين كانت الرِّياح ناعمةً ذكيَّةَ الرائحة، سمعتُ صوت الجنوب يُناديني، وأبحرتُ بتراخٍ تحت نجومٍ غريبة بلا نهاية.

وفي مرَّة، حين كان المطر يسقط برِقَّة، خضتُ على متن قاربٍ نهرًا صغيرًا لا تُنيره شمسٌ يسري تحت الأرض، إلى أن بلغتُ عالمًا آخَر من الشَّفق الأرجواني والظِّلال ذات ألوان قوس قزح والوردات التي لا تموت.

وفي مرَّةٍ مشيتُ في وادٍ ذهبيٍّ يقود إلى بساتين ظليلةٍ وأطلال، وينتهي عند جدارٍ عظيم شاع فيه أخضر الكروم العتيقة، تَخترِقه بوَّابةٌ صغيرةٌ من البرونز.

https://jadidpdf.com

مرَّاتٍ عديدةً سرتُ في ذلك الوادي، وكنتُ أقفُ لساعاتٍ وساعاتٍ في الضوء الشَّبحي الخافت، حيث تتلوَّى الأشجار العملاقة وتتمايَل على نحوٍ عجيب، وحيث تمتدُّ الأرض الرماديَّة الرَّطبة من جذعٍ إلى جذع، وتكشف في غير موضعٍ عن أحجار المعابد المدفونة المُغطَّاة بالعَفَن؛ ودائمًا ما كان هدف خيالاتي الجدار العظيم المكسو بالكروم الخضراء والبوَّابة البرونزيَّة الصغيرة.

بعد فترةٍ، كلما صارت أيام اليقظة أقلَّ احتمالًا من فرط كآبتها وثبات وتيرتها، كنتُ كثيرًا ما أنساقُ في حالةٍ من السلام المخدِّر عبر الوادي والبساتين الظَّليلة، وأتساءلُ كيف أستَحوِذُ عليها من أجل مُسْتَقَرِّي الأبدي كي لا أحتاج بعدها أبدًا إلى الزَّحف إلى عالمٍ فاترٍ جُرِّدَ من أيِّ شغفٍ أو لونٍ جديد. وإذ تطلَّعتُ إلى البوَّابة الصغيرة في الجدار الشَّاهق شعرتُ أن وراءه يكمن بلد أحلامٍ لا عودة منه ما إن تَدخُله.

هكذا كنتُ أكافِحُ كلَّ ليلةٍ في منامي كي أعثر على المزلاج الخفي في بوَّابة الجدار العتيق، رغم أنها كانت مخفيَّةً تمامًا تمامًا، وكنتُ أقولُ لنفسي إن المملكة الواقعة وراء الجدار ليست خالدةً فحسب، بل أكثر جمالًا وإشراقًا من أيِّ مكانٍ آخَر كذلك.

ثم جاءت ليلة في زاكاريون -مدينة الأحلام- وجدتُ فيها برديَّة صفراء مفعمةً بأفكار حكماء الأحلام الذين سكنوا تلك المدينة قديمًا، وكانوا أحكم من أن يولدوا في عالم اليقظة. في البرديَّة دُوِّنَت أشياءَ كثيرة عن عالم الأحلام، منها معارفَ عن وادٍ ذهبيٍّ

https://jadidpdf.com

وبستانٍ مقدَّسٍ شُيِّدَت فيه معابد، وجدارٍ عالٍ تخترقه بوَّابة صغيرة من البرونز. عندما قرأتُ هذا عرفتُ أنه يَصِفُ المَشاهد التي سكَنتُها وسكَنَتني، ومن ثمَّ أخذتُ أقرأُ طويلًا من البرديَّة المصفرَّة.

أبدع بعض حكماء الأحلام في وصف العجائب الواقعة وراء البوَّابة التي لا يُمكن اجتيازها، لكن آخَرين حكوا أشياءَ كثيرةً عن الرُّعب وخيبة الأمل. لم أدرِ أيَّ حكاياتٍ أصدِّقُ، وإن تقتُ أكثر وأكثر إلى العبور إلى تلك الأرض المجهولة والبقاء فيها للأبد، فالشَّكُّ والتكتُّم هما ذُروة الإغواء ومنتهاه، ولا رُعب جديدًا من شأنه أن يكون أبشعَ من عذاب الحياة العاديَّة المبتذَلة اليومي.

هكذا، عندما تعلَّمتُ ما يجب تعلُّمه عن المخدِّر الذي يتيح لي فتح البوَّابة وعبورها، قرَّرتُ أن أتعاطاه حين أستَيقِظُ المرَّة القادمة.

ليلة البارحة ابتلعتُ المخدِّر وطفوتُ حالمًا في الوادي الذَّهبي والبساتين الظليلة، وعندما بلغتُ الجدار العتيق هذه المرَّة رأيتُ البوَّابة البرونزيَّة وقد فُتِحَت بعض الشيء، ومن ورائها جاء نورٌ أضاء الأشجار المُتراقِصَة وأعالي المعابد الدَّفينة بشكلٍ غريب، وانسَقتُ وكياني يُغنِّي مُتَرَقِّبًا أمجاد الأرض التي لا أنوي العودة منها أبدًا.

لكن... إذ انفتحَت البوَّابة أكثر ودفعَتني شعوذة المخدِّر وقُوَّة الحُلم عبرها، عرفتُ أن كلَّ جمائل وأمجاد تلك المملكة قد حالَت، ولم يَعُد فيها أرضٌ أو بحر، وليس هناك غير عدمٍ أبيض وفضاءٍ بلا ناسٍ وبلا حدود. هكذا، شاعرًا بسعادةٍ لم أجرؤ عليها في حياتي

https://jadidpdf.com

من قبل، ذبتُ مرَّةً أخرى في لا نهائيَّةَ النِّسيان البلَّوري الذي ناداني منه الشيطان (الذي يُدعى الحياة) لساعةٍ واحدةٍ وحيدةٍ مرَّت كالطَّيف.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Ex Oblivione*» في مجلة «*The United Amateur*» تحت الاسم المستعار وارد فيليبس عام ١٩٢١.

https://jadidpdf.com

# رسالة الإمبراطور

## *فرانتس كافكا*

تقولُ الحكاية إن الإمبراطور بعثَ رسالةً إليك أنت، أيها المواطن الوضيع، الظِّل التافه المنكمش على نفسه في أنأى بُقعةٍ تحت الشَّمس الإمبراطوريَّة، إليك وحدك بعثَ الإمبراطور رسالةً من على فِراش الموت. أمرَ الإمبراطور رسوله بأن يركع إلى جوار فِراشه، وهمسَ له بالرسالة مُشَدِّدًا على فحواها، قبل أن يَأمُر الرسول بأن يُعيدها همسًا على مسامعه، ثم يهز رأسه علامة الرِّضا. نعم، أمام الذين تجمَّعوا ليتفرَّجوا على موته (وقد هُدِمَت جميع الأسوار التي تعيق الأنظار، وعلى السلالم الشامخة المفتوحة وقفَ أمراء الإمبراطوريَّة العظام في حلقة)، أمام كلِّ هؤلاء أدلى الإمبراطور برسالته. وفي الحال ينطلق الرسول -وهو رجلٌ قويٌّ لا يعرف الكلل- في رحلته، يدفع بيُمناه ويدفع بيُسراه، ويَشُقُّ سبيلًا لنفسه عَبر الجموع. إذا واجه مقاوَمةً يُشير إلى صدره حيث يتألَّق رمز الشَّمس، فيصير الطريق أسهل عليه من أيِّ رجلٍ آخَر في مكانه. لكن الحشود كبيرة كبيرة، والأعداد ممتدَّةٌ بلا نهاية. يا لها

https://jadidpdf.com

من سرعةٍ تلك التي سيُحلِّق بها إذا استطاع بلوغ الحقول المفتوحة، ولا شكَّ أنك سرعان ما ستسمع دقَّات قبضتيه المرغوبة على بابك، لكنه بدلًا من هذا يُبدِّد قواه عبثًا، وما زال حتّى الآن يُحاوِل شَقَّ طريقه عَبر غُرف القصر الأوغلِ دون أن يفرغ منها أبدًا. فإذا نجحَ في ذلك فما زال لن يُحرِز أيَّ تقدُّم، إذ لم يزل عليه أن يُكافِح لينزل السلالم. فإذا نجح في ذلك فما زال لن يُحرِز أيَّ تقدُّم، فلم يزل عليه أن يقطع الأفنية، وبَعد الأفنية هناك القصر الخارجي الثاني، ثم المزيد من السلالم والأفنية، ثم قصرًا آخَر، وهكذا على مرِّ آلاف السِّنين. وإذا نجحَ أخيرًا في أن يندفع من البوَّابة الخارجيَّة بَعد كلِّ هذا -وهو ما لن يَحدُث أبدًا أبدًا- ستظلُّ العاصمة الإمبراطوريَّة، مركز العالم، أمامه مكتظَّةً حتّى حدود الانفجار برُسابَتها. لا أحد يستطيع الخروج من هنا، حتّى وهو يحمل رسالةً من رجلٍ ميت، لكنك ما زلت تجلس عِند نافذتك عندما يأتي المساء وتَحلُم بأن يأتي هذا اليوم.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Eine kaiserliche Botschaft*» عام ١٩١٨، والترجمة العربية عن الترجمة الإنجليزية المعتمدة لويلا وإدوين ميور.

https://jadidpdf.com

# رسائل من الباطن

## *أ. ت. جرينبلات*

أميرتي، أتمنَّى أن تجدكِ هذه الرسالة في روحٍ معنويَّة مرتفعة وصحَّةٍ طيِّبة، وآملُ أن تسامحيني على الحالة السيئة التي ستجدين عليها الرسالة (فالظلام دامس هنا كما تعلمين)، وأعتذرُ بشدَّة للطريقة... آه... غير السارَّة التي ستصلك بها، لكن من المهم جدًّا أن أبلغك بأن الخطَّة لم تمضِ كما كان متوقَّعًا لها -وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أنني استخففتُ بالوحش، لأنني توقَّعتُ تمامًا أن تكون له أنياب قاطعة (وإن كنتُ لا أفهمُ لِمَ يحتاج أيُّ مخلوقٍ إلى أربعة صفوفٍ كاملة من الأنياب!)، وتوقَّعتُ أن تكون له حراشف صُلبة وأنفاس من نار (قيل عنها إنها تذيب اللحم عن العظام، على أنني أعتبر ذلك مبالغةً كبيرة)، لكنني تفاجأتُ بأصابعه القويَّة التي انتزعني بها وابتلعني في أعماقه... لكن لا تحزني يا عزيزتي، فأنتِ نفسكِ تعرفين مدى ضخامة هذا الوحش، ولهذا أجدني أتوسَّلُ إليكِ الآن أن تمدِّي لي يد العون في محنتي هذه، سواء أقرَّرتِ حمْل السلاح ومواجهته باسم حُبِّنا، أم -على الأقل- نجحتِ في

https://jadidpdf.com

التحايُل على سجّاني الرهيب وجعلتِه يبتلع مِشعلاً أو مِشكاةً (فمع أن صورة وجهكِ الملائكي لا تُفارِقني وتُخفِّف عني سجني، فإنني لا أمانعُ في وجود بعض النور ها هنا من أجل بصري المسكين، كي أستطيع التمتُّع بالنظر إليكِ عندما نلتقي في المرَّة القادمة بعد أن أخرج من هذه البئر العميقة... وأرجو منكِ يا عزيزتي أن يبقى تفكيرك فيَّ مليئًا بالحُبِّ والإخلاص (فكم من الفُرسان حاول إنقاذكِ من قبلي ونجح في بلوغ المدى الذي بلغته؟)، وأن تعلمي أنني سأظلُّ دائمًا فارسكِ الشُّجاع الوفي (حتى وقد انتفخ جسدي وانتشرَ فيه العفن).

---

أ. ت. جرينبلات شاب أمريكي يكتب قصص الخيال العلمي لعددٍ من المجلات، ونُشرت قصَّته هذه على موقع «*The Chair Parade*» عام ٢٠١٣.

https://jadidpdf.com

# العنقاء

## *تشاك پولانك*

ترفع ريتشل سمّاعة الهاتف ليلة الاثنين لتطلب البيت من غرفة الموتيل الصغير في أورلاندو، وبينما يرنُّ الهاتف على الطَّرف الآخر من الخط تلتقط هي جهاز التحكُّم عن بُعد وتتنقَّل بين محطَّات التليفزيون وقد كتمت الصوت. تعدُّ خمس عشرة رنَّة، ست عشرة، ثم يردُّ تد مع الرنَّة السادسة والعشرين بصوتٍ لاهث، فتطلب منه أن يُناول ابنتها السمّاعة.

يقول تد: «سأذهب لأحضِرها، لكني لا أعدك بأيِّ معجزات».

تسمع صوت وضع الهاتف على طاولة المطبخ، ثم تسمع صوت زوجها يرتفع وينخفض إذ يدور في أنحاء البيت صائحًا: «إپريل، حُلوتي! تعالي وكلِّمي أمَّكِ!». تسمع صرير الباب الشَّبكي عند مدخل البيت، ثم يعلو صوت خطوات تد ويخفت مع انتقاله من الأرضيَّة الخشبيَّة إلى درجات السلالم المكسوَّة بالموكيت.

تجلس ريتشل على الفراش منتظرةً. رائحة سجَّادة الغرفة وستائرها تُذكِّرها بعض الشيء بمتاجر الملابس المستعملة؛ الكثير

https://jadidpdf.com

من القماش العفِن مع القليل من العَرق ودخان السجائر. من النادر أن تضطرَّ ريتشل إلى السفر بسبب عملها، حتّى إن هذه هي رحلتها الأولى خارج المدينة منذ مولد إبريل قبل ثلاث سنوات.

تتنقَّل بجهاز التحكُّم عن بُعد بين مباريات كرة القدم وأغانٍ بلا موسيقى.

لم يكن البيت الذي يعيشون فيه الآن هو الأول، أما البيت الذي كانت تسكنه مع تد قبل ولادة ابنتهما فقد نشبَ فيه حريق دمَّره عن آخره، لكن الحريق لم يكن خطأ أحد، وقد ثبت هذا في المحكمة. كان حادثًا جنونيًّا وجد لنفسه مكانًا بارزًا في تاريخ سجلات التأمين الخاصَّة بأصحاب العقارات، وبسببه فقدا كلَّ أملاكهما، ثم وُلدت ابنتهما عمياء.

نعم، إبريل عمياء، لكن كان من الممكن أن تصير الأمور أسوأ من هذا بكثير. ذلك البيت الأول كان ملكًا لتد من قبل أن يلتقيا، وقد احتلَّ أحد جدران غرفة الطعام لوح ضخم من الزجاج المنقوش، يُلقي شكل شبكةٍ على المائدة والمقاعد السوداء المصقولة بنوعٍ فاخر من الورنيش. بضغطة زرٍّ يتراقص لهب الغاز في مدفأة غرفة المعيشة على طبقةٍ من الجرانيت المسحوق، أما الأحواض والمراحيض وأحواض الاستحمام فكلها من البورسلين الأسود، فيما تنسدِل ستائر عموديَّة على النوافذ كلها.

كان البيت مناسبًا تمامًا لتد، الذي امتلك قطةً أطلق عليها اسم

https://jadidpdf.com

بيلندا كارلايل، وكان يتركها تشرب من شطّاف الحمّام الأسود. قطة بورميَّة ذات فرو أسود طويل جعلها تبدو كبالون من الشعر الأسود. أحبَّ تد بيلندا كارلايل، لكنه من البداية لم يسمح لها بأن تتعلَّق به كثيرًا، وكي يتعامل مع مشكلة شعرها المتساقط في كلِّ مكان، اعتاد استخدام واحدةٍ من تلك المكانس الكهربائية الروبوتية التي تجوب أرضيات البيت طوال اليوم لتُنظِّفها... أو على الأقل كانت تلك هي النتيجة المرجوَّة، ففي غير مرَّةٍ حدث أن تحالفت الاثنتان -القطة والمكنسة- ضده، إذ تصاب القطة بالإسهال، وتنطلق المكنسة لتنظيفه فتُلَوِّث السجَّادة كلها بالغائط.

بعد مضي عامٍ على زواجهما أعلنت ريتشل أن عليهما الانتقال إلى بيتٍ جديد. كانت حاملًا، ولا رغبة لديها في أن تأتي بوليدٍ جديد إلى عالمٍ من السجَّاد المتسخ واللهب المفتوح، لذا فعليهما بيع هذا البيت والتخلِّي عن القطة. حتّى تد اعترف لنفسه بأن المكان لا تغيب عنه رائحة فضلات القطط مهما غيَّرا وعاء الفضلات ومهما نظَّفا السجَّاد، وبالطبع ليس من الصحِّي لامرأةٍ أن تكون حاملًا في وجود وعاء لفضلات القطط في البيت نفسه. على العشاء شرحت له حقيقة داء التوكسوپلازموزيس، الذي ينتج عن طفيليات التوكسوپلازما جوندي ويعيش في أمعاء القطط وينتشر عن طريق برازها، ومن شأنه أن يتسبَّب في وفاة الرُّضع أو إصابتهم بالعمى.

تعوَّدت أن تشرح كلَّ شيءٍ لتد، فهي تعرف أنه ليس شديد الذكاء ولن يكون أبدًا، وكان هذا منبع جاذبيته بالنسبة إليها. إنه مخلص هادئ الطباع، ويعمل بجدٍّ ما دُمت تُلازمه وتُخبره بما عليه

https://jadidpdf.com

أن يفعله. الحقيقة أنها تزوَّجته لأنه يملك جميع الخصال التي يُمكنك بسببها أن تُعيِّن موظَّفًا في شركتك بعقدٍ طويل المدَّة.

كانت تتكلَّم ببطءٍ بين قضمةٍ وأخرى من السباجيتي. الطريقة الوحيدة لإخفاء رائحة القطط هي إضافة الكزبرة الخضراء إلى كلِّ شيء. بعد أن فرغت من كلامها جلس تد عبر المائدة، وقد صنعت ظلال الزجاج المنقوش ما يُشبه الخريطة على وجهه وقميصه الأبيض، وكان بإمكانها مع الصمت السائد أن تسمع صوت الفقّاعات في زجاجة المياه المعدنية. لا يهمُّ الصنف الذي يطبخه تد، فلا شيء يبدو شهيًّا مع الأطباق الصيني السوداء التي يستخدمها.

حدَّق تد إليها وسألها: «ماذا تقولين؟».

قالت ريتشل بمزيدٍ من البطء هذه المرَّة: «يجب أن نجد بيتًا جديدًا».

قال وهو يمطُّ حروف كلماته كأنه يحاول كسب بعض الوقت: «لا، قبل ذلك».

لم تشعر ريتشل بالضِّيق، فقد تمرَّنت على هذه المحادثة أيامًا، ومع ذلك كان يجدر بها أن تضبط إيقاع كلماتها أكثر، فما ذكرته أكبر من أن تُلقيه عليه دُفعةً واحدةً.

- «قلتُ إننا يجب أن نعرض هذا البيت للبيع».

أغلق تد عينيه وهزَّ رأسه وقال عاقدًا حاجبيه: «قبل ذلك».

- «ما قلته عن بيلندا كارلايل؟».

https://jadidpdf.com

قال بأسلوبٍ ملاطِف: «قبل ذلك».

شعرت ريتشل بالقلق من فكرة أن تد ليس غبيًّا حقًّا، بل فقط لا يُصغي إلى أيِّ شيءٍ تقوله. هكذا أعادت شريط المحادثة إلى بدايته في عقلها، ثم قالت: «أتقصد الجزء الخاص بكوني حاملًا؟».

- «أنتِ حامل؟».

ووضع منديل المائدة الأسود على شفتيه؛ ليمسحهما أم يُخفيهما، فهذا ما لم تتبيَّنه ريتشل.

ما زالت ليلة الاثنين في أورلاندو، وما زالت ريتشل تنتظر على الهاتف.

تزيح ملاءة الفراش وتتمدَّد لتُشاهد قناة التسوُّق المنزلي. أكثر ما تحبُّه في هذه القناة أنها لا تعرض الإعلانات!

على الشاشة تدور الخواتم الماسيَّة بالتصوير البطيء تحت أضواء الهالوجين، مُكبَّرةً مئة مرَّة عن حجمها الأصلي. دائمًا يتكلَّم المُعلِن بأسلوبٍ متشدِّق، ودائمًا يبدو شديد الحماس وهو يقول: «بادروا بالشراء الآن، الكمية محدودة!». الخواتم الزمرد تُباع بسعرٍ لا يقل عن سعر علبة الكاجو في ثلاجة غرفة الموتيل.

صوت التليفزيون مكتوم، لذا تستطيع أن تسمع نباح كلب الجيران على الطَّرف الآخر من الخط، ثم يصمت النباح كأنه شيئًا كتمه، كأن إيريل وضعت السمَّاعة على أذنها.

https://jadidpdf.com

تقول ريتشل وقد حبست أنفاسها لتسمع جيدًا: «صغيرتي؟ بوبو؟ كيف حالك أنت وبابا في غياب ماما؟».

تتكلَّم وتتكلَّم حتّى تشعر بأنها حمقاء تُثرثر مع نفسها في غرفة موتيل خاوية.

هذا الصمت -تتصوَّر ريتشل- هو عقاب. كانت قد لاحظت في الليلة السابقة لسفرها اصفرارًا في أسنانها عزته إلى تناوُل الكثير من القهوة، فحضَّرت صفائح التبييض بعد تناوُل العشاء، وتركت إيريل تتفحَّصها بيديها وشرحت لها كيف تُثبَّت على الأسنان، وهو ما يعني أن ماما لن تستطيع الإجابة على أيِّ أسئلة بمجرَّد وضع الصفائح على أسنانها. إذن ماما لا تستطيع الكلام على الإطلاق لمدَّة ساعة على الأقل، فإذا أرادت إيريل شيئًا فعليها أن تطلبه من أبيها. ثم لم تكد ريتشل تضع جل التبييض غالي الثمن في الصفائح ووضعت الصفائح في فمها، حتّى كانت إيريل تجذبها من كُمها وتطلب منها حدوتة قبل النوم.

لم يُساعدها تد على الإطلاق، وخلدت إيريل إلى النوم باكيةً، وظلَّت أسنان ريتشل صفراء.

الأصوات القادمة عبر الحائط تُخبرها بأن ضيفَي الغرفة المجاورة مستغرقان في وصلة نكاحٍ في أوجها، فتضمُّ ريتشل يدها حول السمَّاعة آملةً ألا يبلغ الصوت ابنتها. تشعر بالقلق من أن الخط قد قُطِع، فتُكرِّر مرَّة تلو الأخرى: «إيريل، هل تسمعينني؟»، ثم تستسلم وتطلب من البنت أن تُناول أباها الهاتف.

https://jadidpdf.com

يأتي صوت تد: «لا تقلقي. إنها تُعاقبكِ بالصمت فقط».

ثم يبتعد صوته بعض الشيء، وهو ما يدلُّ على أن فمه ليس على السمّاعة الآن: «أنتِ مستاءة من غياب ماما فقط، أليس كذلك؟».

صمت، لكن ريتشل تسمع موسيقى الكرنفال وأصوات الشخصيات الكارتونية السخيفة قادمة من التليفزيون في غرفة المعيشة، ولا تفوتها حقيقة أنها تسمع التليفزيون دون صوتٍ في حين تُشاهده ابنتها دون رؤية.

يأتي صوت تد وفمه لا يزال بعيدًا عن السمّاعة: «ما زلتِ تحبين ماما، أليس كذلك؟».

صمت آخر، ولا تسمع ريتشل شيئًا حتّى يقول تد بلهجة استرضاء: «لا، ماما لا تحبُّ عملها أكثر منكِ».

لا تبدو نبرة صوته مُقنِعة تمامًا، وبعد صمْتٍ آخر تسمعه يقول موبِّخًا: «لا تقولي هذا يا آنسة! لا تقولي هذا أبدًا!».

نبرة صوته تجعل ريتشل تتوقَّع أنه سيهوي على وجه الفتاة بصفعةٍ حالًا. إنها تريد أن تسمع الصفعة، لكن رنينها لا يأتي، والآن يقول تد وقد وضَع فمه على السمّاعة من جديد: «ماذا أقول؟ طفلتنا شديدة العناد حقًّا».

هنا تشعر ريتشل بسرورٍ لا يخلو من إثارة. آخِر ما تريده أن تكون ابنتها ضعيفة الشخصيَّة مثل تد، لكنها تحتفظ لنفسها بهذا الخاطر.

https://jadidpdf.com

وهكذا تنتهي مكالمة يوم الاثنين.

كانت بيلندا كارلايل قطة تد منذ فطامها، وعندما أدرجاها على عدَّة مواقع إلكترونية لتبنِّي الحيوانات كانت قد صارت قطة عجوزًا... عجوزًا وتُخرج الغازات من بطنها كثيرًا. غالبًا لن يهتمَّ بالأمر سوى الباحثين الطبيِّين. عندما طُرح القتل الرحيم كأفضل خيارٍ لديهما اصطحب تد ريتشل إلى المطبخ وأراها كيس طعام القطط الذي يزن خمسين رطلًا، ولا يزال ممتلئًا حتّى المنتصف أو أكثر بقليل.

قال لها: «امنحيني فرصة حتّى نفاد الطعام المتبقِّي لأجد لها عائلة جديدة ترعاها».

اعتبرتها ريتشل تسوية لا بأس بها، فكلُّ يومٍ يعني أن ينقص طعام القطة مقدار مغرفتين. هكذا أصبح كيس الطعام بمثابة ساعةٍ رمليَّة تُحصي الأيام الأخيرة المتبقية للقطة معهما. على أن ريتشل لم تعد متأكِّدة تمامًا بعد مرور أسبوعين، فكيس الطعام كان لا يزال نصف ممتلئ، وفي الحقيقة كان يبدو أثقل مما كان عندما عقدت اتفاقها مع تد. كانت ترتاب الآن في أن تد يغش، يُهرِّب طعام القطة من مصدرٍ آخر، ولعله يحتفظ بكيسٍ إضافي سرًّا في سيَّارته أو في مكانٍ ما في المرأب. قرَّرت أن تختبر نظريتها، فبدأت تضع حصصًا مضاعَفة للقطة من طعامها عند كلِّ وجبة، وأقنعت نفسها بأنها تُدلِّل القطة ولا تُعجِّل بموتها.

https://jadidpdf.com

كان وعاء طعام القطة يكاد لا يحتوي الطعام الإضافي، لكنها تلتهمه كله على كلِّ حال، وتزداد بدانةً، لكنها لا تقترب من الرحيل على الإطلاق.

وكحكاية الخُبز والأسماك، أو ذلك المصباح في معبد داود، ظلَّ كيس الطعام نصف ممتلئ.

ليست مكالمة ليلة الثلاثاء أفضل بحال. في كلِّ ليلة تتبادل مع تد بعض الأخبار الصغيرة: هو جمع أوراق الأشجار المتساقطة في حديقة البيت مع بداية الخريف، وهي طبَّقت الخطوات الأولية لرسائل الأقمار الصناعية قصيرة الموجة. هو وجد بقَّالًا يبيع أنواع الجُبنة التي تحبُّها، وهي أعادت تنصيب المصفوفة الرقميَّة. تقول إن أورلاندو أسوأ مكان يمكن أن يجد المرء نفسه فيه دون أطفاله.

ران الصمت عندما كفَّت عن الكلام، كأن تد منتبه إلى شيء آخر. تُصغي إلى صوت ضربات أصابعه على لوحة المفاتيح وهو يكتب رسائل ما، ثم يتكلَّم أخيرًا ويقول: «ماذا يحدث عندكِ؟».

يقصد الأصوات. إنهما نزيلا الغرفة المجاورة في وصلةٍ جديدة. في الحقيقة، يبدو أنهما لم يتوقَّفا قطُّ، لدرجة أن ريتشل كانت قد اعتادت صوت أنينهما وصيحاتهما الحادَّة حتّى لم تعد تسمعه أصلًا. لقد استمرَّت الأصوات فترةً شديدة الطول تجعلها تحسب الآن أن فيلم پورنو يجري تصويره في الغرفة المجاورة، فليس هناك أحد غارق في الحب إلى هذا الحد. تشعر بالغيظ من فكرة أن تد كان يُصغي إلى

https://jadidpdf.com

أصوات هذين الغريبين بدلًا من كلامها عن التطوُّرات التي أحرزتها في عملها. يقول تد فيما يدور حجر من الياقوت الأزرق على شاشة التليفزيون: «خذي الهاتف يا إيريل، قولي لماما تُصبِحين على خير».

تحاول ريتشل -كي تسمع جيدًا- أن تحجب الأصوات القادمة من الطريق السريع خارج الموتيل وطنين الثلاجة والألحان الحميمية القادمة عبر الجدار. إنها لم تشرب الكحول منذ ثلاث سنوات، عندما تناولت القليل من شراب الإجنوج المميِّز لأعياد الكريسماس، لكنها تتَّجه الآن إلى الثلاجة الصغيرة وتتفحَّص الرف الذي يحمل الزجاجات الصغيرة، التي يزيد ثمن كلٍّ منها على ثمن القلادة الماس المعروضة على شاشة التليفزيون الآن. ثمَّة عدَّاد تنازلي يقول إن هناك أقل من خمسة آلاف قطعة متبقية فقط. تمزج ريتشل لنفسها -بثمن زوجٍ من الأقراط اللؤلؤ- القليل من الجين والتونيك، وتجرعه دفعة واحدة.

يأتي صوت تد متوسِّلًا مكتومًا من الخلفيَّة: «احكي لماما عن السلاحف التي راقتكِ في حديقة الحيوان».

صمْت، وتشعر ريتشل باحترامٍ لا شكَّ فيه لابنتها لم يسبق أن شعرت به نحو زوجها نفسه.

على العشاء تفتح كيسًا من حبَّات الشوكولاتة من ثلاجة الغرفة، يفوق سعره سعر خاتم الخطبة المعروض على قناة التسوُّق. كلُّ كيس من رقائق البطاطس أو لوح من الحلوى تأكله سيظهر آخر مكانه كما لو بفعل السِّحر.

https://jadidpdf.com

واجهته ريتشل بأمر طعام القطة، لكنه أنكر أنه يغشُّ في الاتفاق المُبرَم بينهما. لم تذكر مسألة الإفراط في إطعام القطة، لكنها أشارت إلى أن خمسة أسابيع كاملة مرَّت والقطة تبدو كبطيخة ترتدي معطفًا من الفراء. الواقع أن ريتشل نفسها ليست آيةً في الرشاقة.

سألته مشيرةً إلى كيس الطعام: «هل تقصد أن هذه معجزة مثلًا؟».

لم يكن من العوامل المساعدة أن السمسار الذي عرض البيت للبيع ذكر لهما أن رائحة غرفة المعيشة سيئة، وأضاف أن السعر الذي يطلبانه يربو على أسعار السوق الحاليَّة بمئتي ألف دولار كاملة.

ولم تكن هرمونات ريتشل من العوامل المساعدة كذلك، وهو ما جعلهما في شجارٍ ونقارٍ معظم الوقت، وطوال الفترة الفاصلة بين عيد الشُّكر والكريسماس كانا يتشاحنان كلَّ يومٍ تقريبًا. في تلك الفترة ارتفع مستوى طعام القطة في الكيس حتّى انسكب منه على أرضية المطبخ، وصارت القطة منتفخة تمامًا، حتّى باتت تستطيع أن تجرَّ نفسها بالكاد على سجَّادة غرفة المعيشة.

وكان هذا عندما اشتعلت النار في بيتهما المبالَغ في ثمنه.

تتَّصل ريتشل -كالعادة- ليلة الأربعاء من أورلاندو وهي تكاد تأمل ألا تتكلَّم إبريل هذه الليلة أيضًا، لأن هذا قد يُثبت أن الفتاة ورثت منها شيئًا من نباهتها. تسأل على سبيل الاختبار: «ألا

https://jadidpdf.com

تحبِّين ماما؟»، وبصوتٍ هامس لا يسمعه سواها تدعو ألا تلتقط الفتاة طُعمًا واضحًا كهذا.

العالم مكان شنيع، وآخِر شيءٍ تريده ريتشل هو ابنة هشَّة طيِّعة كثمرةِ موز ناضجة أكثر من اللازم.

وكأن إيبريل تحتاج إلى مزيدٍ من الامتحان، تقول ريتشل: «ستغنِّي ماما لكِ أغنية قبل النوم».

وتبدأ في دندنة أغنية من أغاني المهد تعرف أنها ستذيب عناد صغيرتها، تدعمها الأنَّات والآهات القادمة عبر الجدار؛ تلك الأصوات عديمة اللغة التي يُصدرها الضُّعفاء رغم إرادتهم. تنوي ريتشل ترديد الأغنية كلها، لكنها تفقد أعصابها عندما تسمع ضحكات تد. الضحكات مرتفعة للغاية، تجعلها تعرف أن البنت وضعت سمَّاعة الهاتف وابتعدت، وأنها كانت تُغنِّي لمطبخٍ خالٍ طيلة الدقائق الماضية.

تبتر الأغنية وتقول محذِّرةً: «ستجعلين ماما تبكي إذا لم تُكلِّميها».

لا يهمُّ ما تقوله ما دام ليس هناك من يسمعها. تتظاهر بأنها تبكي، ثم يتطوَّر تمثيلها إلى نحيبٍ مرتفع، الشيء الذي وجدته أسهل مما توقَّعت.

وعندما تجد أنها لا تستطيع التوقُّف، تضع ريتشل سمَّاعة الهاتف.

https://jadidpdf.com

لم تخترع ريتشل أخطار التوكسوپلازموزيس، بل أجرت بحثًا دقيقًا على الإنترنت جعل حجتها بلا ثغرات. ما تقوله ليس جنونًا. لقد ربط علماء المخ والأعصاب طفيليات التوكسوپلازما جوندي بالانتحار وبدايات الإصابة بانفصام الشخصيَّة، وهو ما يتسبَّب فيه التعرُّض إلى براز القطط. بل إن بعض الدراسات أشار إلى أن تلك الطفيليات تدفع الناس -من خلال مركَّب كيميائي ما تُفرزه- إلى تبنِّي المزيد من القطط. هؤلاء المجانين عشَّاق القطط في الحقيقة مرضى واقعون تحت تأثير غزوٍ من الكائنات وحيدة الخليَّة!

مشكلة شرح الأشياء للأغبياء أنهم لا يعرفون أنهم أغبياء، والشيء نفسه ينطبق على المجانين، وتد هذا وذاك في آنٍ واحد.

في ليلتهما الأخيرة في بيتهما الأول، وكما شرحت ريتشل للشرطة لاحقًا، كانا قد ذهبا لحضور حفلة كريسماس في الحي نفسه. كانا عائدين إلى البيت وقد شربا قدرًا لا بأس به من الإجنوج، وإذ مشيا بتؤدة على الثلج الذي كسا الشوارع، قالت لتد إنه لا ينبغي أن يكون مرهف المشاعر إلى هذا الحد. تكلَّمت ببطءٍ آملةً أن تنفذ كلماتها عبر جمجمته السميكة.

آثار قدميها على الثلج عميقة بسبب الوزن الزائد الذي تحمله في بطنها.

كما حكت ريتشل للشرطة، فقد دخلت البيت المظلم أولًا، ولم تكن قد خلعت معطفها بعد، عندما شعرت بأن الجو داخل البيت شديد البرودة. كانت شجرة الكريسماس تملأ نافذة غرفة

https://jadidpdf.com

المعيشة بالكامل، حاجبةً أيَّ ضوءٍ من الشارع، والحقيقة أن الجميع افترضوا أن المشتبه به الأول هو تلك الشجرة. المشتبه بهم المعتادون هُم الشموع المعطَّرة أو أنوار الزينة سيئة التوصيلات أو مخارج الكهرباء المحمَّلة بتيارٍ زائد. كان رأي تد أنها المكنسة الروبوتية، وراهنَ أنها سخنت أكثر من اللازم، فحدث عُطل ما فيها جعلها تدور كالمجانين في كلِّ أنحاء البيت وهي مليئة بشعر القطة سهل الاشتعال، لتنشر اللهب في كلِّ شيء.

ليلة الخميس في أورلاندو، والمعضلة الأزلية: كلما حاولت ريتشل استعجال عملية تركيب النظام الجديد استغرقت وقتًا أطول. تتصل بهاتفها لتترك رسائل لنفسها: «لا تنسي بيان الجرافكس». تلتقط هاتفها من على الكومودينو المجاور للفراش وتتصفَّح الصور عليه. ليست هناك إلا صورة واحدة لإبريل، وبشكلٍ ما تشعر أن من الخطأ أن تُلتقط صورة لشخصٍ أعمى، كأنك تسرق منه شيئًا قيِّمًا لا يدري أنه يملكه أصلًا. من هذا المنطلق تُدرِّب ريتشل نفسها على ألا تقول أبدًا أشياء على غرار «غروب شمس جميل» أو «انظري إليَّ يا عزيزتي». في حضور إبريل سيكون من القسوة أن تهتف: «يا لها من زهرة رائعة!». كانت هي وتد قد التقيا عبر «موعد غرامي أعمى»، عبارة أخرى صارت تتحاشاها ريتشل تمامًا.

في الفترة الأخيرة بدأت إبريل تُردِّد عباراتٍ من نوع «انظري إليَّ! انظري إليَّ يا ماما! هل تنظرين؟». طبعًا لم تكن إبريل تُدرك

https://jadidpdf.com

معنى ما تقول، لكن هذا هو ديدن الأطفال، المبصر منهم والأعمى. إن جوهر الأبوة والأمومة هو التحوُّل الذي يحدث من كونك الشخص محل المراقَبة إلى الشخص المراقِب.

إنها ليلة الخميس، ومرَّة أخرى ترفض البنت أن تُصدر صوتًا واحدًا. تصيخ ريتشل السمع، تتملَّق البنت وتُغرقها بالوعود إلى أن يلتقط تد منها الهاتف، ويقول إنه آسف ولا يستطيع إجبار البنت على الكلام.

تطلب منه أن يحاول، لكنه موهوب حقًّا في الاستسلام السريع. تقترح أن يُدغدغ البنت كي يجعلها تضحك، وتسأله إن كانت تتأثَّر سريعًا بالدغدغة، فتأتي إجابته الضاحكة، لكن ضحكاته نابعة غالبًا من عدم التصديق: «هل تسألينني إن كانت ابنتكِ تتأثَّر سريعًا بالدغدغة؟ أين كنتِ طوال السنوات الثلاث الماضية؟».

بعد ليلة الحريق لم تقبل ريتشل اللوم إلا على الزر الذي ضغطته. قالت ريتشل إنها، قبل إشعال أنوار غرفة المعيشة، ضبطت مُنظِّم الحرارة ليبثَّ القليل من الدفء في المكان الذي كان شديد البرودة، وفي اللحظة التي أشعلت فيها لهب الغاز في المدفأة بدأ الصراخ. صراخٌ غير أرضي ملأ الحجرات المظلمة كما لو أن شيطانًا قادمًا من أعماق جهنم خرج ليُدمِّر الصمت تدميرًا، وخلال ثوانٍ اشتعلت النيران في البيت كله. اتَّقدت شجرة الكريسماس، واتَّقدت الوسائد السوداء، واتَّقد السجَّاد الأسود، وهرع تد إلى

https://jadidpdf.com

الداخل ليحتوي ريتشل بينما انفجر اللهب البرتقالي في ملاءات الأسِرَّة ومناشف الحمَّام. أفعمت رائحة الدخان والشعر المحترق الهواء، وأضافت أجهزة إنذار الحريق إلى الصخب السائد صخبًا لا يُطاق. لم يجدا وقتًا لإخراج سيارتهما السوداء من المرأب لإنقاذها، قبل أن صار اللهب يُرفرف من جميع نوافذ الطابق العلوي كأعلامٍ ناريَّة. كانا واقفين في الباحة الأمامية المغطَّاة بالثلج عندما ظهرت سيارات المطافئ مُطلقةً أبواقها فجأةً، لكن النار احتوت البيت بالكامل.

في أورلاندو تعصف الأفكار برأسِ ريتشل. ليس من المستبعَد إطلاقًا من تد أن يُخفي عنها خبرًا سيئًا ما، حتّى تعود على الأقل. إذا كانت إيريل في المستشفى، إذا لدغتها نحلة مثلًا وكانت ردة الفعل عنيفة –أو أسوأ– فسيحسب تد أنه يُسديها معروفًا بإحجامه عن إخبارها على الهاتف. هكذا تفتح ريتشل الإنترنت وتبحث عن الحوادث التي تتضمَّن فتياتٍ في الثالثة خلال الأسبوع المنصرم في سياتل، ولهلعها تجد واحدًا بالفعل. طِبقًا للموقع الإخباري، فإن كلب الجيران هاجم بنتًا في الثالثة، وهي الآن في حالةٍ حرجة في المستشفى، لكن الخبر لا يذكر الاسم.

تُصغي ريتشل في تلك الليلة إلى الرسائل الجديدة على الهاتف، وكلها من نفسها إلى نفسها. «تذكَّري: الآثار الثانوية!». كلمتان بأسلوبٍ صارمٍ حاد لم تعد تدري المغزى منها وقت تسجيلها.

https://jadidpdf.com

اضطرت إلى مراجعة رقم الراسل لتتعرَّف نفسها. أهذا هو صوتها حقًّا؟

ظلَّت الفكرة تُثقلها طوال الليل: كم طفلًا يختنق حتّى الموت بعد ابتلاع كرة مطاطية ولا يبلغ الخبر الـ«CNN»؟ تضغط أيقونة «Refresh» مرَّة تلو الأخرى آملةً في تحديثٍ للخبر على موقع سياتل تايمز. أيُّ أمٍّ هي إذا كانت لا تحسُّ بكون طفلتها حيَّة أم ميتة؟

لم يرَ رجال الإطفاء أن الحريق قد شبَّ بفعل فاعل، ليس في البداية على الأقل. لقد جعلهما الحريق من المشاهير، وليس على نحوٍ مُحبَّب، فقد أصبحا دليلًا حيًّا على شيءٍ لا يرغب الناس في تصديق أنه يمكن أن يحدث حقًّا.

تحرَّك رجل الإطفاء عبر الغُرف المتفحِّمة متتبعًا مسار الحريق، الذي بدأ من مدفأة غرفة المعيشة مكوِّنًا حلقةً حول الغرفة، ثم اشتعلت بعدها غرفة الطعام. ثم إنه رسم كروكيًّا سريعًا على ورقة رسم بياني موضِّحًا امتداد الحريق من غرفة الطعام عبر السلالم إلى غرفة النوم الرئيسية والحمَّام في الطابق العلوي.

كان يحمل تحت إبطه شيئًا ملفوفًا بكيس قمامة أسود، وقال لريتشل وتد: «ألعن شيء رأيته على الإطلاق».

وفتح الكيس وتركهما يُلقيان نظرةً على محتوياته. كانت الرائحة شنيعة، مزيجًا من الشعر المحترق والكيماويات.

https://jadidpdf.com

ألقى تد نظرةً واحدةً، ويبدأ يرتجف بعُنف.

ليلة الجمعة في أورلاندو، وريتشل بدأت في التفكير في الاتّصال بالشرطة، لكن ماذا عساها تقول؟

تبحث عن تحديثٍ لخبر البنت التي في الثالثة وفي حالةٍ حرجة في المستشفى، ثم تتّصل بجارةٍ لهم اسمها جوآن. إن بينهما معرفة عابرة قائمة على الكراهية المشتركة لجامعي القمامة. ترفع جوآن السماعة بعد تسع عشرة رنّة، وتسأل ريتشل إن كان تد قد أخرج صفيحة القمامة هذا الأسبوع.

تُصغي ناقلةً الهاتف من أذنٍ إلى أخرى، لكنها لا تسمع شيئًا، ومعظم ما لا تسمعه هو نباح كلب جوآن الذي لا يتوقّف أبدًا.

أخيرًا تقول جوآن: «جمع القمامة الأسبوع القادم يا ريتشل».

صوتها متحفِّظ، وتنطق اسم ريتشل كأنها تُنبِّه أشخاصًا آخرين موجودين إلى محدِّثتها على الهاتف. تسألها عن أورلاندو، وتُنقِّب ريتشل في ذاكرتها عما إذا كانت قد ذكرت الرحلة لها أم لا.

تقول مختبِرةً: «أتمنى أن تد لا يُدلِّل إيبريل أكثر من اللازم في غيابي».

لحظة صمت، لكن أطول من اللازم.

- «إيبريل! ابنتي!».

- «أعرفُ من تكون إيبريل».

https://jadidpdf.com

الآن هناك عصبيَّة في صوت الجارة، ولا تستطيع ريتشل أن تكتم السؤال: «هل عضَّ كلبكِ طفلتي؟».

وينقطع الخط...

على الأقل حلَّ رجال الإطفاء لغز رائحة البيت الكريهة التي تسود كلَّ شتاء. اتَّضح أن القطة كانت تستخدم الجرانيت المسحوق في المدفأة لقضاء حاجتها، وكلما اشتعل لهب المدفأة كانت أرطال وأرطال من فضلات القطة تحترق. قال لها مندوب شركة التأمين إن ما حدث غير مسبوق، ولاحظت ريتشل أنه يكتم ضحكاته بالكاد عندما شرح أن القطة -لا بد- كانت تُفرغ أمعاءها في اللحظة نفسها التي أشعلت فيها ريتشل المدفأة.

إذن كانت بيلندا تقضي حاجتها سرًّا في كهف المدفأة الصغير، ولعلها فضَّلت دفء المصباح السهَّاري المثبَّت إلى المدفأة مع برودة البيت ليلتها. لعلها سمعت طقطقة مشعل المدفأة الكهربي قبل أن ينبثق اللهب من كلِّ اتجاه.

اشتعل الشيطان الصغير المكسو بالشعر فجأةً، فاندفع مُطلقًا صرخاته في كلِّ ركنٍ من البيت ومُشعلًا النار في كلِّ شيءٍ مصنوع من القماش، قبل أن يسقط ميتًا في خزانةٍ مفتوحة في الطابق العلوي تحوي ملابس ريتشل التي استلمتها من التنظيف الجاف مغلَّفةً بالبلاستيك سريع الاشتعال.

https://jadidpdf.com

ليلة الجمعة تتَّصل ريتشل بالبيت ثلاث مرَّاتٍ لكن البريد الصوتي يجيبها في كلِّ مرَّة. تتخيَّل البيت خاليًا. من السهل أن تتصوَّر تد وهو يبكي إلى جوار فراشٍ في مستشفى.

عندما يرفع السمَّاعة أخيرًا تطلب أن تُكلِّم إبريل.

- «إذا كان هذا ما تريدين أيتها الصغيرة، فلا كريسماس، لا احتفال، لا بيتزا حتّى تقولي شيئًا».

تنتظر غير راغبةٍ في أن تكون كلماتها مؤلمة. تعزو مزاجها السيئ إلى شراب الرَّم والكولا الدوبل الذي يربو سعره على إبزيم الحزام الفيروزي المعروض على شاشة التليفزيون.

تقول بتوبيخٍ ساخر محاولة استخلاص أية استجابة: «كانت لديَّ فتاة صغيرة عمياء، لكن عمياء فقط. هل أصبحتِ هيلين كلر الآن؟».

الرَّم هو الذي يتكلَّم الآن، وعلى الشاشة يتألَّق حجر توباز ويدور ببطءٍ والتليفزيون صامت.

مع الصمْت التام تسمع ريتشل صوت أنفاس. إنها لا تتخيَّل. هذه أنفاس إبريل المتلاحقة كأن ذراعيها الصغيرتين المكتنزتين متقاطعتان على صدرها وقد احمرَّ وجهها غضبًا.

مغامِرةً تقول ريتشل: «ماذا تريدين أن أبتاع لكِ عندما أعودُ؟».

لا بأس برشوةٍ تساعد على حِفظ ماء وجه الجميع.

- «ميكي ماوس أم دونالد دك؟».

https://jadidpdf.com

تسمع لهاثًا خافتًا، ثم يتوقَّف صوت الأنفاس للحظةٍ قبل أن يتصاعد صوت عالٍ يصرخ: «دادي! اجذب شعري! دادي! من الخلف!».

هذا ليس صوت إبريل بالطبع، إنهما ضيفا الغرفة المجاورة.

تقول ريتشل بجمود: «ماذا لو استخدمنا لوحًا من الشوكولاتة يزن ألف رطلٍ ومغطى بالآيس كريم؟».

ثم تضغط السمّاعة على صدرها، وتدقُّ بقبضتها على الحائط صائحةً: «ما رأيك أن ينكحكِ مُهر وردي صغير؟!».

على الهاتف تسمع طنين المكنسة الروبوتية (واحدة أخرى بالطبع) وهي تُنظِّف الأرضيات وترتطم بالجدران كحيوانٍ أعمى (هل هناك تشبيه آخر؟).

يجلس تد على مؤخِّرته طول اليوم، لكنه لا يزال يريد الاعتماد على الآلات التي تُوفِّر المجهود. تخيف ريتشل فكرة أن تتعثَّر ريتشل في المكنسة اللعينة، لكن تد يصر على أنها أذكى من الماكينة الرخيصة.

يومض الخاطر في ذهنها فجأة وتوقن من أنه صحيح. حتّى إذا كانت ثملة الآن بعض الشيء، فالفكرة منطقيَّة تمامًا. تد يلومها على ما حدث لقطته. هو ليس شديد الذكاء، لكنه ليس غبيًّا تمامًا. لقد تحيَّن الفرصة المناسبة، والآن ينال انتقامه.

تنتاب صوتها رعشة صغيرة يتسرَّب منها ذعرها كله.

- «إبريل، صغيرتي، هل يؤذيكِ بابا؟».

https://jadidpdf.com

تحاول ألا تسأل، أن تكفَّ عن السؤال، لكن الأمر يشبه محاولة إصلاح بالون بعد انفجاره.

عندما وُلِدَت إبريل كانا قد استقرًّا في بيتٍ صغير يبعد بضعة شوارع عن البيت الذي احترق. أراد تد أن يدفن القطة في فناء البيت الخلفي، لكن رجال الإطفاء لم يُسلِّموه الجثة قطُّ. كان البيت الجديد أقل دراميَّةً، بلا مدفأة مفتوحة أو شطَّاف تشرب منه القطة، لكن ما الفارق في وجود طفلة عمياء؟

كيف لا تتأثَّر ريتشل وقد عاشت ستة شهور مع روث القطة المحترق؟ كما قال طبيب التوليد، فإن تلك الطفيليات السامة تهاجم العصب البصري، لكن ريتشل كانت تعرف أن هناك ما هو أكثر. إنه العقاب. لقد أقسمت ريتشل أنها لم ترَ القطة قبل أن تُشعل لهب المدفأة، وقد تقبَّل تد ما قالته دون نقاش.

أحيانًا ما يربط الكذب بين اثنين متزوِّجين أكثر من أي عهودٍ يتلوانها يوم الزفاف.

ليلة الأحد تتَّصل ريتشل وتصرُّ على أن يسمعها تد.

تُقسم أن المكالمة التالية التي تجريها ستكون للشرطة، وما لم تقل إبريل شيئًا فستُبلغ مكتب حماية الأطفال.

يُطلق زوجها ضحكة مرتبكة.

https://jadidpdf.com

- «ماذا تريدينني أن أفعل؟ أقرصها؟».

اقرصها، نعم. اصفعها على مؤخرتها. اجذب شعرها. أي شيء.

يسألها: «لنكن واضحين. إذا لم أضرب طفلتي، ستُبلغين عني حماية الأطفال؟».

تهز رأسها بقوة وتقول بحزم: «بالضبط».

تراه بعين الخيال يشرب القهوة من الكوب الأسود الذي استنقذه من بقايا الحريق. اللون شديد القبح، لكنه يبدو جديدًا تمامًا.

يأتي صوته محمَّلًا بالسخرية: «ماذا لو لسعتها بسيجارة؟ هل يُرضيكِ هذا؟».

- «استخدم إبرة من عدَّة الخياطة، لكن عقِّمها بالكحول أولًا. إنها لم تتلقَّ تطعيم التيتانوس بعد».

- «لا أصدِّقُ أنكِ جادَّة!».

- «لقد ضقتُ ذرعًا».

تعرف أنها تبدو كالمجانين الآن. لعل الأوان قد فات أصلًا. لعله التوكسوبلازموزيس وقد أصاب مخها بالفعل، لكنها تعرف أنها جادَّة تمامًا.

في الوقت الذي تأخَّرت فيه تسوية التأمين ضد الحرائق كان

https://jadidpdf.com

رجال الإطفاء قد قرَّروا أن الحريق بدأ بفعل فاعل بعد أن كشفت التحاليل عن وجود بقايا مادة كيميائية في شعر القطة، مادة حارقة أبقت القطة مشتعلة طوال هروعها الأخير المفعم بالعذاب. المثير للرِّيبة أكثر أن ريتشل، قبل أسابيع قليلة من الحريق، كانت قد ضاعفت مبلغ بوليصة التأمين، لكن ريتشل لم تتردَّد -رغم وجود رضيعة معلَّقة بثديها- في توكيل محامٍ وأخْذ القضية إلى المحكمة.

ليلة الأحد على الهاتف تقول ريتشل إنها لا تمزح. إما أن يجعل تد ابنتها تُصدر كلمة ما أو صوتًا ما، وإما أن تنتقل المعركة إلى محكمة الأسرة. يبدو لها أن وقتًا طويلًا قد مرَّ، لكن تد يستجيب في النهاية.

يأتي صوته من فمٍ بعيد عن السمَّاعة:

- «إبريل يا صغيرتي، هل تذكرين حقنة الإنفلونزا؟ هل تذكرين الحقنة التي أخذتها كي تستطيعي الذهاب للعب في مخيَّم عيد الفصح؟».

صمْت، وتُغلق ريتشل عينيها محاولةً سماع المزيد. تنهض لتُغلق مكيِّف الهواء، لكن قبل أن تتحرَّك يعود صوت تد: «هلا أحضرت سَّلة الخياطة لبابا؟».

لا تتبيَّن شيئًا يحدث، لكن فم تد يعود إلى السمَّاعة: «هل تشعرين بالرضا؟ هل يُسعدكِ هذا؟».

https://jadidpdf.com

تسمع صوت خطواته تبتعد وهو يقول: «سأحضر الكحول من الحمّام لأعذّب ابنتنا. يمكنكِ أن توقفي هذا في أيِّ لحظة».

لكن ريتشل تعرف أن هذا غير صحيح. لا أحد يستطيع إيقاف أي شيء. نزيلا الغرفة المجاورة سيتناكحان إلى الأبد، القطة المشتعلة ستنطلق كمُذنَّبٍ ناري في كلِّ بيت يعيشون فيه. ليست هناك حلول.

يمرُّ برأسها مرَّة أخرى خاطر أن تد يحاول تعذيبها. إيبريل في غرفتها أو تلعب في الفناء الخلفي، وهو يتظاهر فقط بأنها هناك. من الأسهل أن تبتلع هذا عن فكرة كراهية طفلتها لها.

تقول للهاتف: «أنت لا تفهمني. أريدك أن تؤلمها لتُثبت أنها حيَّة. أريدك أن تؤلمها لتُثبت أنك لا تكرهني».

وقبل أن يبيع التليفزيون ألفًا أخرى من ساعات اليد الماسيَّة تأتي صرخة إيبريل.

ولا تمرُّ لحظة واحدة قبل أن يأتي صوت تد حاملًا اسمها. متقطِّعة الأنفاس هي. أصداء الصرخة تتردَّد في رأسها، وستتردَّد في رأسها إلى الأبد. مواء القطة. صرخة بيلندا كارلايل. الصرخة نفسها التي أطلقتها إيبريل عندما وُلدت.

تقول: «فعلتَها».

يردُّ: «أنتِ صرخت».

تلك لم تكن صرخة ريتشل أو إيبريل، بل صرخة أخرى من

https://jadidpdf.com

الغرفة المجاورة. ملك الشطرنج محاصَر. كيس طعام القطة سيظل نصف ممتلئ دائمًا، وتد سيغش دائمًا.

تطلب منه أن يُعطي الهاتف لإبريل.

- «تأكَّد من أنه موضوع على أذنها، ثم أريدك أن تغادر الغرفة».

تقول ريتشل على الهاتف:

- «أبوكِ لا يفهم. ديونه بضمان ذلك البيت كانت أكبر من قيمة البيت كله، وكان لا بد من أن يتخذ أحدنا القرارات الصعبة».

تشرح لابنتها أن مشكلة الزواج من رعديد غبي كسول أنها قد تظل عالقةً معه بقيَّة حياتها.

- «كان يجب أن أفعل شيئًا. لم أردك أن تولدي ميتة وعمياء!».

لا يهمُّ الآن من يُصغي على الجانب الآخر من الخط، تد أم إبريل. هي فوضى أخرى على ريتشل تنظيفها. تصف كيف ظلَّت كلَّ يوم طيلة أسابيع تضيف سبراي الشعر الرخيص إلى شعر القطة وهي تُمشِّطه. كانت تعرف أنها تقضي حاجتها في المدفأة، وتأمل أن يكفي المصباح السهَّاري. أسرفت ريتشل في إطعام القطة كي تقضي حاجتها أكثر، وأملت أن تتكفَّل الكمية الزائدة من غازات البطن التي تُطلقها بإنهاء الأمر. ريتشل ليست ساديَّة. على العكس، لم تكن لديها رغبة في أن تتعذَّب بيلندا كارلايل. تأكَّدت من وجود بطاريات جديدة في أجهزة إنذار الحريق، وانتظرت.

https://jadidpdf.com

- «أبوك يظنُّ أنه ما دام لون الأطباق أسود فإنها لن تتسخ أبدًا».

في ليلتهما الأخيرة في بيت تد هرعت ريتشل إلى غرفة المعيشة فرارًا من البرد. كانت قد خفضت درجة الحرارة عمدًا قبل أن يغادرا، على أمل أن يكون المصباح السهَّاري مغريًا كفايةً للقطة، وكي تُحكم الفخ دفنت القليل من أسماك التونة وسط الجرانيت المسحوق. في تلك الليلة دخلت الغرفة التي أظلمها ظِل شجرة الكريسماس ولمحت العينين الصفراوين الصغيرتين ترمقانها من المدفأة. كانت ثملة قليلًا، لكنها قالت: «أنا آسفة».

وعلى الهاتف من أورلاندو تقول وهي ثملة تمامًا: «لم أكن آسفة».

ودَّعت ريتشل القطة، وضغطت زر المدفأة، ثم الصرخة المروعة، واللهب يشتعل في ستائر غرفة المعيشة ويمتدُّ إلى الطابق العلوي. في النهاية لم تستطِع شركة التأمين أن تُثبت بشكلٍ بات أن بقايا المادة الكيماوية لم تكن من البلاستيك الذي غلَّف الملابس القادمة من التنظيف الجاف.

تقول قولها هذا وتشعر بأن إبريل أصبحت غريبة عنها، أصبحت شخصًا مستقلًا يجب احترامه ويستحقُّ معرفة الحقيقة. لقد انفصلت إبريل لتصبح كيانًا آخر.

- «تردُّد أبيكِ هو السبب في أنكِ لن تري شروقًا أو غروبًا أبدًا».

صمْت على الجانب الآخر، قد يكون من أيهما أو لا أحد منهما.

https://jadidpdf.com

إذا كانت إبريل، فإنها لن تفهم قبل أن تكبر.

- «لم أختر الزواج من أبيكِ إلا لأنه ضعيف. كنتُ أعرفُ أنني أستطيعُ أن أُسيِّره كما أرغبُ».

تقول إن مشكلة السلبيين أنهم يُجبرونك على التصرُّف، وبعدها يكرهونك ولا يسامحونك أبدًا.

وفي تلك اللحظة، وبمنتهى الوضوح ودون مجالٍ للخطأ، تسمع ريتشل صوت بكاء تد. لم يكن هذا جديدًا عليها، لكن هذه المرَّة يرتفع صوت بكائه ويرتفع، ثم تصحبه صرخة طفلة تتألَّم عبر الهاتف.

لقد نجحت ريتشل، وهو أجبرها وتحكَّم فيها ووجَّهها نحو إيذاء شيءٍ بريء، والآن أصبحا متعادليْن.

لا تزال صرخة طفلتها وبكاء زوجها يبلغان أذنها عبر الهاتف، وكأنها مسلوبة الإرادة تحاول تخيُّل المستقبل وهي ترمق ماسة عملاقة تدور على شاشة التليفزيون، وتهمس: «تُصبِحان على خير».

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*Phoenix*» على موقع «*Fiction DB*» عام ٢٠١٣.

https://jadidpdf.com

# نحن الثلاثة

## *دين ر. كونتز*

### ١

انتهينا -جوناثان وجيسيكا وأنا- من دحرجة أبينا على أرضية حُجرة الطعام، ثم عبر المطبخ الفاخر ذي الطراز الإنجليزي القديم. بشيءٍ من العُسر أخرجناه من الباب الخلفي لأنه كان صُلبًا بعض الشيء، وهذا بالمناسبة ليس تعليقًا على سلوكه أو حالته المزاجية -على الرغم من أنه كان يتحوَّل إلى وغدٍ بارد المشاعر كلما أراد- بل مجرَّد وصف لحالة تيبُّس ما بعد الوفاة التي شدَّت عضلاته وجعلت لحمه أكثر صلابة. لم يعقنا ذلك على كلِّ حال، إذ ظللنا نركله حتّى تقوَّست الجثة من المنتصف فدفعناها عبر إطار الباب، ثم جررناها عبر الشُّرفة ونزلنا بها الدَّرجات الست إلى الحديقة.

قال جوناثان بأنفاسٍ متسارعة وهو يمسح حبَّات العَرق المتكاثفة على جبينه: «إنه يزن طنًّا».

قالت جيسيكا: «ليس طنًّا، بل أقل من مئتي رطل».

https://jadidpdf.com

على الرغم من كوننا توائم ثلاثة نتشابه في أشياء كثيرة على نحوٍ يثير الدهشة، فكلٌّ منا يختلف عن الآخر في حشدٍ من التفاصيل الصغيرة، فعلى سبيل المثال تُعد جيسيكا الأكثر عملية بيننا، في حين يحبُّ جوناثان المبالغة والخيال والاستغراق في أحلام اليقظة، أما أنا فأقع في منطقةٍ وسط بين الطرفين.

عمليٌّ مستغرقٌ في أحلام اليقظة ربما؟

سأل جوناثان وقد تقلّصت ملامحه اشمئزازًا وهو يومئ برأسه نحو الجثة القابعة على العُشب: «والآن ماذا؟».

قالت جيسيكا ببساطة: «نحرقه».

كانت شفتاها الدقيقتان بمثابة خطٍّ مرسوم بالقلم الرصاص على وجهها الجميل، وقد انعكست أشعة شمس الصباح على شعرها الأصفر الطويل لتجعله يتألّق. كان طقس اليوم جميلًا بحق، وهي أجمل ما فيه.

- «نحرقه عن آخره».

- «ألا يجدر بنا أن نسحب أمَّنا من الداخل أيضًا ونحرقهما معًا؟ سيوفِّر هذا علينا عملًا كثيرًا».

- «إذا صنعنا محرقة كبيرة سيتصاعد اللهب عاليًا أكثر من اللازم، ولسنا نريد أن تُمسك شرارة ضالة بالبيت فتأتي عليه النار».

- «بيوت العالم كله متاحة لنا!».

كان جوناثان القائل وقد فرد ذراعيه مشيرًا إلى المتنجع الساحلي

https://jadidpdf.com

حولنا، وولاية ماساشوستس من وراء المتجع، وبقية البلاد من وراء حدود الولاية، والعالم من وراء كلِّ هذا.

ظلَّت جيسيكا تحملق إليه دون رد، فالتفت إليَّ قائلًا: «أليس كذلك يا جيري؟ ألا يمكننا سُكنى أي مكانٍ في العالم؟ أليس من السخف أن نقلق بشأن بيتٍ قديمٍ واحد؟».

غمغمتُ: «هذا صحيح».

قالت جيسيكا بإصرار: «إنني أحب هذا البيت»

ولأن جيسيكا أحبَّت هذا البيت بالذات، فقد وقفنا على بُعد خمسة عشر قدمًا من الجثة الممدَّدة ورمقناها مفكِّرين في اللهب، فاشتعل فيها في غمضة عين. هبَّت النيران من العدم ولفَّت أبانا بدثارٍ برتقالي محمر، ولم يمض وقت طويل قبل أن تستحيل الجثة إلى رماد.

قال جوناثان: «أشعرُ كأن من المفترض أن أكون حزينًا».

كشَّرت جيسيكا في وجهه، فأردف: «لقد كان أبانا».

قالت جيسيكا وهي ترمقنا بقسوةٍ كفيلة بجعلنا نستوعب ما تقوله تمامًا: «نحن أسمى من تلك العواطف الرخيصة. إننا جنس جديد بمشاعر جديدة وسلوكٍ جديد».

غمغم جوناثان باقتناعٍ غير تام: «أظنُّ هذا».

- «والآن لنُحضِر أمَّنا من الداخل».

https://jadidpdf.com

على الرغم من أنها في العاشرة من عمرها فحسب -وأصغر من جوناثان بستِّ دقائق ومني بثلاث- فإن جيسيكا أقوانا، وعادةً ما تفعل ما تريد.

هكذا عُدنا إلى الداخل لنُخرج جثة أمِّنا.

## ٢

كانت الحكومة قد كلَّفت فِرقة مُكوَّنة من دستةٍ من رجال المارينز وثمانية من العملاء ذوي الملابس المدنية بالتمركُز عند بيتنا، وقد زعموا أنهم هنا لحراستنا وحمايتنا من الأذى، لكن السبب الوحيد لوجودهم هنا في الحقيقة كان التأكُّد من بقائنا مسجونين. عندما فرغنا من حرق أمِّنا بدأنا في جرِّ الجثث العشرين الأخرى وحرقها واحدةً تلو الأخرى. كان جوناثان مرهَقًا تمامًا الآن، فجلس بين هيكلين عظميَّين يتصاعد منهما الدخان، ومسح العَرق والرماد عن وجهه قائلًا: «ربما ارتكبنا خطأً كبيرًا».

بنبرةٍ دفاعية ردَّدت جيسيكا: «خطأً؟».

- «ربما لم يكن يجدر بنا أن نقتلهم كلهم».

ضربت جيسيكا الأرض بقدمٍ واحدة فتراقصت حلقات شعرها الذهبية الجميلة.

- «أنتَ أحمق يا جوناثان! تعرف ما كانوا سيفعلونه بنا. حين اكتشفوا مدى تنوُّع قوانا وسرعة اكتسابنا قوى جديدة فهموا أخيرًا الخطر الذي نُمثِّله. كانوا سيقتلوننا».

https://jadidpdf.com

- «كان من الممكن أن نقتل قِلّة منهم فقط لنثبت قوتنا. هل كان من الضروري أن نأتي عليهم جميعًا حقًّا؟».

تنهّدت جيسيكا، وقالت: «اسمع، لقد كانوا كسُكّان الكهوف مقارنةً بنا. إننا جنس جديد بمشاعر جديدة وسلوكٍ جديد، بل إننا الأوائل من نوعنا عبر التاريخ. لكن تذكّر أنهم لم يكونوا بذلك الضعف رغم كلِّ شيء، وكانت فرصتنا الوحيدة أن نتحرَّك دون إنذار، وهذا ما فعلناه».

تطلَّع جوناثان إلى رُقع العشب المحترقة حولنا قائلًا: «سنضطرُّ إلى لقيام بعملٍ كثير للغاية! لقد استغرقنا النهار كله في التخلُّص من هذا العدد القليل، ولن نستطيع تنظيف بقية العالم منهم أبدًا».

- «لن يمضي وقت طويل قبل أن نتعلَّم رفع الأشياء في الهواء. إنني أشعر ببذرة هذه القدرة تتكوَّن في داخلي بالفعل. ومن يدري؟ قد نتعلَّم كيف ننقلهم من مكانٍ إلى آخر بمجرَّد التفكير. سيجعل هذا الأمور أسهل كثيرًا. كما أننا لن نُنظِّف العالم كله بالطبع؛ فقط المناطق التي نرغب في الإقامة بها خلال السنوات القليلة القادمة، وحتّى ذلك الحين سيكون الطقس والفئران قد قاموا بهذا العمل بدلًا منا على كلِّ حال».

غمغم جوناثان: «أظنُّكِ على حق».

كنتُ أعرفُ أن الشكوك لا تزال تخالجه، وأشاركه بعضها كذلك. إننا نحن الثلاثة -من غير ريب- أعلى في سلسلة التطوُّر من كلِّ من جاءوا قبلنا. إننا نقرأ الأفكار ونتنبأ وقادرون على

https://jadidpdf.com

تجارب الخروج من الجسد متى أردنا، ونجيد حيلة النيران هذه، إذ نُحيل طاقة الأفكار إلى جحيم حقيقي متأجِّج. يستطيع جوناثان التحكُّم في تدفُّق التيارات المائية الصغيرة، وهي الموهبة التي يجدها شديدة التسلية كلما حاولتُ أن أتبوَّل، وهو ما أعزوه إلى استمتاعه بالدعابات الطفولية على الرغم من كونه واحدًا من أبناء الجنس الجديد. تستطيع جيسيكا التنبُّؤ بحالة الجو بدِقَّة، وأتمتَّعُ أنا بموهبة التقمُّص العاطفي مع الحيوانات، إذ تأتي إليَّ الكلاب والقطط والطيور وغيرها من الحيوانات الأخرى. طبعًا كل هذا يأتي بالإضافة إلى استطاعة ثلاثتنا إنهاء حياة أي حيوانٍ أو نباتٍ بمجرَّد التفكير في موته، وهو ما فعلناه عندما فكَّرنا في موت بقية البشر جميعًا. إذا وضعنا نظريات داروين في الاعتبار، فلعله كان مقدورنا أن نُدمِّرهم بمجرَّد أن نمت لدينا تلك القدرة. من يدري؟

لكنني -رغم كلِّ شيء- لا أستطيعُ تخليص نفسي من الشكوك..

أشعرُ أننا، بشكلٍ أو آخر، سنُعاني من جرَّاء تدمير الجنس البشري القديم...

- «هذا تفكير متخلِّف».

صدرت العبارة من جيسيكا التي قرأت أفكاري بالطبع. إن مواهبها التخاطُرية لأقوى وأكثر تطوُّرًا مني وجوناثان في آنٍ واحد.

- «موتهم لا يعني شيئًا، ولا يمكننا الشعور بالندم بسببه. إننا البشر الجُدد، بمشاعر جديدة وآمال جديدة وأحلام جديدة وقواعد جديدة».

https://jadidpdf.com

- «بالتأكيد. أنتِ على حق».

### ٣

يوم الأربعاء ذهبنا إلى الشاطئ وأحرقنا جثث المرتادين. إننا نحن الثلاثة نحبُّ البحر، ولا نرغب في أن تمتدَّ الرمال الفاسدة -إثر الجثث المتعفنة- أمامنا. كنا نشعر بالإرهاق، جوناثان وأنا، بعد أن انتهينا، لكن جيسيكا أرادت أن نفعل مثل الكبار.

قال جوناثان: «الأطفال في سنِّنا لا يقدرون على ذلك».

- «لكننا نقدر. وأنا أريدُ هذا، الآن».

هكذا فعلنا مثل الكبار؛ جوناثان وهي أولًا، ثم أنا وهي. كانت تريد المزيد، لكن لا أحد منا كان قادرًا على الانصياع.

تمدَّدت جيسيكا على الشاطئ وجسدها الأبيض النحيف لا يختلف في لونه كثيرًا عن لون الرمال البيضاء، وقالت: «سننتظر إذن».

- «ننتظر ماذا؟».

- «أن تستعدَّا مرَّة أخرى».

### ٤

بعد أربعة أسابيع من نهاية العالم كنتُ وحدي مع جوناثان على الشاطئ نأخذ حمَّام شمس، وقد لاذ هو بالصمت لفترةٍ طويلة، كأني به خائف من أن يفتح فمه ويتكلَّم.

https://jadidpdf.com

أخيرًا قال: «هل تظنُّ أن من الطبيعي لفتاةٍ في سنِّها أن تكون... تكون راغبة طوال الوقت هكذا؟ حتّى إذا كانت من الجنس الجديد؟».

- «لا».

- «إنها تبدو... عازمة».

- «نعم».

- «ثمَّة هدف ما لديها لا نُدركه».

كان على حقٍّ، وكنتُ أشعرُ بهذا أيضًا.

- «هذه مشكلة».

- «ربما».

- «هناك مشكلة في الطريق، أؤكِّدُ لك».

- «ربما. لكن ما نوع المشكلات الذي قد يقع بعد نهاية العالم؟».

٥

كان شهران قد مرَّا على نهاية العالم وحرْق أبوينا عندما صار مَللي وجوناثان من البيت بالغًا ورغبتنا في الخروج واستكشاف مناطق أخرى جديدة شديدة. في هذا الوقت اختارت جيسيكا إطلاعنا على الخبر الكبير.

- «لا يمكننا المغادرة بعد، ولا يمكننا المغادرة قبل شهورٍ طويلة. إنني حامل».

https://jadidpdf.com

٦

أدركنا وجود ذلك الوعي الرابع عندما كانت جيسيكا في شهر الحمل الخامس. يومها استيقظنا كلنا في منتصف الليل غارقين في العَرق شاعرين بالغثيان وقد أحسسنا بوجود هذا الشخص الجديد.

قال جوناثان: «إنه صبي».

قلت وجسدي يرتجف من الوقع النفسي للوافد الجديد: «نعم. ورغم أنه لا يزال في داخلك يا جيسيكا فهو واعٍ. إنه لم يولد بعد لكنه واعٍ تمامًا».

كانت جيسيكا ترتجف ألمًا، وأخذت تنشج بضَعف.

٧

قالت جيسيكا بإصرار: «سنكون والطفل سواسية، ولن يكون أعلى منا، ولا أريدُ أن أسمع مزيدًا من هرائك يا جوناثان».

كانت هي نفسها طفلة، لكن بطنها منتفخة بالطفل الذي تحمله، ومع مرور كل يومٍ يصبح شكلها أغرب.

قال جوناثان: «وكيف تعرفين أنه ليس أعلى منا؟ لا أحد منا يستطيع قراءة أفكاره أو...».

- «الأنواع الجديدة لا تتطوَّر بتلك السرعة».

- «حقًّا؟ وماذا عنا؟».

- «كما أنه مأمون الجانب، فقد جاء منا».

https://jadidpdf.com

يبدو أنها حسبت أن ذِكر هذه الحقيقة يجعل نظرية جوناثان أكذوبة...

- «ونحن جئنا من أبينا وأمّنا، فأين هما الآن؟ ماذا لو لم نكن نحن الجنس الجديد؟ ماذا لو كنا مجرَّد حلقة وسيطة عابرة، مرحلة الشرنقة بين دودة القز والفراشة؟ لعل الطفل هو...».

قاطعته بعنادٍ وهي تُربِّت على بطنها بكلتا يديها: «ليس هناك ما نخشاه من الطفل. وحتّى لو كان ما تقوله صحيحًا، فإنه في حاجةٍ إلينا من أجل استمرار النسل».

- «يحتاج إليكِ أنتِ، وليس إلينا».

جلستُ أستمعُ إلى جدلهما دون أن أدري ماذا أقولُ أو أفكِّرُ. في الحقيقة، وجدتُ في الأمر كله تسلية لا شكَّ فيها على الرغم من المخاوف التي تعتمل في داخلي. حاولتُ أن أجعلهما يريان ما في الأمر من طرافة فقلتُ: «ربما نكون مخطئين في تصوُّر المسألة. ربما كان الطفل هو المجيء الثاني، ذلك الذي كتب عنه ييتس في قصيدته، الوحش الذي يمشي متثاقلًا نحو بيت لحم كي يولد».

لم يضحكا، وقال جوناثان: «لا أطيقُ ييتس هذا أبدًا».

أمّنت جيسيكا على كلامه قائلة: «نعم. إنه حمار كئيب حقًّا. على كلِّ حال، نحن أعلى من تلك الخرافات. إننا البشر الجُدد، بمشاعر جديدة وآمال جديدة وأحلام جديدة وقواعد جديدة».

وقال جوناثان: «هذا تهديد حقيقي يا جيري، ولا مجال للمزاح

https://jadidpdf.com

بشأنه». وشرعا في الشجار وتبادُل الصراخ من جديد، تمامًا كما كان أبونا وأمُّنا يفعلان حين لا يستطيعان تدبير نفقات المنزل. ثمَّة أشياء لا تتغيَّر أبدًا.

## ٨

ظلَّ الوافد الجديد يوقظنا عدة مرَّاتٍ كل ليلة كأنه يستمتع بإقلاق راحتنا. في الشهر السابع من حمل جيسيكا، نحو الفَجر، استيقظ ثلاثتنا فجأةً وقد ضربتنا صاعقة من طاقة الأفكار انصبَّت من الكيان القادم من رَحِمها.

قال جوناثان: «أظنُّ أنني أخطأتُ».

سألته وأنا أراه بالكاد في ظلام الغرفة: «فيم؟».

- «إنها فتاة وليس صبيًّا».

حرَّرتُ عقلي محاولًا التقاط صورة للكائن الذي في بطن جيسيكا، لكنه قاومني بقوة، تمامًا كما قاوم الاتصال العقلي من جوناثان وجيسيكا، وإن كنتُ واثقًا بأنه ذَكر وليس أنثى. اعتدلت جيسيكا جالسة وأسندت ظهرها إلى ظهر الفراش وكلتا يديها على بطنها التي تتحرَّك.

- «كلاكما مخطئ. أظنُّ أنه صبي وبنت في الآن نفسه، وربما لا هذا ولا ذاك».

أشعل جوناثان المصباح المجاور للفراش في البيت الذي على الشاطئ وقال: «ما معنى هذا؟».

https://jadidpdf.com

بدى الألم على وجهها إذ ضربها الكائن من الداخل بقوة، وقالت: «إنني على اتصالٍ به أكثر منكما معًا. إنه ليس مثلنا».

قال جوناثان: «كنتُ على حقٍّ إذن».

لم تُعلِّق جيسيكا، فتابع: «إذا كان ذَكرًا وأنثى في آنٍ واحد، أو ليس من أيٍّ الجنسين، فإنه لا يحتاج إلينا على الإطلاق».

ثم أطفأ المصباح مرَّة أخرى، ولم يكن هناك ما يمكن فعله.

قلتُ: «ربما نستطيع أن نقتله».

ردَّت جيسيكا: «لن نستطيع. إنه قوي للغاية».

قال جوناثان: «رباه! إننا لا نستطيع قراءة أفكاره حتى. إذا كان يستطيع مقاومتنا نحن الثلاثة هكذا، فلا ريب أنه يستطيع حماية نفسه من أيٍّ شيء».

قالت جيسيكا وأصداء المرطقة تتردَّد في الغرفة: «لا تستخدم تلك الكلمة مرَّة أخرى. إنها أدنى منا. نحن الجيل الجديد، بمشاعر جديدة ومعتقدات جديدة وقواعد جديدة».

غمغمتُ:

- «لمدة شهرٍ واحد من الآن على الأكثر».

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*We Three*» في مجموعة «*Strange Highways*» عام ١٩٩٥.

https://jadidpdf.com

# الثَّمن

## *نيل جايمان*

دائمًا يَترُك الصَّعاليك والمتشرِّدون علاماتٍ على أعمدة البوَّابات والأشجار والأبواب، ليَعرِف الآخَرون من نوعهم شيئًا أو بعضَ شيءٍ عن السَّاكنين في البيوت والمَزارع التي يَمُرُّون بها في تِرحالهم، وأعتقدُ أن القِطَط تَترُك علاماتٍ شبيهة بدورها، وإلا فما الذي يأتي بالقِطَط التي نَجِدُها عِند عتبة دارنا طوال العام، وقد جاءتنا شريدةً جائعةً مليئةً بالبراغيث؟

تلك القِطَط نُدخِلها إلى البيت، ونُنظِّفها من البراغيث والقُراد ونُطعِمها، ثم نَأخُذها إلى الطبيب البيطري وندفع ثمن الحُقَن والتَّطعيمات، وفي إهانةٍ وراء إهانةٍ نَطلُب من الطبيب أن يَخصيها.

ثم تظلُّ معنا، شهورًا، أعوامًا، أو للأبد.

إننا نعيش في الرِّيف، على مسافةٍ مُناسِبةٍ من المدينة تُغري سُكَّانها بأن يَهجُروا قِطَطهم بالقُرب منا، وغالبًا ما تجيء القِطَط الجديدة في الصَّيف.

لا يزيد عدد القِطَط لدينا أبدًا على ثمانية، ونادرًا ما يقلُّ عن

https://jadidpdf.com

ثلاثة. في الوقت الحالي يتكوَّن تعداد القِطَط في منزلي من التالي: هرموني الرماديَّة وبود السوداء، الأختين المجنونتين اللتين تعيشان في مكتبي في العُلِّيَّة ولا تَندَمِجان أبدًا، وسنوفليك ذات الشَّعر الأبيض الطويل والعينين الزرقاوين، التي عاشت حياةً بَرِّيَّةً في الغابة القريبة طيلة سنوات، قبل أن تتخلَّى عن تلك الحياة من أجل الأرائك الناعمة والأَسِرَّة الدافئة، وأخيرًا فِربول، أكبر القِطَط حجمًا وابنة سنوفليك، التي تُذكِّرك طباعها بالوسادة وشكلها بصدفة السُّلحفاة، بألوان شَعرها الطويل البرتقاليَّة والسوداء والبيضاء. كنتُ قد عثرتُ عليها ذات يومٍ في المرأب وهي مجرَّد هريرةٍ صغيرة على شفا الموت، وقد كادت تَخنُقها شبكة التنس القديمة التي عَلِقَت بها، ثم فاجأتنا جميعًا بأنها لم تمُت، بل كبُرَت لتُصبِح القِطَّة صاحبة أفضل طباعٍ تعاملتُ معها على الإطلاق.

ثم إن هناك القِط الأسود، الذي لا يحمل اسمًا آخَر باستثناء القِط الأسود، والذي جاءنا منذ نحو شهرٍ مضى. لم نُدرِك في البداية أنه سيبقى معنا، فقد بدا أحسن تغذيةً من أن يكون قِطًّا ضالًّا، وأكبر عُمرًا وأكثر مرحًا من أن يكون أصحابه قد هجروه. كان يبدو كنمرٍ صغير ويتحرَّك كقطعةٍ من الليل المُدْلَهِمّ.

وجدته ذات يومٍ صيفيٍّ كامِنًا في شُرفة البيت الأماميَّة. عُمره ثمانية أو تسعة أعوام -كما خمَّنتُ- ذَكَر، عيناه صفراوان مائلتان إلى الأخضر، ودود جدًّا، غير مُزعِج على الإطلاق. افترضتُ وقتها أنه ملك لبيتٍ أو مَزرعةٍ قريبة.

https://jadidpdf.com

غِبتُ عن المنزل بضعة أسابيع لأَفرُغ من كتابٍ كنتُ أعملُ عليه، وعندما عدتُ وجدتُ القِطَّ لا يزال مقيمًا في الشُّرفة، وقد استقرَّ في سرير قِطَطٍ قديم وجده أحد أطفالي له. لحظتها كدتُ لا أتعرَّفه... كانت رُقَعٌ من شَعره قد غابَت في غير موضع، وثمَّة خدوش عميقة في جِلده الرمادي، وهناك من قضمَ طرف أذنه، وأحدث جُرحًا بليغًا تحت عينه، وشقًّا في واحدةٍ من الشفتين، وقد بدا مُتعَبًا نحيلًا.

أخَذنا القِط الأسود إلى الطبيب البيطري، واشترينا له عددًا من المضادَّات الحيويَّة، أعطيناه إياها كلَّ ليلةٍ مخلوطةً بطعام القِطَط الطري.

تساءلنا مع من كان يتشاجَر... أهي سنوفليك، ملكتنا البيضاء شِبه الضَّارية؟ أهو راكون؟ أو ربما أبوسوم له ذيل جُرذٍ وأنياب ومخالب؟

كانت الخدوش تزداد سوءًا كلَّ ليلة، وفي ليلةٍ تجد كأن هناك من مضغ جانبه مضغًا، وفي الليلة التي تليها بطنه، وقد شاعت فيه آثار المخالب وتضرَّج بالدِّماء.

عندما بلغَت الأمور ذلك الحَد، أخذته إلى القبو ليتعافى إلى جوار الفُرن والصناديق المكوَّمة. أدهشَني أن القِط الأسود كان ثقيل الوزن، وحملته وأخذته إلى أسفل مع سَلَّةٍ للنوم ووعاءٍ للفضلات والقليل من الطعام والماء، ثم أغلقتُ الباب ورائي وذهبتُ لأغسل يدي التي تلوَّثت بالدَّم.

https://jadidpdf.com

ظَلَّ القِط الأسود في القبو أربعة أيام، وفي البداية كَان يبدو أضعف من أن يستطيع إطعام نفسه، وقد جعله الجُرح أسفل عينه شِبه أعور، وكان يَعرُج بوهنٍ وإنهاكٍ والقَيح الأصفر اللَّزِج يَنِزُّ من الشَّق في شفته.

كنتُ أنزلُ إليه كلَّ صباحٍ ومساء لأُطعِمه وأعطيه المضادَّات الحيويَّة المخلوطة بطعامه المعلَّب، وأضع الدهان على الجروح وأتحدَّث إليه. كان مصابًا بالإسهال، ومع أنني كنتُ أغيِّرُ وعاء الفضلات يوميًّا، إلا أن رائحةً كريهةً كالشَّرِّ ظلَّت تفوح في القبو.

الأيام الأربعة التي عاشها القِط الأسود في القبو كانت أيامًا أربعةً سيِّئةً على أسرتي. انزلقَت طفلتي الصغيرة في حوض الاستحمام وصدمَت رأسها وكادت تغرق، وبلغني أن مشروعًا كنتُ أتوقُ لتنفيذه (تحويل رواية «*Lud in the Mist*» لهوب ميرليس إلى مسلسل لحساب الـ«BBC») قد أُلغيَ، وأدركتُ أنني لم أعُد أملك الطاقة الكافية للبدء من جديد وتقديمه إلى شبكةٍ أو وسيلةٍ إعلاميَّةٍ أخرى، فيما غادرَت ابنتي الكُبرى إلى المعسكر الصَّيفي وبدأت في الحال في إرسال طوفانٍ من الرسائل التي تُمزِّق نياط القلوب -خمس أو ست رسائل يوميًّا- تتوسَّل لنا فيها أن نعيدها إلى البيت، وتشاجَر ابني مع صديقه الصَّدوق شجارًا كبيرًا كانت نتيجته قطيعة بينهما، وصدمَت زوجتي في طريق عودتها إلى المنزل ذات ليلةٍ غزالًا وثب فجأةً أمام سيَّارتها، ليموت في الحال مُخلِّفًا السيَّارة غير صالحةٍ للقيادة وزوجتي بجُرحٍ صغير فوق عينها.

https://jadidpdf.com

بحلول اليوم الرابع كان القِط قد بدأ يتحرَّك في القبو بتردُّدٍ لكن بصبرٍ نافِد بين أكوام الكُتب ومجلات الكومكس وصناديق الخطابات وشرائط الكاسِت والصُّور وخلافه، ويموء في وجهي كي أسمح له بالخروج، وعلى مضضٍ فعلتُ.

وعاد القِط إلى الشُّرفة الأماميَّة، ونام هناك بقيَّة اليوم.

وفي الصباح التالي وجدتُ جروحًا عميقة جديدة في جانبيه، بينما غطَّت كُتَلٌ من شَعر القِطَط الأسود -شَعره هو- ألواح الشُّرفة الخشبيَّة.

وصلتنا رسائل من ابنتي في ذلك اليوم، تقول فيها إن المعسكر يبدو أفضل الآن، وإن البقاء بضعة أيام إضافيَّة لن يَقتُلها، وتصالَح ابني مع صديقه، وإن كنتُ لا أدري إن كان موضوع الشِّجار هو تبادُل البطاقات الرياضيَّة أم ألعاب الكومبيوتر أم «*Star Wars*» أم فتاة، ولن أدري أبدًا. في الـ«BBC» اكتشفوا أن الموظَّف الذي رفض مشروع «*Lud in the Mist*» كان يتلقَّى الرشاوي -أو قروضًا مشكوكًا في سلامتها على حدِّ تعبيرهم- من شركة إنتاجٍ مستقلَّةٍ وفُصِل من موقعه، وقد سُرِرتُ عندما جاءني فاكس من خليفته أن عرفتُ أنها السيِّدة التي كانت قد عرضت عليَّ المشروع أصلًا قبل أن تَترُك الـ«BBC» لفترة.

فكَّرتُ في أن أعيد القِط الأسود إلى القبو، لكنني تخلَّيتُ عن الفِكرة وقرَّرتُ بدلًا من هذا أن أحاول اكتشاف ماهية الحيوان الذي يأتي إلى بيتنا كلَّ ليلة، ولربما أضع خُطَّة لاقتناصه.

https://jadidpdf.com

في عيد ميلادي والكريسماس يُهديني أفراد عائلتي أنواعًا من الآلات، عبارة عن ألعاب باهظة الثَّمن تثير خيالي، وإن كنتُ نادرًا ما أُخرِجها من عُلبها في النهاية. هناك مثلًا ماكينة لتجفيف الطعام، وسكِّين كهربائي لتقطيع اللحوم، وماكينة لعمل عجين الخُبز، بالإضافة إلى هديَّة العام الماضي المتمثِّلة في منظارٍ للرؤية الليليَّة. كنتُ قد وضعتُ فيه البطَّاريَّات يوم الكريسماس الماضي ونزلتُ به إلى ظلام القبو، لا أطيق صبرًا حتَّى يأتي المساء كي أجرِّبه، وقد قرَّرتُ أن أتخيَّل أني أتتبَّع سربًا من طيور الزُّرزور في سماء القبو (هناك تحذير من تشغيل المنظار في وجود الضوء، لأن من شأن هذا أن يُتلِفه، وقد يُتلِف عينيك كذلك). بعدها أعدتُ المنظار إلى عُلبته، وهناك ظَلَّ في مكانه في مكتبي إلى جوار صندوقٍ مليء بكابلات الكومبيوتر وقِطَعٍ منسيَّةٍ من أشياءَ ما.

خطر لي أن المخلوق -كلبًا كان أو قِطَّةً أو راكون أو أيَّ حيوانٍ آخَر- لو رآني جالسًا في الشُّرفة فلن يأتي، فوضعتُ مقعدًا في حُجرة المعاطِف -الأكبر قليلًا من مساحة خزانة- التي تُطِلُّ على الشُّرفة، وعندما خلدَ بقيَّة أهل البيت إلى النوم أخيرًا خرجتُ إلى الشُّرفة وتمنَّيتُ للقِطِّ الأسود ليلة سعيدة.

- «هذا القِطُّ... شَخص»، قالتها زوجتي في بداية إقامته معنا، وبالفعل كان شيء ما في وجهه الشبيه بوجه الأسد يُذكِّرك بالبَشَر؛ أنفه الأسود العريض، وعيناه الصفراوان المائلتان إلى الأخضر، وأنيابه البارزة بشكلٍ لا يخلو من لُطفٍ في الآن ذاته (حيث لا يزال القَيح الأصفر المشوَّب بالحُمرة يسيل من يمين الشَّفة السُّفلى).

https://jadidpdf.com

داعبتُ رأسه وحككتُ تحت ذقنه وتمنَّيتُ له الخير، ثم دخلتُ وأطفأتُ ضوء الشُّرفة.

جلستُ في مقعدي في الظلام داخل البيت ومنظار الرؤية الليليَّة في حِجري، ثم شغَّلته لأرى سيَّالًا من الضوء الأخضر أمامي.

ومرَّ الوقت في الظلام...

شغلتُ نفسي بتجربة المنظار في الظلام، أتعلَّمُ كيف أركِّزُ وأرى العالم عبارةً عن درجاتٍ من اللون الأخضر. أصابني الهلع من الأعداد الهائلة من الحشرات الدقيقة التي رأيتها في هواء الليل، كأن عالم الليل في الحقيقة حساء كابوسي تموج فيه حياة كاملة. بعد فترةٍ خفضتُ المنظار وتطلَّعتُ إلى درجات الأسود والأزرق الطبيعيَّة الغني بها الليل الهادئ السَّاكن الخاوي.

مرَّ الوقت وأنا أكافحُ للبقاء مستيقظًا، ووجدتُ نفسي أشعرُ بالحنين للسجائر والقهوة، إدمانَي الضَّائعين. كان أيهما كفيلًا بإبقاء عينَي مفتوحتين. لكن قبل أن أنزلِق إلى أعماق عالم النوم والأحلام جعلني عواء تردَّد فجأةً في الحديقة أنتفضُ بانتباهٍ كامل. وضعتُ المنظار على عينَي بلهفة، لأصاب بخيبة الأمل عندما رأيتُ أنها ليست إلا سنوفليك، القِطَّة البيضاء، تجري عبر الحديقة كقطعةٍ من النور الأبيض الضَّارب إلى الخضرة، ثم تختفي في الغابة يسار البيت.

كنتُ على وشك الاسترخاء في مقعدي من جديد، عندما سألتُ نفسي عن الشيء الذي أفزع سنوفليك أصلًا، وبدأتُ أمسح المنطقة بالمنظار، باحثًا عن راكون ضخم أو كلبٍ أو أبوسوم شَرِس.

https://jadidpdf.com

هناك بالفعل شيءٌ ما يَقتَرِب من البيت، أراه بالمنظار واضحًا كالنَّهار.

كان الشيطان.

لم أكن قد رأيتُ الشيطان من قبل، ورغم أنني تناولته في كتاباتي، فإذا ضغطتَ عليَّ فسأعترف لك بأنني لا أومنُ بوجوده إلا كشخصيَّةٍ خياليَّة ذات طابعٍ ميلتوني مأساوي. الشيء القادم إلى البيت لم يكن لوسيفر الذي كتب عنه جون ميلتون، بل الشيطان.

بدأ قلبي يَدُقُّ في صدري، يَدُقُّ بسرعةٍ وعنفٍ أشعراني بالألم، وتمنَّيتُ ألا يراني في مكاني هذا، متواريًا وراء نافذةٍ زجاجيَّةٍ في بيتٍ مُظلِم. كان الشيء القادم يتذبذب ويتغيَّر وهو يمشي نحو البيت. في لحظةٍ هو ثورٌ مينوتوري أسود، وفي التالية أنثى نحيلة، ثم قِطَّة.. قِطَّة بَرِّيَّة ضخمة شائهة ذات لونٍ أخضرَ رمادي انقلبت سحنتها كراهيةً.

هناك درجات تقود إلى الشُّرفة، أربع درجاتٍ خشبيَّة بيضاء تحتاج إلى طبقةٍ جديدة من الطلاء (كنتُ أعرف أن لونها أبيض، مع أنها تبدو خضراء الآن ككلِّ شيءٍ آخَر). توقَّف الشيطان قبل أول درجةٍ، بعيدًا عني، وصاح بشيءٍ لم أفهمه؛ ثلاث أو أربع كلماتٍ ربما، بلُغَةٍ هي مزيج من العواء والنَّحيب، لا بد أنها انقرضت ومُحِيَت من ذاكرة الأنام عندما كانت بابل لا تزال مدينة شابَّة. لم أفهم حرفًا من تلك اللُّغَة، لكن الشَّعر انتصب على مؤخِّرة عنقي فَرَقًا.

ثم، بصوتٍ جاء مكتومًا من وراء الزجاج لكن مسموعًا مع ذلك، سمعتُ زمجرة خفيضة، زمجرة تحدٍّ... وببطءٍ -ودون ثبات-

https://jadidpdf.com

رأيتُ شبحًا أسود ينزل الدرجات أمام المنزل، بعيدًا عني، نحو الشيطان. الآن لم يَعُد القِط الأسود يتحرَّك كالنمر، بل يتعثَّر ويترنَّح كبحَّارٍ عاد للتوِّ إلى اليابسة.

كان الشيطان امرأةً الآن، قالت شيئًا رقيقًا لطيفًا للقِطِّ بلُغَةٍ بدت لي كالفرنسيَّة، ومدَّت يدها إليه... وغرس القِط أنيابه في ذراعها، واكفهرَّت ملامحها وبصقت عليه. ثم رفعت المرأة عينيها نحوي... ولو كان في قلبي شكٌّ في أن هذا هو الشيطان قبلها، فقد صِرتُ موقنًا من هذا الآن. كانت عيناها تتألَّقان بنارٍ حمراء، لكنك لا ترى اللون الأحمر بمنظار الرؤية الليليَّة، بل درجات من الأخضر فقط.

ورآني الشيطان جالسًا وراء النافذة... رآني... لا شكَّ في هذا على الإطلاق.

تموَّج الشيطان، وبدا كابن آوى، مخلوقًا مسطَّح الوجه عظيم الرأس له رقبة كرقبة ثور، هجينًا من الضِّباع وكلاب الدينجو الوحشيَّة، وكان فروه الأجرب يجيش بالحشرات، وبدأ يصعد السلالم.

ووثب القِط الأسود عليه، وفي ثوانٍ كانا عبارة عن شيءٍ مُلْتَفٍّ مُلْتَوٍ يدور أمامي بسرعةٍ لا يقدر بصري على ملاحَقتها.

وكلُّ هذا في صمتٍ تام.

ثم يأتي هديرٌ خفيض من على الطريق الريفي الذي يتفرَّع منه طريق بيتنا، ومِن بُعدٍ تحرَّكت شاحنة كبيرة بتثاقُل وضوء مصباحيها الأماميَّيْن الساطع يحترق كشموسٍ خضراء، فخفضتُ المنظار لأرى

https://jadidpdf.com

الظلام وضوء مصباحين أصفرَ هادئًا، ثم ضوء المصباحين الخلفيَّين الأحمر الخافِت، قبل أن تغيب الشاحنة مرَّة أخرى في العدم.

حين رفعتُ المنظار إلى عينَي من جديد لم يكن هناك ما يُرى؛ فقط القِط الأسود الجالس على السلالم يُحدِّق إلى الهواء. رفعتُ المنظار إلى أعلى، ورأيتُ شيئًا -نسرًا ربما- يُحلِّق بعيدًا قبل أن يغيب وراء الأشجار.

خرجتُ إلى الشُّرفة وحملتُ القِط الأسود وربَّتُّ عليه وقلتُ له أشياءَ رقيقة لطيفة. ماءَ على نحوٍ يثير الشفقة عندما دنوتُ منه، لكنه غاب في النوم في حِجري بعد قليل. فوضعته في سلَّته وصعدتُ إلى فراشي لأنام بدوري. وفي الصباح التالي وجدتُ دمًّا جافًّا على قميصي وسروالي.

كان هذا منذ أسبوع.

الشيء الذي يأتي إلى منزلي لا يأتي كلَّ ليلة، لكنه يأتي في معظم الليالي. نعرف هذا من الجروح الجديدة التي يصاب بها القِط ونظرات الألم في هاتين العينين الأسديَّتين. لقد فقد القدرة على استخدام قائمته الأماميَّة اليُسرى، وانغلقت عينه اليُمنى إلى الأبد.

أتساءلُ عما فعلناه لنستحقَّ القِط الأسود... أتساءلُ مَن أرسله... وبكلِّ أنانيةٍ وخوفٍ أتساءلُ... إلى متى سيستطيع الصُّمود؟

---

نُشرت المجموعة بعنوان «*The Price*» في مجموعة «*Smoke and Mirrors*» عام ١٩٩٨.

https://jadidpdf.com

# الحَجر

## *إرنستو تشي جيفارا*

أبلغَني الخبر بالأسلوب الذي ينبغي استخدامه حينما تُبلِغ رجلًا قويًّا خبرًا مماثلًا، وهو ما أشعرَني بالامتنان، فلم يُخفِ اهتمامه أو انزعاجه، كما لم أحاول إخفاء إحساسي بهما. كان الأمر بهذه البساطة!

ثم إنه كان عليَّ أن أنتظر تأكيدًا حتّى أستطيع أن أندبها بشكلٍ لائق، على الرغم من أنني تساءلتُ إن كان يُمكنني أن أبكي ولو قليلًا. لكن لا، لم أكن أقدرُ، فلا يجوز للقائد أن تكون له مشاعر شخصيَّة. ليست المسألة أن المشاعر الشخصيَّة محرَّمة عليه، وإنما لا يَجدُر به أن يبوح بها كما يفعل جنوده.

- «صديق للعائلة هو من اتَّصل قائلًا إن حالتها حرجة».

- «حرجة... تعني أنها تُحتضَر؟».

- «نعم».

- «تأكَّد من إبلاغي إذا سمعت شيئًا آخَر».

https://jadidpdf.com

- «بمجرَّد أن أعرف المزيد... لكني لا أظنُّ أن هناك أملًا».

غادرَ رسول الموت وما زلتُ لم أتأكَّد، ولم تكن بيدي حيلة غير الانتظار. فكَّرتُ أنني سوف أقرِّرُ -حين يُصبح الخبر رسميًّا- إن كان لديَّ الحق في أن أبدي حُزني، ووجدتُ نفسي ميَّالةً إلى عدم إبدائه.

هاجَت خيوط أشعَّة الشمس قطرات المطر المنهمر، الشيء الخالي من الغرابة، فالأمطار تَسقُط كلَّ يومٍ ثم تتصدَّر الشمس السماء، فتُشعِرنا بوجودها وتَطرُد الرطوبة. عندما يحلُّ الأصيل سيبدو الجدول كالبلَّور ثانيةً، على الرغم من أن مطرًا كثيرًا لم يَسقُط يومها على الجبال، وهذا عاديٌّ تمامًا.

- «قالوا إن الأمطار توقَّفت يوم ٢٠ مايو، ولن تَسقُط ثانيةً قبل أكتوبر».

- «هذا ما قالوه... لكنهم يقولون أشياء كثيرة غير صحيحة».

هل تلتزم الطبيعة التقويم؟ لا أعبأ إن كانت تفعل ذلك أو لا تفعله، وبشكلٍ عام لا أبالي كثيرًا بأيِّ شيءٍ على الإطلاق... هذا التلكُّؤ الإجباري، وهذه الحرب الحمقاء التي لا طائل منها... حسن، قد يكون هناك طائل ما، لكنه مبهَم للغاية، ضبابي للغاية، وأيًّا كانت أهداف الحرب، فإنها تبدو مستحيلة التحقيق، كجحيمٍ سيريالي تتعذَّب فيه ضجرًا إلى أبد الآبدين، لكنها مهمَّة لي، مهمَّة بكلِّ تأكيد.

https://jadidpdf.com

قلتُ لنفسي إن عليَّ أن أجد وسيلةً للخروج من هذه الحالة. من السهل أن تشغل عقلك بالتدبُّر؛ تضع ألف خُطَّةٍ كلٌّ منها تُغري بالتَّجربة كالأخرى، ثُمَّ تنتقي أفضل اثنتين أو ثلاث منها وتبسِّطها، ومن ثَمَّ تضعها على الورق وتشرحها. هذا كلُّ ما هنالك، وبعدها تبدأ من جديد. أمَّا الوسيلة التي يستخدمها رجالي فعبارة عن صورةٍ بارعة من البيروقراطيَّة، فهُم لا ينظِّمون أيَّ أوراق، بل يتخلَّصون منها، يقولون إنهم يدخِّنونها. من الممكن تدخين أيِّ ورقةٍ ما دامَ هناك شيء ما ملفوف فيها.

يُحسب لهذه التأمُّلات أن من الممكن تغيير ما لا يروقني عند وضع الخطَّة التالية ولن يُلاحِظ أحد، حتّى بدا لي كأن التخطيط وحده من الممكن أن يستمرَّ إلى الأبد.

شعرتُ برغبةٍ في التدخين، فأخرجتُ غليوني من مكانه المعتاد في جيبي، فلم أكن -على عكس جنودي- قد فقدته. كان مهمًّا لأقصى درجةٍ أن أظلَّ محتفظًا به، فالمرء يستطيع أن يرتحل أيَّ مسافةٍ مهما طالَت والدُّخان رفيقه على الطريق. من الممكن أن ترسم الخُطط وتتخيَّل النصر دون أن يبدو كلُّ هذا كأنه حُلم، بل بالأحرى كواقعٍ تكتنفه غشاوة المسافة وخيوط الدُّخان. الغليون رفيق طريقٍ طيِّب حقًّا، فكيف فقدوا شيئًا بهذه الأهميَّة؟ يا لهم من حمقى!

إنهم ليسوا حمقى في واقع الأمر، فقد أدَّوا عملهم ويَشعُرون بالإرهاق، وهكذا لم يعد عليهم التفكير، وما فائدة الغليون إن لم تكن التفكير؟ يُمكنك أن تَحلُم، نعم، يُمكنك أن تَحلُم. الغليون

https://jadidpdf.com

مهم جدًّا عندما تستغرق في أحلامك البعيدة، تَحلُم بمستقبلٍ لا سبيل إليه إلا الدُّخان، أو بماضٍ سحيق يُجبِرك على أن تقتفي آثارك عودةً إليه. جنودي فقدوا غلايينهم لأنها لم تكن ضروريَّةً لهم، فالأشياء المهمَّة لا تضيع.

هل أملكُ شيئًا آخَر كالغليون؟ آه، الوشاح المصنوع من الشاش... لكنه يختلف. لقد أعطَتني إياه تحسُّبًا لأن أصاب في ذراعي، وفي تلك الحالة أستخدمه كمعلاقٍ له قيمة عاطفيَّة. المشكلة أن تنكسر جُمجمتي، لكن الحلَّ سيكون أبسط حينئذٍ، إذ يُلَفُّ الوشاح حول رأسي لربط فكِّي، وهكذا آخذه معي إلى القبر. وشاحي المخلص حتّى الموت. لكن إذا تُرِكتُ ملقًى على جانب الجبل، أو إذا رفعَ جثَّتي أحد آخَر ليس من رجالي، فلن يصحبني الوشاح الشاش. ستتحلَّل جثَّتي على العُشب أو ربما يعرضونها على الملأ، بل وقد أظهر حتّى في مجلَّة «لايف» وقد تجلَّى الخوف البالغ في نظرة عينيَّ اليائسة لحظة الموت. كلنا خائفون، فلِمَ أنكرُ هذا؟

تتبَّعتُ الآثار القديمة وسط الدُّخان وانغمستُ في أكثر جوانب مخاوفي حميميَّةً، المخاوف التي لطالما ارتبطَت بالموت، ذلك العدم المحيِّر الغامض، غامض مهما وصفناه كماركسيِّين لينينيِّين -عن اقتناع- بأنه مجرَّد عدم. وما العدم؟ إنه اللاشيء. أبسط التفسيرات وأكثرها إقناعًا على الإطلاق، العدم هو اللاشيء. أغلِق عقلك وسربِله بثوبٍ أسود وزيِّن السَّماء بنجومٍ بعيدة إذا أردت. هذا هو العدم، لا شيء، معادل الأبديَّة.

https://jadidpdf.com

لا يظلُّ أحد حيًّا إلّا من خلال جنسه، عبر التاريخ، تلك الصورة الغامضة من الحياة، في الأفعال والذكريات. هل شعرت من قبل بالقشعريرة تسري على عمودك الفقري وأنت تقرأ عن آنتونيو ماسيو(*) وهو يشنُّ هجماته حاملًا منجله؟ هذه هي الحياة بعد العدم. وماذا عن أولادنا؟ لستُ أرغب في أن أواصل الحياة من خلال أولادي، فهُم لا يعرفونني حتى، وبالنسبة إليهم أنا مجرَّد كيان غريب يُقلِق حياتهم الهادئة بين الحين والآخَر، يحول بينهم وبين أمِّهم.

أتخيَّلُ ابنتي الكبرى -التي وخطَ الشَّيب شعرها بالفعل- وهي تقول: «لم يكن أبوك ليفعل هذا أو ذاك...». في أعماق نفسي، وأنا ابن أبي، أشعرُ بقدرٍ هائلٍ من التمرُّد، وحين كنتُ ابنه لم أعلم إن كان صحيحًا أم لا أني لم أكن لأفعلُ هذا الشيء أو ذاك عندما أصبح أبًا، أو أفعله ولكن بأسلوبٍ خاطئ. وعلى الرغم من ذلك، لمَّا كنتُ ابنًا، كنتُ أشعرُ دائمًا بالضِّيق من ملاحَقة تلك الذِّكرى إياي طيلة الوقت وأنا أب. كان على ابني أن يُصبح رجلًا لا أكثر، ليس أفضل مني أو أسوأ، مجرَّد رجل. إنني ممتنٌّ لأبي لأنه كان يُبدي عاطفته بشكلٍ جميل يخلو من الاعتقاد بأنه أقوم أخلاقًا من الآخَرين.

ظللتُ أقطع درب الدُّخان هكذا فترةً، حتّى قاطعَني أحد جنودي وقد بدا عليه السرور لأنه يقوم بعملٍ مفيد.

---

(*) مناضل كوبي حاربَ ضد الإسبان. (المترجم)

https://jadidpdf.com

قال: «هل فقدت شيئًا؟».

أجبتُ: «لا، لا شيء»، رابطًا هذا اللاشيء بالخواطر التي كانت تدور بخلدي.

- «تأكَّد».

تفحَّصتُ جيوبي ووجدتُ كلَّ شيءٍ في مكانه، فكرَّرت: «لا شيء».

- «وهذا الحَجر الصغير؟ لقد رأيته في حلقة مفاتيحك».

- «فلتحلَّ بي اللعنة!».

اعتراني إحساس عنيف بتأنيب النفس. المرء لا يفقد شيئًا مهمًّا، شيئًا ضروريًّا. هل يظلُّ الكائن الحيُّ حيًّا عندما لا تعود الأشياء ضروريَّةً؟ قد يكون هذا صحيحًا مع الخضراوات، لكن ليس مع الكائنات العاقلة... على الأقل لا أظنُّ هذا.

شعرتُ ببرودة الذكريات تسري في جسدي، ووجدتُ نفسي أنقِّبُ في جيوبي بمنتهى الدقَّة والعناية بينها تتدفَّق المياه مارَّةً بي وقد صبغَتها تُربة الجبل بلونٍ داكن فأخفَت أسرارها عني. الغليون -الغليون أولًا بالطبع- كان موجودًا، أمَّا الأوراق والوشاح فقد كانت المياه لتجرفها معها. جهاز الاستنشاق موجود، والأقلام، والمفكِّرات في أغلفتها النيلون، نعم، ودفتر الثُّقاب كذلك. وجدتُ كلَّ شيءٍ في مكانه وتسرَّبت مني البرودة.

لم أحضر معي إلى المعركة إلَّا تذكارين صغيرين، الوشاح

https://jadidpdf.com

الشاش الذي أعطَتني زوجتي إياه، وحلقة المفاتيح المزيَّنة بالحَجر الصغير من أمِّي، وكانت شيئًا تقليديًا رخيص الثمن للغاية. كان الحَجر قد انفكَّ من الحلقة فاحتفظتُ به في جيبي.

هل يتدفَّق هذا الجدول بالرَّحمة أم النِّقمة، أم أن لا مشاعر له كما ينبغي للقائد أن يكون؟ ألا يبكي المرء لأنه لا يَجدُر به أن يبكي أم لأنه عاجز عن البكاء؟ ألا نملك الحق في النسيان حتّى في خضم الحرب؟ أمن الضروري أن يتنكَّر عدم الإحساس بشيء في صورة القوَّة الذكوريَّة؟

لا أدري، حقًّا لا أدري. كلُّ ما أعرفه أني أشعرُ بحاجةٍ في خلاياي إلى أن تكون أمِّي هنا الآن كي أريح رأسي في حِجرها العجوز، أحتاجُ إلى أن أسمعها تُناديني بـ«صغيري الحبيب» بلهجتها العَطوف، أن أحسَّ بحركة يدها الخرقاء إذ تتخلَّل شَعري، تربِّت عليه مرارًا كأنها تسوِّي دميةً من القماش، والحنان يسيل من نظراتها ونبرتها الخفيضة. ترتجف يداها وهي تتحسَّسني أكثر مما تربِّت عليَّ، لكن تظل الرقَّة تنهمر منهما، فأشعرُ بأني في خير حال، بأني صغير للغاية، قوي للغاية. لا حاجة إلى أن أطلب منها المغفرة، فهي تتفهَّم كلَّ شيء كما يلوح دومًا عندما تُناديني بصغيرها الحبيب.

- «هل تعتقد أن التبغ أقوى من اللازم؟ لقد أثَّر عليَّ أيضًا. بالأمس كدتُ أسقطُ عندما حاولتُ أن أنهض. لا بدَّ أنهم لم يجفِّفوه كما يجب».

- «نعم، إنه أسوأ من الخراء. أنتظرُ أن يصل الطَّلب لأرى أن

https://jadidpdf.com

كانوا قد أرسَلوا تبغًا أفضل هذه المرَّة. من حقِّ المرء أن يدخِّن، حتّى إذا دخَّن غليونًا تبغه خفيف طيِّب المذاق، أليس كذلك؟».

---

واحدة من عدد كبير من القصص القصيرة التي كتبَها تشي لزوجته آليدا مارش في عام ١٩٦٥ في أثناء وجوده في الكونجو، بعدما وصلَه خبر وفاة أمّه فتخيَّل موته هو، ومنشورة في كتاب «*Remembering Che*» لآليدا مارش الصادر عام ٢٠١٢.

https://jadidpdf.com

# كنّاس الأحلام

## *نيل جايمان*

بعد أن تنتهي الأحلام تمامًا، وبعد أن تستيقظ مغادِرًا عالَم الجنون والمجد إلى المطحنة اليوميَّة التقليديَّة التي يُنيرها النهار، يمشي كنَّاس الأحلام وسط أطلال خيالك المهجورة.

مَن يدري ماذا كان لمَّا كان حيًّا؟ بل مَن يدري إن كان قد عاشَ؟

المؤكَّد أنه لن يجيب عن أسئلتك. لا يستخدم الكنَّاس صوته الأجشَّ الكئيبَ إلا نادرًا، وحين يفعل تجده يتكلَّم في الغالب عن الطقس، أو عن التوقُّعات الخاصَّة ببعض الفِرَق الرياضية وهزائمها وانتصاراتها. إنه يحتقر كلَّ من هُم سواه.

يأتيك كنَّاس الأحلام حالما تستيقظ؛ يكنس الممالك والقلاع، والملائكة والبوم، والجبال والمحيطات. يكنس الشَّهوة والحب والعُشَّاق، والحكماء الذين ليسوا فراشات، والزهور التي تنبت من اللحم، والغزلان الهاربة، والسفينة لوسيتانيا الغارقة.

يكنس كلَّ شيء تركته وراءك في أحلامك؛ الحياة التي تلحَّفت

https://jadidpdf.com

بها، الأعيُن التي نظرت من خلالها، ورقة الامتحان التي لم تَعثُر عليها قَط.

يكنس كلَّ شيءٍ فلا يترك شيئًا؛ المرأة ذات الأسنان الحادَّة التي غرسَت أنيابها في وجهك، الراهبات في الغابة، الذراع الميتة التي كسرَتها مياه الاستحمام الفاترة، الديدان القِرمِزيَّة التي زحفت متواريةً داخل صدرك عندما فتحت قميصك.

يكنس كلَّ شيءٍ تركته في الحُلم عندما استيقظت، ثم يحرقه كي يترك المسرح نظيفًا من أجل أحلام الغد.

عامِله جيدًا إذا رأيته، وكُن مهذَّبًا معه، ولا تسأله أيَّ أسئلة. هلِّل لانتصارات الفِرَق التي يُشَجِّعها، وواسِه عندما تنهزم، واتفق معه على حالة الطقس.

أعطِه الاحترام الذي يرى أنه يستحقُّه.

ذلك أن هناك أناسًا لم يَعُد يزورهم كنَّاس الأحلام بسجائره التي يلفُّها بيده ووشم التِّنِّين على جِلده. لا بُدَّ أنك رأيتهم.

إن لهم أفواهًا ترتعش، وأعيُنًا تُحَملِق، ويتمتمون وينشجون ويئنُّون. يمشي بعضهم في شوارع المدن يرتدي أسمالًا، وقد دَسَّ كلَّ ما يملك من حطام الدنيا تحت ذراعه، والآخرون محبوسون في الظلام في أماكن لا يستطيعون فيها أن يُنزِلوا الأذى بأنفسهم أو غيرهم.

إنهم ليسوا مجانين. بالأحرى، فُقدانهم عقولهم أقلُّ مشاكلهم.

https://jadidpdf.com

ما هُم فيه أسوأ من الجنون، وإذا سألتهم عمن يكونون، سيقولون إنهم الذين يعيشون -كلَّ يومٍ- في خرائب أحلامهم.

فإذا تركك كنَّاس الأحلام، فإنه لن يعود إليك أبدًا.

---

نُشرت القصّة بعنوان «*The Sweeper of Dreams*» في مجموعة «*Fragile Things*» عام ٢٠٠٦.

https://jadidpdf.com

# الحب الحقيقي

## *آلكس شفارتسمان*

قالت هيلين الطروادية: «لم يكن الأمر كما توقَّعتُ على الإطلاق».

هزَّ الرجل الجالس وراء المكتب رأسه وقد رسم على وجهه تعبيرًا من التعاطُف العملي.

- «لم تكن هناك قصَّة حُبٍّ ملحمية أو غرام أسطوري».

كانت هيلين تتكلَّم، لكنها ليست هيلين، بل مولي. هي مولي، لكن من الصعب عليها أن تكفَّ عن اعتبار نفسها هيلين بعد قضاء ما شعرت كأنه أعوام طوال في رأس المرأة الأخرى، هيلين الحقيقية.

- «كل شيءٍ كان متسخًا متهدمًا، وليست لديهم سِباكة حتى. وباريس هذا شعر بأنّه ملَّ المعركة كلها بعد بضعة أسابيع، وقضيتُ أنا دهرًا حبيسة في غرفةٍ ضئيلة أكادُ أجنُّ مللًا».

- «لم يكن باريس واقعًا في الحُبِّ إذن؟».

كان الرجل الجالس وراء المكتب يرتدي اليونيفورم ذا اللونين

https://jadidpdf.com

الأبيض والأرجواني المميَّز لشركة «رحلات عبر الزمن، المحدودة»، وقالت البطاقة المثبَّتة على صدره إن اسمه ترافيس.

قالت مولي: «لم يكن واقعًا في حُبِّ هيلين على الأقل، وأظنُّ بشدَّةٍ أنه كان مهتمًّا أكثر بإينياس».

علَّق ترافيس: «هذا مؤسف. لكن نادرًا ما يتفق التاريخ الحقيقي مع ما سجَّله من سبقونا وتناقلوه عبر العصور، والأحداث تصبح أكثر أناقةً وتهذيبًا كلما حُكيت مرَّة بعد مرَّة».

- «لن أستسلم لمجرَّد أن هناك من بالغ في وصف باريس. ثمَّة حكايات أخرى عن الحُبِّ الحقيقي عبر التاريخ، الحُبِّ الخالص الذي لا ترى مثيلاً له في أيامنا هذه، وأنا عازمة على أن أختبره بنفسي».

عادت مولي في الأسبوع التالي بالإصرار ذاته، وجاء ترافيس -الذي لمحها تدخل المكتب- ليُلقي التحية ويُدرج طلبها، ثم ساعدها على الاسترخاء في المقعد الوثير. لكن، قبل أن تنتهي المدَّة التي طلبتها، فصلت مولي الكابلات الزمانية عن رأسها ونهضت وقد تصدَّر العبوس ملامحها.

سألها ترافيس: «لا حب حقيقيًّا هذه المرة أيضًا؟».

أجابت مرتجفة: «ولا حتَّى من بعيد. قيصر كان عجوزًا شرهًا منغمسًا في الشهوات، وكليوباترا لم تعتبر زواجها إلا مجرَّد مصلحة

https://jadidpdf.com

سياسية. أما مارك آنتوني فكان أسوأ. كلما لا يمضي شيء طبقًا لهواه كان يُفرغ غضبه فيَّ... أقصد فيها».

قال ترافيس بنبرة تعاطفٍ حقيقي: «هذا شنيع. وهل استخدمت ثعبانًا سامًّا في النهاية فعلاً؟».

- «لا أدري. لقد فصلت الاتصال قبل أن...»، ثم بدا أنها شردت قليلًا قبل أن تستعيد تركيزها وتواصل: «أتدري الجزء الأسوأ على الإطلاق؟ كان آنتوني يضربها وهي مستسلمة له تمامًا، ولم يكن هناك شيء يمكنني فعله مهما حاولتُ».

تنهَّد ترافيس قائلًا: «إنها فيزياء الزمن. لا يمكننا أن نكون إلا متفرِّجين على الماضي، مسافرين عابرين ليس باستطاعتهم التأثير في الأحداث بأي شكل».

قالت عاقدةً ذراعيها على صدرها: «أتساءلُ كيف سيكون رد فعل كليوباترا وغيرها إذا عرفوا أن هناك عشرات الآلاف من السائحين الزمنيِّين يجوبون عقولهم مطَّلعين على أكثر لحظاتهم خصوصية وحميمية».

قال ترافيس: «لعلَّ الأفضل أنهم لم يعرفوا قطُّ. ومن يدري؟ قد يكون هناك عملاء مستقبليُّون لشركتنا في عقولنا في هذه اللحظة بالذات».

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*True Love*» على موقع «*Daily Science Fiction*» عام ٢٠١٣.

https://jadidpdf.com

# ذِكرى

## *هـ. پ. لاڤكرافت*

القمر الذَّميم يُلقي ضوءًا ضعيفًا شاحبًا على وادي نيس، مُستخدِمًا قرنين واهنين ليُمزِّق طريقًا له عبر الأوراق الميتة لأشجار الأوپاس الضخمة، وفي أعماق الوادي -التي لا يبلغها الضوء أبدًا- تتحرَّك أشياء ليس من الحري بأيِّ عينٍ أن تلمحها. كريهة رائحة الكَلَأ الذي يفترش كلَّ منحدَر، حيث تنسلُّ فروع الكروم الشرِّيرة والنباتات المتسلِّقة بين خرائب القصور العتيقة، وتتشابك بقوَّةٍ حول الأعمدة المكسورة والتكوينات الغريبة، ثم تنتشر على أرصفةٍ من الرخام مَدَّتها أيادٍ منسيَّة. على الأشجار التي نمت في قلب السَّاحات البالية تتقافز قِرَدة صغيرة، وداخل خزائن الكنوز العميقة وخارجها تتلوَّى أفاعٍ سامَّة وكائنات حَرْشَفيَّة ليس لها اسم. ضخمة الحجارة التي تنام تحت غطاءٍ من الطحالب الرَّطِبة، وعظيمة كانت الجدران التي سقطت منها، والآن يتَّخذ العلجوم الرمادي من باطنها سَكَنًا.

في قاع الوادي يجري نهر اسمه ثان، مياهه لزجة قذرة مليئة

https://jadidpdf.com

بالحشائش، من منابع خفيَّةٍ يخرج وإلى كهوفٍ حالكةٍ يجري، لكن حتّى شيطان الوادي لا يدري سبب حُمرة مياهه ولا أين يصبُّها.

وحدَّث الجني الذي يسكن أشعَّة القمر شيطان الوادي سائلاً: «إنني عجوز وكثير النسيان، فاحكِ لي عن مآثر وسيماء وأسماء أولئك الذين شيَّدوا تلك الأحجار».

فأجاب الشيطان: «أنا الذِّكرى، حافِظ معارف الماضي، لكني أيضًا عجوز. كانت تلك المخلوقات تمامًا كمياه ثان، لا يمكن فهمها أبدًا. مآثرهم لا أذكرها، لأنها كانت مآثر زمانهم وحده. سيماؤهم أذكرها بصعوبة، لكنها لم تختلف كثيرًا عن تلك القِرَدة على الأشجار. أما أسماؤهم فأذكرها بوضوح، لأنها كانت على وزن النهر ثان... مخلوقات الأمس تلك كان اسمها الإنسان».

ثم حلَّق الجني عائدًا إلى القمر الباهت ذي القرنين، وظلَّ الشيطان يُحدِّق في ثباتٍ إلى قردٍ صغير أخذ يتواثب على شجرةٍ نمت في قلب واحدةٍ من السَّاحات البالية.

---

نُشِرت بعنوان «*Memory*» في مجلة «*The National Amateur*» عام ١٩٢٣.

https://jadidpdf.com

# الشَّبح الذي جاء يعتذر

## *تشاك پولانك*

يعيش صديقٌ لي في منزلٍ مسكون. هو منزل أبيض جميل يقع في منطقةٍ ريفيَّة، محاط بالحدائق من كلِّ اتجاه، يتَّصل بي صديقي منه كلَّ بضعة أسابيع في عِزِّ الليل ليقول: «ثمَّة من يصرخ في القبو! سأنزلُ ومعي مسدَّسي. اطلب الشُّرطة إذا لم أتَّصل بك خلال خمس دقائق!».

الموقف درامي جدًّا، لكنه ينطوي على ذلك النوع من التَّباهي المتنكِّر في شكل شكوى، المعادل الخارق للطبيعة لقول «خاتمي الماسي ثقيل جدًّا على يدي!»، أو «ليتني أستطيع ارتداء هذا البكيني دون أن يشتهيني الجميع!».

يُطلِق صديقي على شبحه اسم «الليدي»، ويشكو من عدم قُدرته على النوم لأن الليدي ظلَّت حاضرةً طوال الليل، تُحرِّك الصُّور على الجدران، وتعبث بالوقت في الساعات، وتدقُّ بلا توقُّف في غُرفة المعيشة، وهو ما يقول عنه إنه رقص. إذا جاء صديقي متأخِّرًا أو متعكِّر المزاج، فالسبب هو الليدي التي لم تنفك

https://jadidpdf.com

تنادي باسمه من خارج نافذة غُرفة النوم طوال الليل، أو تفتح الأنوار وتُغلِقها.

هذا رجل عملي لم يعتقد قَطُّ في وجود الأشباح. لنعتبر أن اسمه باتريك، وإلى أن انتقل للمعيشة في تلك المزرعة كان باتريك مثلي تمامًا: متَّزنًا عمليًّا عقلانيًّا.

والآن أعتقدُ أنه مدَّعٍ كبير.

لأثبِت هذا، طلبتُ منه أن أرعى مزرعته في أثناء قضائه عُطلةً ما. قلتُ له إنني في حاجةٍ إلى العُزلة والهدوء كي أستطيع الكتابة. وعدته بأن أسقي النباتات، وذهب هو تاركًا إياي هناك لمدَّة أسبوعين.

ثم إنني أقمتُ حفلة صغيرة.

هذا الرجل ليس صديقي الوحيد العائش في الأوهام، فهناك صديقة أخرى لي -لنعتبر أن اسمها برندا- تقول إنها ترى المستقبَل. تجلس الصُّحبة لتناوُل العشاء، ثم تُفسِد برندا القصَّة الرائعة التي تحكيها أنت، عندما تُطلِق شهقة عالية فجأةً، وتتراجع في مقعدها وقد غطَّت فمها بيديها واعتلت ملامحها نظرة رُعبٍ خالص. تسألها عما هنالك، فتقول: «لا شيء، لا شيء...»، ثم تُغلِق عينيها وتحاول طرد الرؤيا المريعة من عقلها.

وحين تُصمِّم أنت على معرفة ما أخافها، ستميل على المائدة والدموع في عينيها، وتُمسِك يدك قائلةً بتوسُّل: «أرجوك، أرجوك ابتعد عن السيَّارات طوال السنوات الست القادمة».

https://jadidpdf.com

طوال السنوات الست القادمة!

برندا وپاتريك غريبا الأطوار لكنهما صديقاي، وإن كانا راغبَيْن دائمًا في انتباه الغير. «شبحي ضاج جدًّا. أكرهُ استطاعتي رؤية المستقبَل».

هكذا دعوتُ برندا وأصدقاءها ذوي القوى النفسيَّة الخارقة إلى حفلتي الصغيرة، كما دعوتُ عددًا من الأصدقاء التقليديِّين الحمقى الذين لا يعانون أيَّ مواهب فائقة للحواس. سنشرب النبيذ الأحمر ونُشاهد الوُسطاء الروحانيِّين يتنقَّلون هنا وهناك، يدخلون في غَشية ويتَّصلون بالأرواح، يكتبون رسائل من العالم الآخَر ويرفعون الموائد، فيما نضحك نحن بأدبٍ من وراء أيدينا.

هكذا ذهب پاتريك في عُطلته، ووصلت دستة من الأشخاص إلى البيت الريفي، وجاءت برندا ومعها امرأتان لا أعرفهما -بوني ومولي- وكلتاهما تشعر بالنشوة بالفعل من فرط طاقة الأشباح التي أحسَّتا بها في المكان. تتوقَّف كلتاهما كلَّ بضع خطوات وتترنَّح محاولةً الإمساك بمقعدٍ أو خلافه كي لا تسقط أرضًا.

حسن، جميع أصدقائي يترنَّحون بالفعل، لكن العُقلاء منهم يترنَّحون بسبب النبيذ.

جلسنا جميعًا حول مائدة غُرفة الطعام، وأشعلنا شمعتين في المنتصف، وبدأت الوسيطتان الروحانيَّتان العمل.

التفتَت بوني ومولي إلى صديقتي آينا أولًا (كنتُ قد حكيت لك

https://jadidpdf.com

عنها من قبل، وكيف وافقتُ على تقديمها إلى براد پيت، مقابل أن أساعدها في تجهيز الجثث للتشريح في مشرحة كليَّة الطب حيث تعمل). آينا ألمانيَّة وعقلانيَّة، فِكرتها عن التعبير عن المشاعر هي إشعال سيجارة جديدة. لم تلتقِ هاتان الوسيطتان آينا من قبل قَطّ، لكنهما تبادلتا إخبارها بأن هناك روح امرأةٍ تقف إلى جوارها، امرأة اسمها مارجريت تُغدِق على آينا بالزهور الزرقاء. هكذا تُطفيء آينا سيجارتها وتنفجر في البكاء.

كانت أم آينا قد ماتت بالسرطان قبل سنواتٍ عديدة، وكان اسمها مارجريت، وفي كلِّ عامٍ تَنثُر آينا بذور الزهور الزرقاء على قبرها، لأنها كانت زهور أمها المفضَّلة. دعني أقولُ لك إنني وآينا صديقان منذ عشرين عامًا كاملة، وهذه تفاصيل لم أكن أعرفها أنا نفسي. آينا لا تتكلَّم عن أمِّها أبدًا، والآن ها هي ذي تبكي وتطلب المزيد من النبيذ الأحمر.

ثم التفتَت بوني ومولي إليَّ بعد أن حوَّلتا صديقتي إلى كتلةٍ من الدموع والمخاط. قالتا إن هناك رجلًا قريبًا مني، يقف وراء كتفي بالضبط. قالتا إنه أبي القتيل.

بحقِّ السماء! أبي؟!

حسن، لنكتفي بهذا القدْر من الهراء.

بإمكان أيِّ أحدٍ أن يعرف تفاصيل موت أبي؛ الدائرة الأيقونيَّة الغريبة التي أحاطت بظروف مقتله، وأن أباه -جدِّي- قتل أمَّه -جدَّتي- وهو في الرابعة من عُمره، ثم أخذ يجوب المنزل بحثًا عنه

https://jadidpdf.com

ليقتله بدوره. كانت أولى ذكريات أبي عن تلك الليلة التي اختبأ فيها تحت الفِراش، يسمع أباه يناديه ويرى حذاءه الثقيل يضرب الأرض وفوهة البندقيَّة التي يتصاعد منها الدخان تتدلى إلى جواره. اختبأ أبي وأطلق جدِّي النار على نفسه، ثم قضى أبي حياته في محاولةٍ للهرب من ذكرى هذا المشهد.

قال إخوتي أيضًا إنه قضى حياته محاولًا العثور على أمِّه بزواجه من امرأةٍ تلو الأخرى، في دائرةٍ لا تنتهي من الطلاق والزواج من جديد. كانت عشرون سنةً قد مضت على طلاقه من أمي عندما رأى إعلانًا للزواج في جريدة، وبدأ يُواعِد صاحبة الإعلان دون أن يدري أن لها زوجًا سابقًا عنيفًا. هكذا عاد الاثنان من لقائهما الثالث إلى منزل المرأة، ليجدا في انتظارهما زوجها السابق الذي أرداهما معًا. كان هذا في إبريل ١٩٩٩.

سبقَ أن نُشِرَت هذه التفاصيل كلها في كلِّ مكانٍ حقًّا، وحُوكم القاتل بالفعل وحُكِم عليه بالإعدام. مولي وبوني ليستا في حاجةٍ إلى أيِّ مواهبٍ خاصَّة لمعرفة هذا.

لكنهما أصرَّتا. قالتا إن أبي يشعر بالأسف على شيءٍ فعله معي عندما كنتُ في الرابعة من عمري. كان يعرف أنه شيء قاسٍ، لكنه الشيء الوحيد الذي استطاع التفكير فيه كي يُلقِّنني درسًا. كان شابًّا قليل الخِبرة وقتها، ولم يُدرِك أنه تمادى كثيرًا. أمسكَت مولي وبوني يدَي، وقالتا إنهما رأتاني ولدًا صغيرًا جاثيًا إلى جوار قالبٍ لتقطيع الأخشاب، وكان أبي واقفًا إلى جواري ممسكًا بشيءٍ خشبي.

https://jadidpdf.com

قالتا: «إنها عصا»، ثم: «لا، إنها بلطة».

كان بقيَّة أصدقائي قد لاذوا بالصمت وقد أخرسَهم بكاء آينا.

قالت بوني ومولي: «أنت في الرابعة من عمرك، وتُقرِّر شيئًا شديد الأهميَّة، شيئًا سوف يُشَكِّل بقيَّة حياتك».

وصفتا أبي وهو يشحذ بلطته، ثم قالتا: «إنه على وشك أن...»، ثم صمتتا، قبل أن تواصلا: «... يقطع إصبعك؟».

ما زالت آينا -البقرة السخيفة- تبكي، وأصبُّ لنفسي كأسًا أخرى من النبيذ وأشربها، ثم أصبُّ أخرى. أقولُ لبوني ومولي -مرشدتينا إلى عالم الأرواح- أن تُواصلا. أرسمُ ابتسامة ساخرة على وجهي، وأقولُ: «لا، حقًّا، هذا مذهل».

- «أبوك سعيد جدًّا الآن، أسعد مما كان طوال حياته على الأرض».

أوَ ليست هذه هي الحال دائمًا؟ فُتات من الراحة للمكلومين. مولي وبوني هاتان لا تختلفان في شيءٍ عن كلِّ من استغلُّوا مشاعر الحزانى عبر التاريخ. في أحسن الأحوال هما حمقاوان مضلَّلتان، وفي أسوأها وحشان كذَّابان.

ما لم أقله لهما إنني، عندما كنتُ في الرابعة من عمري، وضعتُ حلقة معدنيَّة حول إصبعي، لكنها كانت أضيق من أن أستطيع خلعها، وانتظرتُ حتّى تورَّم إصبعي واستحال لونه إلى الأرجواني قبل أن أطلب مساعَدة أبي. لقد قيل لنا دائمًا ألا نضع أيَّ حلقاتٍ

https://jadidpdf.com

مطاطيَّة أو معدنيَّة أو خلافه حول أصابعنا، وإلا ستصاب بالغنغرينة ويتعفَّن الجزء المحتبِس ويسقط. قال أبي إننا يجب أن نقطع الإصبع، وقضى الظهيرة كلها في غسل يدي وشحذ البلطة، ملقيًا عليَّ طوال الوقت محاضراتٍ عن تحمُّل مسؤوليَّة أفعالي. قال إنني يجب أن أكون مستعدًّا لدفع الثمن عندما أرتكبُ خطأً غبيًّا.

وأصغيتُ له طوال الوقت. لم تكن هناك دراما أو دموع أو هلع. قال لي عقلي ذو السنوات الأربع إن أبي يُسديني صنيعًا. سيؤلمني قطْع إصبعي الأرجواني المتفخ، لكن هذا أفضل من تركه يتعفَّن أسبوعًا بعد أسبوع.

هكذا جثوتُ إلى جوار قالب التقطيع الخشبي، حيث سبقَت لي رؤية دجاجاتٍ عديدة تلق المصير نفسه، وبسطتُ يدي. كنت ممتنًّا جدًّا لمساعَدة أبي، وعزمتُ على ألا ألوم غيري أبدًا على حماقاتي.

لوَّح أبي بالبلطة، وبالطبع لم يهوِ بها على إصبعي، بل دخلنا المنزل وخلعنا الحلقة بواسطة الماء والصابون.

إنها قصَّة كدتُ أنساها، كدتُ أنساها لأني لم أحكها لأحدٍ قَطُّ، ولم أتذكَّرها بترديدها بصوتٍ عالٍ لأيٍّ أحد. كنتُ أعرفُ أن أحدًا لن يستوعب الدرس، وأن كلَّ ما سيراه غيري هو تصرُّف أبي الذي سيصفه بالوحشيَّة. وحاشا لله أن أحكي لأمي بالذات، إذ كانت لتنفجر في نوبة غضبٍ لا تُطاق. كأول ذكريات أبي عن مقتل أمِّه على يد أبيه، فإن يوم البلطة هو أول ذكرياتي، ولقد احتفظتُ به سرًّا طوال ستة وثلاثين عامًا، تمامًا كما فعل أبي. والآن

https://jadidpdf.com

تأتي هاتان السخيفتان لتحكيا لي تلك القصَّة في حضور أصدقائي السَّكارى!

كان من المستحيل عليَّ أن أمنحهما الشعور بالرضا عن نفسيهما. وبينما أخذت آينا تبكي، شربتُ أنا المزيد من النبيذ، وابتسمتُ وهززتُ كتفَي قائلًا إنها قصَّة مثيرة حقًّا، لكنها كلام فارغ ليس إلا. بعد دقائق قليلة سقطت إحداهما على الأرض، وطلبت من يُساعدها على الوصول إلى سيَّارتها. هكذا انتهت الحفلة وغادر الجميع، وبقيتُ مع آينا لنشرب بقيَّة النبيذ حتّى الثُّمالة.

كانت حفلة مخيِّبة للآمال في الحقيقة، خصوصًا مع مشاهَدة أصدقائي يتقبَّلون هذا الهراء.

لم تظهر الليدي ليلتها قَطُّ، لكن باتريك لن يكفَّ عن الاتِّصال بي شاكيًا من شبحه السخيف، ولن تكفَّ برندا عن الارتجاف والشحوب قبل أن تُدلي بنبوءاتها الحمقاء. أما مولي وبوني فقد حالفهما الحظ حقًّا. إنها خدعة ما. ولا يُمكنني تفسير حيلة مولي وبوني السحريَّة تلك، لكن هناك الكثير في العالم مما لا أستطيع تفسيره.

ليلة مقتل أبي، وعلى بُعد مئات الأميال، رأت أمي حُلمًا. قالت إنها رأت أبي يدقُّ بابها ويتوسَّل لها أن تُواريه، وكان مصابًا بطلقٍ ناري في جانبه (وقد أكَّد الطبيب الشرعي هذا لاحقًا)، وكان أبي يحاول الفرار من رجلٍ يحمل مسدَّسًا. لكن بدلًا من أن تسمح له أمي بالدخول قالت له إنه لم يجلب إلا العار والألم لأولاده، ثم أغلقت الباب في وجهه.

https://jadidpdf.com

في الليلة نفسها حلمَت أختي بأنها تمشي في الصحراء التي نشأنا فيها إلى جوار أبي، وقالت له إنها آسفة على الشَّرخ الذي حدث بينهما ولأنهما لم يتكلَّما منذ فترة. في الحُلم وقفَها أبي وقال إن الماضي لم يعد يهمُّ، قال إنه سعيد جدًّا الآن، وستجد هي السعادة أيضًا.

في تلك الليلة لم أرَ أيَّ أحلام، ولم يأتِ إليَّ أحد يودِّعني.

ثم بعد أسبوع اتَّصل بي رجال الشُّرطة، وقالوا إنهم عثروا على جثةٍ يريدون مني أن أذهب وأتعرَّف صاحبها.

لكم أتمنَّى لو استطعت الاعتقاد في وجود عالمٍ خفي، إذ سيُخفِّف هذا كثيرًا من ضغوط وآلام العالم المادي، لكن وجود عالمٍ كهذا سيُبطِل قيمة النقود التي لديَّ في البنك، ومنزلي المريح وعملي الجاد. جميع النِّعم والنِّقم في حياتنا ستكون بلا طائل، لأنها لن تكون حينها أكثر من حبكاتٍ في كتابٍ أو فيلم. وجود عالم خفي لن يجعل عالمنا أكثر من وَهم.

حقًّا، إن عالم الأرواح لا يختلف عن البيدوفيليا أو النكروفيليا؛ ليست لي خبرة به، ولذلك لن آخذه على محمل الجدِّ أبدًا، وسيظلُّ دعابةً لا أكثر.

ليس هناك شيء اسمه الأشباح...

لكن إذا كان هناك حقًّا، فليأتِني أبي إذن ويُخبِرني بنفسه!

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Ghost Who Came to Say He Was Sorry*» في «*The London Independent*» عام ٢٠٠٢.

https://jadidpdf.com

# الأشياء التي تركوها وراءهم

## *ستيڤن كينج*

الأشياء التي أريدُ أن أحكي لك عنها، الأشياء التي تركوها وراءهم، ظهرَت للمرَّة الأولى في شقَّتي في أغسطس ٢٠٠٢، وأنا متأكِّدٌ من التوقيت لأني وجدتها بعد أن ساعدتُ پولا روبسن على إصلاح مُكيِّف الهواء بفترةٍ قصيرة. تحتاج الذاكرة دائمًا إلى نُقطة ارتكازٍ يُمكنك بَدء السَّرد منها، وهذه هي نُقطة الارتكاز الخاصَّة بي. كانت پولا رسَّامة لكُتب الأطفال، حسناء -بل فاتنة في الواقع- ومتزوِّجة برجلٍ يعمل في الاستيراد والتصدير. دائمًا ما يتمكَّن الرجال من تذكُّر المناسَبات المختلفة عندما ترتبط باستطاعتهم مُساعَدة امرأةٍ جميلة تمرُّ بمأزقٍ ما (حتى إذا ظلَّت تؤكِّد لك أنها متزوِّجة جدًّا)، ومناسَبات كتلك لا تأتي إلا لمامًا كما تعرف. تذكَّر أن مُحاوَلات ادِّعاء الشهامة والفروسيَّة لا تُفضي إلا إلى أسوأ النتائج طرًّا في أيامنا هذه.

كنتُ قد رأيتها في لوبي البناية التي أسكنها وقد بدا عليها السُّخط، عندما نزلتُ من شقَّتي لأتمشَّى بعد الظُّهر كما هي العادة، فألقيتُ عليها تحيَّة عابرة كما يفعل الجميع مع جيرانهم. سألَتني

https://jadidpdf.com

بنبرةٍ حانِقة تدنو من حافة الانفجار عن سبب أَخْذ مُشرِف الصيانة بالبناية عُطلته في هذا الوقت بالتحديد، فأشرتُ إلى أن حتّى راعيات البقر يُصَبن بالحُزن، وأن مُشرِفي المباني يأخذون عطلاتٍ أحيانًا، وأن شهر أغسطس بالذات مُناسِب للغاية للعطلات. أغسطس في نيويورك (وفي پاريس يا مونامي) يجعلك ترى القليل جدًّا من المُحلِّلين النفسيين والفنّانين العصريّين ومُشرِفي المباني.

لم تبتسم، ولا أظنُّ حتّى أنها فهمَت العبارة التي اقتبستُها من توم روبنز... (يبدو أن الكلامِ غير المُباشِر هو لعنة عُشّاق القراءة حقًّا). قالت إنني قد أكون مُحِقًّا في أن أغسطس وقت منطقي لحزم الأمتعة والذهاب في إجازة على الشاطئ، لكن المشكلة أن شقّتها اللعينة تكاد تشتعل من الحَرّ، ومُكيِّف الهواء اللعين يَرفُض العمل تمامًا. سألتها إن كانت ترغَب في أن ألقي نظرةً عليه بنفسي، وأذكرُ الطريقة التي رمقَتني بها بهاتين العينين الرماديَّتين الباردتين كأنها تُحاوِل سبر أغواري. أذكرُ أنني قلتُ لنفسي إن عينين كهاتين قد رأتا الكثير لا ريبَ، وأذكرُ أنني ابتسمتُ حين سألَتني إن كنت مأمون الجانب. ذكَّرني سؤالها بذلك الفيلم. لا، ليس «*Lolita*»، فلم يكن وقت التفكير فيه في الثانية صباحًا قد جاء بعدُ، بل الفيلم الذي يعمل فيه لورنس أوليڤيه بارتجالٍ على أسنان داستن هوفمان، سائلًا إياه مرَّة تلو الأخرى إن كان ما يفعله مأمونًا.

قلتُ بكياسة: «لا تقلقي، فلم أهاجِم أيَّ امرأةٍ منذ أكثر من عامٍ كامل. قبلها اعتدتُ مهاجمة امرأتين أو ثلاث في الأسبوع، لكن العلاج النَّفسي بدأ يُساعدني».

https://jadidpdf.com

طبعًا هو قول طائش، لكن كنتُ في مزاجٍ حَسَن، في مزاجٍ صيفي على وجه التحديد. رمقَتني بنظرةٍ فاحصة أخرى قبل أن تلوح ابتسامة على وجهها وتمدُّ يدها تُصافِحني قائلةً إن اسمها پولا روبسن. مدَّت يدها اليسرى، وهو الشيء غير المعتاد، لكنها اليد التي تحمل خاتم زفافها الذهبي الكبير، وهو ما أظنه لفتة متعمَّدة منها، ألا تظنُّ هذا؟ في وقتٍ لاحق قالت لي إن زوجها يعمل في الاستيراد والتصدير. كان هذا في اليوم الذي حان فيه دوري لأن أطلب مُساعَدتها.

قلتُ لها في المصعد ألا تتوقَّع الكثير. إذا أرادت من يَعثُر لها على الأسباب الجوهريَّة لاندلاع أعمال الشَّغب الأخيرة في نيويورك، أو يحكي لها بعض النوادر عن لقاح الجُدَري، أو يأتي لها ببعض الاقتباسات عن الآثار الاجتماعية المترتِّبة على جهاز التحكُّم عن بُعد الخاص بالتليفزيون (وهو أهم اختراع في الخمسين عامًا الماضية في رأيي المتواضع)، فأنا الشخص المطلوب.

سألتني ونحن في عربة المصعد البطيئة ذات الصوت المُزعِج: «إجراء الأبحاث لعبتك إذن يا مستر ستالي؟».

أجبتُ بالإيجاب، وإن لم أذكر أنني ما زلتُ جديدًا في هذا المجال، كما لم أطلب منها أن تُخاطِبني باسمي -سكوت- مجرَّدًا من الألقاب، فقد كان هذا ليعيد إثارة قلقها من جديد، وبالتأكيد لم أذكر لها أنني أحاولُ أن أنسى كلَّ ما تعلَّمته في حياتي عن أعمال شركات التأمين، أنني في الحقيقة أحاولُ أن أنسى أشياء كثيرة، منها حوالي دستتين من وجوه أناسٍ بأعينهم.

https://jadidpdf.com

الحق أقولُ إنني أحاولُ أن أنسى، لكنني ما زلتُ أذكرُ الكثير من التفاصيل. أعتقدُ أن هذا يَحدُث معنا جميعًا عندما نُحاوِل التركيز على شيءٍ ما (وفي أحيانٍ أخرى عندما نحاول العكس، وهذا أسوأ). إنني أذكرُ ما قاله واحد من روائيي أمريكا الجنوبية هؤلاء الذين ينتمون إلى مدرسة الواقعية السحريَّة، أتعرفهم؟ لا أذكر اسم الرجل، فهو لا يهمُّ، لكن هذا القول «في طفولتنا يأتي انتصارنا الأول مع القبض على قطعةٍ صغيرةٍ من العالم، عادةً ما تكون أصابع أمَّهاتنا، وفي ما بعد نُدرِك أن العالم وما يعجُّ به من أشياء هو ما يقبض علينا طوال الوقت». أهو بورخيس؟ نعم، لعله هو. أم ربما ماركيز؟ لا أذكرُ حقًّا. ما أذكره أنني نجحتُ في إصلاح مُكيِّف الهواء، وأن وجهها أشرق بابتسامةٍ كبيرة لَمَّا بدأ الهواء البارد في الخروج. أعرفُ أيضًا أن ما يقولونه عن الإدراك صحيح، وكيف يتبدَّل فنجد الأشياء التي اعتقدنا أننا نتحكَّم فيها هي ما يتحكَّم فينا من البداية. قد تجعلنا سجناء، لكنها تُبقينا في أماكننا كذلك. إنها مقايَضة، وأعتقدُ أنها مقايَضة عادِلة في الغالب... أو أنني كنتُ أعتقدُ ذلك وقتها، أما الآن فلا أدري.

وأعرفُ أن تلك الأحداث وقعت في نهاية أغسطس ٢٠٠٢، بعد عامٍ أو أقل قليلًا من اليوم الذي سقطت فيه قِطعَة من السماء ليتغيَّر كلُّ شيء.

بعد أسبوعٍ تقريبًا من ارتداء السير سكوت ستالي درع البطولة

https://jadidpdf.com

وخوضه المعركة مع مُكيِّف الهواء المخيف بنجاح، خرجتُ بعد الظُّهر لأتمشّى حتّى متجر الأدوات المكتبيَّة لأبتاع بعض الأوراق والأقلام، إذ كنتُ ملزمًا بتسليم أربعين صفحةٍ عن تطوير كاميرات الپولارويد (وهو موضوع أكثر إثارةً للاهتمام مما تحسب). على إثر عودتي لشقَّتي وجدتُ تلك النظَّارة الشمسيَّة ذات الإطار الأحمر وزوج العدسات المميَّز للغاية موضوعةً في الردهة على الطاولة الصغيرة، التي أتركُ عليها الفواتير التي يجب عليَّ دفعها والشيكات التي يجب صرفها وإيصالات الكُتب التي استعرتها وتأخَّرتُ في إرجاعها وما إلى ذلك. تعرَّفتُ النظَّارة في الحال، ولحظتها فرَّ كلُّ ما في جسدي من طاقة. لم أسقط، لكن ما كنتُ أحمله سقط مني على الأرض، وارتكنتُ إلى الباب محُاوِلًا التقاط أنفاسي وأنا أحدِّق إلى النظَّارة بعدم تصديق. لو لم يكن هناك ما أرتكنُ إليه فأعتقدُ أنني كنتُ لأترنَّح ثم أسقط فاقدًا الوعي، كما تفعل الفتيات كلهنَّ في الروايات الڤيكتورية التي يظهر فيها مصَّاص الدماء الشهواني دائمًا مع حلول منتصف الليل.

لحظتها شعرتُ بشيءٍ أقرب إلى الخِزي المذعور الذي ينتابك عندما تُدرِك أن أحدهم على وشك أن يَضبُطك وأنت ترتكب فعلًا لن تتمكَّن من تفسيره أبدًا، والذِّكرى التي تُراوِدني في هذا الشأن تخصُّ شيئًا حدث لي -أو كاد يَحدُث بالأحرى- حينما كنتُ في السادسة عشرة.

كانت أمي وأختي قد ذهبتا للتسوُّق في پورتلاند، والمنزل

https://jadidpdf.com

بأكمله لي وحدي حتّى المساء... أو أن هذا ما حسبته. كنتُ مضطجعًا على فراشي وقد تجرَّدتُ من ملابسي كلها ونثرتُ على الفراش مجموعة من الصُّور العارية التي قصصتها من مجموعة مجلَّاتٍ كنتُ قد عثرت عليها في رُكنٍ من المرأب. كانت مجموعة مجلَّات «*Penthouse*» و«*Gallery*» الخاصَّة بمالِك المنزل السابق على ما أظنُّ. ثم إنني سمعتُ صوت محرِّك سيَّارتنا المميَّز يتوقَّف أمام المنزل، فأدركتُ أن أمي وأختي قد عادتا مبكِّرًا لسببٍ ما، واتَّضح أن بج أصيبت بعِلَّةٍ ما -البرد ربما- وبدأت تقيء من نافذة السيَّارة. كانتا قد بلغتا بولاند سبرينجز فقط قبل أن تعودا أدراجهما.

نظرتُ إلى الصُّور المنثورة على الفِراش وملابسي المُلقاة على الأرض، وأذكرُ كيف تسرَّبت الطاقة كلها مني والإحساس الشنيع بالكلل الذي حلَّ محلها. كانت أمي تُناديني من الطابق السُّفلي -«سكوت! سكوت! تعالَ وساعدني! إن أختك مريضة!»- وأذكرُ أنني قلتُ لنفسي لحظتها: «وما الفائدة؟ لقد افتضح أمري وعليَّ أن أتقبَّل هذا. افتضح أمري وسيظل أول شيء يرد في خاطرهما مرتبطًا بي ما حييت هو أنني سكوت فنَّان العادة السريَّة».

لكن كثيرًا ما تتملَّكك غريزة البقاء في لحظاتٍ كتلك، وهذا ما حدث لي. قرَّرتُ أنني سأنزلُ إليهما، لكني لن أفعل هذا دون أن أبذل مجهودًا لِحفظ كرامتي على الأقل. هكذا كوَّمتُ الصُّور تحت الفراش ثم وثبتُ وثبًا في ملابسي، مُدرِكًا أنني أتحرَّكُ كالمُخَدَّر وقد أخذ يلحُّ على خاطِري برنامج الألعاب القديم «*Beat the Clock*» الذي كنتُ قد اعتدتُ مُشاهَدَته.

https://jadidpdf.com

أذكرُ كيف تحسَّست أمي وجنتَي المحمرَّتين وقالت بقلق: «يبدو أنك مريض أيضًا».

قلتُ شاعرًا بالسرور: «يبدو هذا».

كان نِصف ساعةٍ قد مرَّ قبل أن أنتبه إلى أنني نسيتُ إغلاق زمّام سروالي، لكن لحُسن الحظ لم تُلاحِظ أمي أو بيج هذا، على الرغم من أنه في مناسبةٍ أخرى كانت إحداهما أو كلتاهما لتسألني إن كنت أحمل رُخصة لبيع الهوت دوج (وكان هذا هو نوع التعليقات الساخرة الذي اعتدناه في بيتنا). في ذلك اليوم كانت إحداهما أكثر مرضًا من أن تُلاحِظ والأخرى مشغولة بها، فلم يكن هناك مجال للسخرية... وهكذا نجوت.

كم أنا محظوظ!

ما تبع موجة المشاعر الأولى في ذلك اليوم في أغسطس في شقَّتي كان أبسط كثيرًا: خطر لي أنني في طريقي إلى الإصابة بالجنون، والسبب أن تلك النظَّارة الشمسيَّة لا يُمكن أن تكون هنا على الإطلاق. مستحيل تمامًا.

ثم إنني رفعتُ عينَي لأرى شيئًا آخَر لم يكن في شقَّتي بكلِّ تأكيد عندما غادرتها قبل نِصف ساعة (وقد أوصدتُ الباب ورائي كما أفعلُ دائمًا). في الرُّكن بين المطبخ الصغير وغُرفة المعيشة رأيته مسنودًا إلى الجدار: مضرب بيسبول من طراز «هلريك آند برادزبي» كما تقول

https://jadidpdf.com

العلامة التجاريَّة. ومع أنني لم أستطع رؤية جانبه الآخَر من مكاني فقد علمتُ المكتوب عليه جيدًا: عبارة «مسؤول الدعاوى» المكتوبة حرقًا على المضرب المصنوع من خشب الدَّردار بواسطة مكواة لحام والملوَّنة بالأزرق الداكن.

لحظتها شعرت بموجةٍ أخرى من المشاعر تَضرِبني، وكانت عبارةً عن رُعبٍ خالِص هذه المرَّة. إنني لا أعتقدُ في وجود الأشباح، لكنني متأكِّد من أنني لحظتها بدوتُ كمن رأى شبحًا لتوِّه، وهذا ما شعرتُ به أيضًا بكلِّ تأكيد، لأن نظَّارة الشمس تلك لم تَعُد موجودة منذ شهورٍ طويلة، والشيء نفسه ينطبق على مضرب البيسبول الذي كان ملكًا لكليف فارِل.

فعلتُ الشيء الوحيد الذي أمكنني التفكير فيه، فالتقطتُ نظَّارة سونيا ديميكو وهرولتُ عائدًا إلى المصعد حاملًا إياها أمامي كما تفعل عندما تَحمِل شيئًا مقزِّزًا عُدت لتجده على أرضيَّة شقَّتك بعد أسبوعٍ قضيته في عطلة، كقطعةٍ عفنة من الطعام أو جُثَّة فأرٍ مات مسمومًا. وجدتُ نفسي أتذكَّرُ حوارًا عن سونيا بيني وبين زميلٍ اسمه وارن آندرسن.

- «لا بد أنها بدت كأنها ستَثِب واقفةً على قدميها مرَّة أخرى وتَطلُب الكوكا-كولا»، هذا ما فكَّرت فيه عندما حكى لي ما رآه. كنا نتناول المشروبات في بار في ثيرد آفنيو بعد ستة أسابيع تقريبًا من سقوط السماء، بعد أن تبادلنا الأنخاب وهنَّأ كلٌّ منا الآخَر على نجاته من الموت.

https://jadidpdf.com

لتلك الأشياء طريقة تظل بها ملتصقةً بذاكرتك، سواء أرغبت في ذلك أم لم ترغب، كمقطوعةٍ موسيقيَّة تظلُّ تتردَّد في عقلك ولا تستطيع التخلُّص منها. تستيقظ في الثالثة صباحًا شاعرًا بالحاجة إلى إفراغ مثانتك، تقف هناك أمام المرحاض، عضوك في يدك وعقلك مستيقظ بالكاد، وعندها تتردَّد العبارة في ذهنك: «لا بد أنها بدت كأنها ستثب واقفةً على قدميها مرَّة أخرى وتطلب الكوكا-كولا».

في أثناء ذلك الحوار سألَني وارن إن كنتُ أذكرُ نظَّارتها الشمسيَّة ذات الشكل الطريف، وقلتُ إنني أذكرها بالطبع.

كان بدرو البوَّاب واقفًا تحت مظلَّة مدخل البناية يتجاذب أطراف الحديث مع رافي ساعي البريد.

يتَّسم بدرو بالجديَّة الشديدة حين يتعلَّق الأمر بالسماح لعُمال التوصيل بالوقوف أمام البناية (والقاعدة التي وضَعها تنصُّ على ألا تتجاوز فترة الوقوف هناك الدقائق السبع، وهي القاعدة التي يُطبِّقها بصرامةٍ مستخدمًا ساعة الجيب التي يحملها معه دائمًا). كان جميع رجال الشُّرطة في المنطقة أصدقاءه، لكن ألفةً من نوعٍ خاص نشأت بينه وبين رافي بالذات، فيقفان هناك أحيانًا ويقضيان ما يزيد على العشرين دقيقة في الثرثرة. فيم كانا يتحدَّثان؟ السياسة؟ البيسبول؟ الكتاب المقدَّس طِبقًا لهنري ديفيد ثورو؟ لا أدري، ولم أعر الأمر اهتمامًا قَط حتَّى ذلك اليوم. كانا واقفين هناك عندما صعدتُ حاملًا أوراقي وأقلامي، وكانا ما زالا هناك عندما نزل

https://jadidpdf.com

سكوت ستالي مرَّة أخرى بقلبٍ مُثقَل، سكوت ستالي الذي اكتشف ثُقبًا صغيرًا لكن ملحوظًا في جدار الواقع. مجرَّد وجودهما هناك كان يكفيني. اتَّجهتُ نحوهما رافعًا يدي اليمنى بنظَّارة الشمس، ودون أن أشغل نفسي بالاستئذان لمقاطعتهما أولًا سألتُ پدرو مباشرةً: «ما هذه؟».

رمقني بنظرةٍ متمعِّنة، وغمغم: «أنا مندهش حقًّا من وقاحتك يا مستر ستالي، حقًّا».

ثم إنه نظر إلى يدي، وللحظةٍ مرَّت عليَّ كالدَّهر لم يقل شيئًا، وعندها بدأت فكرة مخيفة في السيطرة على عقلي: إنه لم يرَ شيئًا في يدي لأنه لم يكن هناك ما يراه أصلًا. ليس هناك إلا يدي الممدودة كأنني أطلبُ منه أن يمنحني بقشيشًا. كانت يدي خاويةً بالتأكيد، لا شكَّ في هذا، لأن نظَّارة سونيا ديميكو هذه لم تَعُد موجودة منذ زمنٍ طويل.

قال پدرو أخيرًا: «إنها نظَّارة شمس يا مستر ستالي. هل يمكن أن تكون شيئًا آخر؟ أم أن هناك حيلة ما في سؤالك؟».

كان رافي ساعي البريد أكثر اهتمامًا بالأمر على ما يبدو، فأخذ مني النظَّارة، ودعني أقول لك إن الراحة التي اعترتني إذ رأيته ممسكًا بها يتفحَّصها كان لا يُعادِلها شيء، كأن يَهرُش أحدهم الجزء الذي تشعر فيه بالحكَّة بين لوحي كتفيك بالضبط. خرج رافي من تحت المظلَّة رافعًا النظَّارة ذات العدستين اللتين اتخذتا شكل القلب في ضوء النهار، وقال:

https://jadidpdf.com

- «تُشبِه النظّارة التي تضعها الفتاة الصغيرة في فيلم البورنو إياه مع جيريمي آيرونز».

ابتسمتُ رغمًا عني، فالجميع في نيويورك -حتى عُمّال التوصيل- نُقّاد سينمائيُّون، وهو أحد الأشياء التي أحبها في هذه المدينة.

قلتُ وأنا أستعيد النظّارة منه: «هذا صحيح، «*Lolita*». لكن النظّارة ذات العدستين المشكّلتين كالقلب كانت في النُّسخة التي أخرجها ستانلي كوبريك، عندما كان جيريمي آيرونز لا يزال مجرَّد صعلوك».

لم تحمل العبارة الأخيرة أيَّ معنى لي لكني لم أبالِ، وسألني رافي: «من لعب دور المنحرف في تلك النسخة؟».

- «فلتحلَّ بي اللعنة إن كنتُ أذكرُ».

قال بدرو: «إذا سمحت لي يا مستر ستالي، إنك تبدو شاحبًا للغاية، كأنك تعاني أعراض البرد أو ما شابه».

كدتُ أقولُ إن أختي كانت هي المريضة بالبرد في ذلك اليوم الذي فصلَت فيه عشرون ثانيةٍ فحسب بيني وبين ضبطي متلبِّسًا وأنا أنظرُ إلى صور ملكات الجمال العاريات.

لكني نجوت يومها، تمامًا كما نجوت يوم ١١ سبتمبر.

لا أستطيعُ الكلام بالنيابة عن وارن أندرسن، الذي قال لي في تلك الليلة في البار في ثيرد آفنيو إنه توقَّف في الطابق الثالث في

https://jadidpdf.com

ذلك النهار ليتكلَّم عن فريق اليانكيز مع أحد أصدقائه، لكن يبدو بالنسبة إليَّ أن النجاة صارت من عاداتي.

قلتُ لپدرو إنني بخير، وعلى الرغم من أن ذلك لم يكن صحيحًا، فمعرفتي الآن بأنني لم أكن الوحيد الذي يرى نظَّارة سونيا جعلتني أشعر بشيءٍ من التحسُّن. إذا كانت هذه النظَّارة موجودة حقًّا، فالشيء نفسه ينطبق على مضرب كليف فارِل غالبًا.

سألني رافي فجأةً بنبرةٍ تحمل الكثير من الاحترام: «أهذه هي النظَّارة ذاتها التي كانت في نسخة «*Lolita*» الأولى؟».

أجبتُ بالنفي وأنا أطوي النظَّارة، وفي هذه اللحظة تذكَّرت أن اسم الفتاة في النسخة التي أخرجها كوبريك كان سو ليون، لكن اسم الممثل الذي لعب دور المنحرف ظلَّ غائبًا عن ذاكرتي.

- «مجرَّد تقليد رخيص».

- «هل من شيءٍ يُميِّزها إذن؟ ألهذا السبب وجدناك تهرع إلينا هنا؟».

- «لا أدري. لقد تركها أحدهم في شقَّتي».

صعدتُ إلى شقَّتي مرَّة أخرى قبل أن يُلقيا المزيد من الأسئلة، ونظرتُ حولي آمِلًا ألا أجد المزيد من الأشياء.

على أنني وجدتُ أشياء أخرى طبعًا. بالإضافة إلى نظَّارة الشمس ومضرب البيسبول وجدتُ واحدةً من تلك الوسائد التي تُصدِر صوت إخراج الرِّيح وتُستَخدَم في الدُّعابات، بالإضافة إلى

https://jadidpdf.com

محارةٍ من التي تَنفُخ فيها فتُخرِج نغماتٍ موسيقيَّة، وبنس معدني معلَّق في مكعَّب زجاجي، وقِطعة من السيراميك على شكل نبتة فطر ذات نقاطٍ حمراء تجلس عليها آليس (بطلة «آليس في بلاد العجائب»).

كانت الوسادة ملكًا لجيمي إيجلتن، وكان لها حضور لا بأس به في حفلات الكريسماس كل عام. آليس السيراميكيَّة كان مكانها مكتب مورين هانون، وقد أخبرَتني مورين ذات مرَّةٍ بأنها كانت هديَّة من حفيدتها. كانت مورين تملك أجمل شَعرٍ أبيض يُمكنك أن تراه على الإطلاق، وكانت تطيله حتّى خصرها. من النادر أن ترى هذا في عالم الأعمال، لكنها قضت نحو أربعين عامًا في الشركة، وكان رأيها أنها تستطيع أن تفعل بشَعرها كما ترغب الآن. كنتُ أذكر البنس والمحارة كذلك، لكن الذاكرة لم تُسعِفني باسمَي صاحبيهما وفي أيِّ المكاتب كانا. قد أتذكَّرُ لاحقًا وقد لا أفعلُ، فقد كانت المكاتب كثيرة في شركة التأمين إياها.

وجدتُ المحارة والمكعَّب وآليس على الطاولة الصغيرة في غُرفة المعيشة وقد وُضِعوا بنظام، أما الوسادة فقد وجدتها على مقعد المرحاض (وهل يمكن أن توضع في مكانٍ آخر؟) إلى جوار نشرة أخبار شركات التأمين. هل قلتُ لك إن التأمين كان تخصُّصي؟ أظنني فعلتُ.

كانت الاحتمالات هي لعبتي ذات يوم، فما هي الاحتمالات المتعلِّقة بما يحدث الآن؟

https://jadidpdf.com

عندما تقع مشكلة ما في حياتك وتجد نفسك راغبًا في الكلام عنها، فإن أول فكرة تُراوِدك أن تتَّصل بأحد أفراد عائلتك. لم يكن هذا الخيار مطروحًا أمامي، فقد رحل أبي عن بيتنا ولم يَعُد قَط عندما كنتُ في الثانية وأختي في الرابعة، وقد تحمَّلت أمي الألم وربَّتنا وحدها في أثناء ممارسة بيع المشغولات اليدويَّة عن طريق البريد. كان عملًا لا بأس به يدرُّ علينا دخلًا معقولًا (وإن كانت قد ذكرت لي لاحقًا أن السنة الأولى كانت مخيفة حقًّا). كانت أمي تُدخِّن كقاطرةٍ قديمة، ولولا وفاتها بسرطان الرئة في سِنِّ السادسة والأربعين لكانت قد صارت مليونيرة لو استغلَّت الإنترنت في التسويق لمنتجاتها. فقط سبقت وفاتها ظهور الإنترنت بستِّ سنواتٍ تقريبًا.

أما أختي بيج فتعيش في كليفلاند، حيث صارَت حياتها تتمحور حول مستحضرات التجميل والهنود الحُمر والتعصُّب الديني (دون ترتيب). لو اتَّصلتُ ببيج وحكيت لها عن الأشياء التي وجدتها في شقَّتي لاقترحَت أن أجثو على ركبتَي وأدعو أن يدخل المسيح حياتي، وسواء أكانت النتيجة مضمونة أم لا، فلا أظنُّ أن المسيح يُمكنه مساعدتي في مشكلتي الحاليَّة كثيرًا.

كنتُ أملك عددًا معقولًا من الأقارب، لكن أكثرهم يعيش غرب نهر المسيسيبي ولم أرَ أيهم منذ سنواتٍ طويلة. ليس آل كيليان -أقربائي من جانب الأم- أكثر الناس ودًّا في العالم، وفي رأيهم أن إرسال بطاقة بريديَّة في أعياد الميلاد والكريسماس يُغني عن جميع

https://jadidpdf.com

الواجبات العائليَّة الأخرى، وإذا تلقَّيت واحدةً في الڤالانتاين أو عيد الفِصح فإن هذا يعدُّ كرمًا مبالَغًا فيه. في الكريسماس أتَّصلُ بأختي أو تتَّصلُ بي فنتبادل الهراء المعتاد عن لقاءٍ قريب لا يحدث أبدًا، ثم يضع كلٌّ منا السمَّاعة شاعرًا بما أعتقدُ أنه راحة متبادَلة.

الخيار التالي في القائمة أن تدعو صديقًا مقرَّبًا لاحتساء المشروبات وتشرح له الموقف ثم تَطلُب نصيحته، لكني لطالما كنتُ صبيًّا خجولًا كبر ليصبح رجلًا خجولًا، كما أن وظيفتي البحثيَّة الحاليَّة تجعلني أعملُ وحدي (بناءً على طلبي) وليس لي زملاء من الممكن أن تتطوَّر علاقتي بواحدٍ أو أكثر منهم ليُصبِح صديقًا.

كان لي عدة أصدقاء في عملي القديم (سونيا ديميكو وكليڤ فارِل كانا اثنين منهم)، لكنهم ماتوا جميعًا بالطبع.

فكَّرتُ أنه إذا لم يكن لك صديق يُمكنك أن تتكلَّم معه، فإن أفضل خيارٍ لديك أن تستأجِر صديقًا.

يُمكنني بالتأكيد تحمُّل تكلفة العلاج النَّفسي، وخطر لي أن بضع جلساتٍ على أريكة طبيبٍ نفسيٍّ ما (أربع جلساتٍ مثلًا) قد تكون كافيةً لأن أشرح ما حدث وأبيِّن كيف جعلني أشعرُ بوضوح. كم ستُكلِّفني الجلسات الأربع؟ ستمئة دولار؟ ثمانمئة؟ هذا ثمن عادل لشيءٍ من راحة البال في رأيي. خطر لي أيضًا أن هذا سينطوي على فائدةٍ أخرى، ألا وهي وجود شخصٍ غريب غير منحاز قد يتمكَّن من رؤية تفسيرٍ عقلانيٍّ بسيط فاتتني ملاحظته في خضم ارتباكي. في

https://jadidpdf.com

عقلي كان الباب الموصد بيني وبين العالم الخارجي يكفي للتخلُّص من الأشخاص من هذا النوع في المعتاد، لكننا نتكلَّم عن عقلي الآن. أوَ ليست هذه هي المسألة؟ أو ربما المشكلة؟

لقد خطَّطتُ لكلِّ شيء. في الجلسة الأولى سأحكي ما حدث، وعندما يحين موعد الجلسة الثانية سأجلبُ معي الأشياء التي وجدتها -النظَّارة والمكعَّب والمحارة والمضرب وآليس والوسادة الشهيرة- كي يطَّلع عليها طبيبي النَّفسي. وبالنسبة إلى الجلستين المتبقيتين فسأخصِّصهما لمحاوَلة التوصُّل مع صديقي المستأجَر إلى سبب هذا الميل المزعج في محور حياتي وإعادة الأمور إلى نصابها السابق.

طبعًا الظهيرة التي قضيتها في تصفُّح الإعلانات وطلب أرقام الهاتف كانت تكفي لأن أرى أن فكرة العلاج النَّفسي غير عمليَّة على أرض الواقع بغضِّ النظر عن نجاحها النظري. أقرب ما توصَّلت إليه في تحديد موعدٍ مع طبيبٍ نفسي كان عندما أخبرَتني موظَّفة الاستقبال عنده أن الدكتور ياوس قد يتمكَّن من حجز موعدٍ لي في يناير المقبل، وشدَّدت على كلمة (قد) هذه. غنيٌّ عن الذِّكر أنني لم أجد أملًا مع بقيَّة الأطباء الذين جرَّبت الاتصال بهم. حاولتُ مع ستةٍ منهم في نيو آرك وأربعةٍ في وايت بلينز، بل إنني جرَّبت من يُمارِس التنويم المغنطيسي في كوينز أيضًا، لكن بلا طائل. خطر لي أن محمد عطا وزملاءه في كتيبة الانتحاريين أنزلوا بنيويورك أسوأ كارثةٍ ممكنة، لكن تلك الظهيرة التي قضيتها على الهاتف أكَّدت لي أن ما فعلوه جعل نشاط الأطباء النفسيِّين يزدهر حقًّا.

https://jadidpdf.com

إذا أردت الاستلقاء على أريكة الطبيب النَّفسي في صيف ٢٠٠٢، كان عليك أن تأخذ رقمًا وتنتظر دورك.

كان بإمكاني النوم في وجود تلك الأشياء في شقَّتي، لكن ليس جيدًا.

كانت تَهمِس لي...

أستلقي في الفراش مستيقظًا حتّى الثانية صباحًا في بعض الأحيان، وأفكِّرُ في مورين هانون التي ارتأت أنها بلغت سنًّا -وكفاءةً في العمل تجعلهم عاجزين عن الاستغناء عنها- تسمح لها بأن تُصفِّف شَعرها الأبيض الطويل الجميل كيفما شاءت، أو أفكِّرُ في المرَّات العديدة التي اختطف فيها البعض وسادة جيمي إيجلتن ليعبثوا بها في حفلات الكريسماس التي اعتدنا إقامتها في الشركة. تذكَّرتُ كيف قال لي بروس ميسون في إحدى تلك الحفلات إن هذه الوسادة تُذكِّره بالحقنة الشرجيَّة، وهو ما قادني إلى تذكُّر أنه كان صاحب المحارة. بالطبع، بروس ميسون، سيِّد الذُّباب. إن العقل ليُشبِه القرد المراوغ: أحيانًا يلتقط منك حبة الموز وأحيانًا لا يفعل، كما تقول الأغنيَّة الشهيرة. ثمَّة قصيدة لجورج سيفريس تقول: «أهذه أصوات أصدقائنا الموتى أم أنه الجرامافون؟». قد يكون من المفيد أن تطرح سؤالًا كهذا أحيانًا، بشرط أن تطرحه على أحدٍ غيرك.

أذكرُ أني ذات ليلةٍ في أواخر الثمانينات، قُرب نهاية علاقة رومانسيَّة دامت بيني وبين الكحول لمدة عامين، استيقظتُ في غُرفة

https://jadidpdf.com

المكتب بعد أن غفوت على الطاولة في منتصف الليل، فمشيتُ مترنِّحًا إلى غرفة النوم، وإذ مددتُ يدي إلى مفتاح النور رأيت من يتحرَّك في الغرفة. في غمضة عين صِرتُ شبه موقنٍ بأن لصًّا مُدمِنًا يحمل مسدسًا رخيصًا قد تسلَّل إلى شقّتي، ومن فرط الخوف كاد قلبي يثب خارج صدري. بيدِ أضأتُ الغرفة، في حين بحثت يدي الأخرى بلهفةٍ عن شيءٍ ثقيل (وكان أي شيءٍ ليَصلُح وقتها، حتّى الإطار الفِضّي الذي يحيط بصورة أمي)، عندما أدركتُ أن المتسلِّل هو أنا. كنتُ أرمقُ نفسي بعينين متّسعتين في المرآة المعلّقة على جدار الغُرفة المواجه وقد خرج نِصف قميصي من السروال وانتصب الشَّعر على مؤخِّرة عنقي. لحظتها شعرتُ بالاشمئزاز من نفسي، لكني شعرتُ بالراحة أيضًا.

أردتُ أن يكون الموقف الحالي كتلك الليلة في أواخر الثمانينات. أردتُ أن يتّضح في النهاية أنها المرآة، أو الجرامافون، أو حتّى شخص يُمارِس دعابة قاسية معي (ربما شخص يعرف لِمَ لم أكن في المكتب في ذلك اليوم في سبتمبر ٢٠٠١). لكني كنتُ أعرفُ أن الإجابة لا تكمن في أيٍّ من تلك الأشياء. الوسادة في شقّتي لا شك، وكذا آليس التي بإمكاني تمرير أصابعي على الأبازيم في حذائها السيراميك وتحسُّس شعرها الأصفر، وأستطيعُ قراءة التاريخ المكتوب على البنس المعلّق في المكعَّب الزجاجي دون مجالٍ للخطأ.

أذكرُ الآن أن بروس ميسون -رجل المحارة أو سيِّد الذُّباب كما كنا نُطلِق عيه- أخذ محارته الورديَّة معه إلى حفل الشركة الراقص على شاطئ جونز بيتش في يوليو السابق لسقوط السماء، ونفخ

https://jadidpdf.com

فيها ليستدعينا لتناوُل غداءٍ شهي من ساندويتشات الهوت دوج والهامبرجر، ثم إنه حاول أن يُري فريدي لاوندز كيف يَستَخدِمها، لكن الأصوات التي خرجت منها لم تختلف كثيرًا عن الأصوات الصادرة من وسادة جيمي إيجلتن!

وتستمرُّ تداعيات الذكريات، وفي النهاية تجد أنك على وشك أن تستجمع الصورة الكاملة.

في أواخر سبتمبر ٢٠٠٢ خطرت لي واحدة من تلك الأفكار شديدة البساطة، التي تجعلك تشعر بالغباء لأنك لم تُفكِّر فيها من قبل. لماذا أحتفظُ بكلِّ هذه الأشياء غير المرغوبة أصلًا؟ لمَ لا أتخلَّصُ منها ببساطة؟ إنها ليست أمانة معي مثلًا، وأصحابها لن يعودوا ليُطالِبوا بها في وقتٍ لاحق. آخِر مرَّةٍ رأيتُ فيها وجه كليف فارِل كانت على مُلصَقٍ في الشارع، وآخِر تلك المُلصَقات مُزِّقَ في نوفمبر ٢٠٠١. كان الشعور العام -وإن لم يتكلَّم عنه أحد صراحةً- أن كلَّ هذا الإعراب عن التقدير لضحايا العمل الإرهابي الشنيع يُنفِّر السائحين الذين كانوا قد بدأوا في العودة من جديدٍ إلى مدينة المرح. الذي حدث كان رهيبًا بكلِّ المقاييس، لكن أمريكا لا تزال موجودة رغم كلِّ شيء.

ليلتها كنتُ قد ابتعتُ الطعام الصيني من ذلك المطعم الذي أحبه على بُعد شارعين، وأنوي أن أتناوله وأنا أشاهد تشاك سكاربورو يشرح حقائق العالم لي من وراء شاشة التليفزيون كما هي العادة.

https://jadidpdf.com

كنتُ أفتحُ التليفزيون عندما جاءت لحظة التنوير: إنها ليست أمانة معي فعلًا، تلك التذكارات المتبقية من آخر يومٍ شعرنا فيه بالأمان، كما أنها ليست أدلَّة كذلك. نعم، ثمَّة جريمة وقعت ولا أحد يُجادِل في هذا، لكن المجرمين الذين ارتكبوها ماتوا، ومن وضعوهم على هذا الطريق المجنون هاربون مُطارَدون. قد تقام محاكمة في وقتٍ لاحِق، لكن أحدًا لن يستدعي سكوت ستالي للوقوف على منصَّة الشهود، ولن تُدرَج وسادة جيمي إيجلتن في أدلَّة الجريمة أبدًا.

تركتُ الدجاج الذي ابتعته من مطعم جنرال تسو على طاولة المطبخ في الطبق الألومينيوم، والتقطتُ كيسًا قماشيًّا من على الرف المثبَّت فوق الغسَّالة التي نادرًا ما أستخدمها، وكوَّمتُ فيه الأشياء (ولحظتها شعرتُ بالدهشة من خفَّتها ومن الفترة الطويلة التي انتظرتها حتّى توصَّلتُ إلى تصرُّفٍ بهذه البساطة)، ثم ركبتُ المصعد إلى اللوبي وقد وضعتُ الكيس بين ساقَي. ثم إنني اتَّجهتُ إلى تقاطُع الشارعين ٧٥ وبارك متلفِّتًا حولي لأتأكَّد من عدم وجود من يُراقِبني (والله وحده يعلم لِمَ شعرت بالحاجة إلى التسلُّل خلسةً هكذا)، ثم وضعتُ الكيس على الأرض وانصرفتُ ملقيًا نظرةً واحدةً ورائي. كانت يد المضرب بارزةً من الكيس تدعو أيَّ عابر سبيل إلى أخذ كلِّ شيء، ولم أشعر بأدنى شكٍّ في قدوم أحدهم بعد قليل ليأخذ الحمولة التي تركتها، على الأرجح قبل أن يُفسِح تشاك سكاربورو المجال لجون ساينجنثالور أو غيره من الضيوف في برنامج توم بوركو الشهير تلك الليلة.

في طريق العودة إلى شقَّتي توقَّفتُ عند المطعم الصيني من أجل

https://jadidpdf.com

طلبٍ جديدٍ من الدجاج، وهناك سألَتني روز مينج الجالسة إلى ماكينة النقود بقلق إن كان الطلب السابق لم يَرُقني، فقلتُ لها إنني فقط شعرتُ بشهيَّةٍ لتناوُل وجبتين الليلة، فضحكَت كأن ما قلته أطرف شيءٍ سمعته في حياتها على الإطلاق، وضحكتُ بدوري بشدَّة. إنه ذلك النوع من الضحك الذي يتجاوَز مجرَّد الشعور بالمرح، ولا أذكرُ آخر مرَّةٍ ضحكت فيها هكذا. بالتأكيد لم أضحك هكذا منذ سقوط البرجين.

ركبتُ المصعد إلى الطابق الرابع، وقطعتُ الاثنتي عشرة خطوة الفاصلة بيني وبين شقَّتي في ٤-ب. كنتُ أشعر كمن يستيقظ بعد مرضٍ مؤلمٍ طويل ليجد أنه قد تحسَّن، وأدرتُ المفتاح في الباب وقد دسستُ كيس الطعام تحت إبطي. أشعلتُ الضوء، وهناك، على الطاولة الصغيرة التي أضعُ عليها الفواتير التي يجب عليَّ دفعها، والشيكات التي يجب صرفها، وإيصالات الكُتب التي استعرتها وتأخَّرت في إرجاعها، وما إلى ذلك من أشياء، كانت تقبع النظَّارة ذات الإطار الأحمر والعدستين المُشكَّلتين كالقلب من فيلم «*Lolita*» الأول التي كانت ملكًا لسونيا ديميكو، سونيا ديميكو التي قال وارن أندرسن (وهو النَّاجي الآخر الوحيد من موظَّفي شركتنا القديمة على حدِّ علمي) إنها وثبت من الطابق المئة وعشرة من البرج المتداعي.

قال أندرسن إنه رأى صورةً التُقِطَت لها وهي تَسقُط؛ رأى صورةً لسونيا وقد ثبَّتت يديها على تنورتها كي لا تكشف عن فخذيها،

https://jadidpdf.com

وتطايَر شَعرها على خلفية الدخان الذي غمر سماء نيويورك يومها. جعلني الوصف أفكِّرُ في قصيدة (السقوط)، التي كتبها جيمس ديكي عن الفتاة التي تُحاوِل توجيه جسدها الساقط نحو المياه، كأنها ستثب واقفةً على قدميها مرَّة أخرى وتطلب الكوكا-كولا.

- «أفرغتُ معدتي عندما رأيتها»، قالها لي وارن أندرسن في تلك الليلة في البار. «لا أريدُ أن أرى صورةً كتلك مرَّة أخرى يا سكوت، لكني أعرفُ أني لن أنساها أبدًا. كان وجهها ظاهرًا في الصورة، وبشكلٍ ما أظنُّ أنها كانت مؤمنةً بأن... بأن كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام».

لم يحدث قَط أنني صرختُ منذ أن صرتُ رجلًا راشدًا، لكني كدتُ أفعلها عندما رأيتُ نظَّارة سونيا ديميكو ومضرب كليف فارِل الموضوع في الرُّكن عند مدخل غُرفة المعيشة، كأن صاحبه أسنده هناك بعد عودته من مباراةٍ للبيسبول. لا بد أن جزءًا ما من عقلي قد تذكَّر أن باب الطُّرقة الخارجيَّة لا يزال مفتوحًا، وأن جيراني في الطابق الرابع سيسمعونني لا شكَّ إذا صرختُ، وعندها سأضطرُّ إلى اختلاق حجَّةٍ ما.

أطبقتُ بيدَي على فمي لأكتم الصرخة، فسقط كيس الطعام على الأرض ليتمزَّق، لكن حالتي لم تُتِح لي ترف إلقاء نظرةٍ على الفوضى التي سبَّبها هذا. ألقيتُ بجسدي على المقعد الوحيد الذي أضعه في الردهة، وغطَّيتُ وجهي بيدَي باذلًا ما أستطيعُ كي لا

https://jadidpdf.com

أصرخ أو أبكي، ثم بعد قليلٍ نهضت لأنظِّف قِطَع الطعام المتناثرة على الأرض. ظلَّ عقلي يحاول التفكير في الأشياء التي سبقَتني إلى البيت من تقاطُع ٧٥ وبارك لكني لم أسمح له، وكلما حاولَت أفكاري الوثوب في ذلك الاتجاه كنتُ أسحبها بعيدًا عنه قدر المستطاع.

في تلك الليلة استلقيتُ في الفراش أصغي إلى كلامها وكلامهم. بدأت الأشياء تتكلَّم أولًا بأصواتٍ خفيضة، ثم بدأ أصحابها في الردِّ بأصواتٍ أعلى قليلًا. كانوا يتكلَّمون أحيانًا عن الرحلة إلى جونز بيتش، عن رائحة جوز الهند المميِّزة للكريم المضاد لأشعَّة الشمس الذي وضعه الجميع يومها، ولويس بيجا الذي لم يكفَّ عن الغناء في الميكروفون الذي جلبه ميشا بريزينسكي، والأقراص الطائرة التي أخذت الكلاب تُطارِدها بمرحٍ في ذلك اليوم الصحو، والأطفال يبنون قلاعًا من الرمال وقد لوَّثوا أغلب الكراسي بملابسهم المبتلَّة والرمل.

كم طفلًا فقد أباه أو أمَّه يوم سقطت السماء؟

لعمري هذه مسألة حسابيَّة لا أريدُ أن أجريها، لكن الأصوات التي سمعتها في شقَّتي أرادت إجراءها مرارًا وتكرارًا.

أذكرُ بروس ميسون الذي نفخ في محارته وأعلن أنه سيِّد الذُّباب، وأذكرُ مورين هانون التي قالت لي -في يومٍ آخَر غير يوم الشاطئ- إن «آليس في بلاد العجائب» كانت أول رواية تشرح الصدر في التاريخ، وأذكرُ جيمي إيجلتن الذي ذكَر لي في مرَّةٍ إن ابنه يعاني إعاقة تجعله بطيء التعلُّم، بالإضافة إلى التهتهة. عرضٌ خاص، إصابتان

https://jadidpdf.com

بسعر واحدة، وسيحتاج الطفل إلى مدرِّس خصوصي للرياضيَّات وآخر للغة الفرنسية إذا كانت هناك نيَّة لتخرُّجه في المدرسة الثانويَّة في المستقبل القريب.

كنتُ قد بدأتُ أغيبُ في النوم فعلًا، لكن تلك الذكرى الأخيرة أيقظتني من جديد لأنني تذكَّرت أن تلك المحادثة سبقت ١١ سبتمبر بأيامٍ قلائل، ربما يوم الجمعة السابق له مباشرةً، وهو ما يجعلها آخِر مرَّةٍ رأيت فيها جيمي إيجلتن حيًّا. والصغير الذي يعاني التهتهة، أكان اسمه جيريمي كما في جيريمي آيرونز؟ بالتأكيد لا. لا بد أن عقلي (الذي يلتقط مني حبة الموز أحيانًا وأحيانًا لا يفعل) يُمارِس ألاعيبه الصغيرة المعتادة، لكنني أكادُ أقسمُ أن اسم الصبي كان قريبًا من هذا. جيسون ربما أو جاستن. في آخِر الليل ترتبك الأشياء كلها، وأذكرُ أنني فكَّرتُ أنني سأفقدُ عقلي حتمًا لو اتَّضح أن اسم الصبي جيريمي فعلًا. إنها القشَّة التي تقسم ظهر البعير يا عزيزي.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عندما تذكَّرت أخيرًا أن رولاند آبلسن كان صاحب المكعَّب ذي البنس المعدني المعلَّق. كانت عادة رولاند أن يقول مازحًا دائمًا إن زميلتنا لوسي لديها ما يجب أن تُفسِّره. في خريف ٢٠٠١ رأيتُ أرملته في نشرة أخبار السادسة، وكنتُ قد تبادلتُ بضع عباراتٍ معها في واحدةٍ من رحلات الشركة (تلك الرحلة إلى جونز بيتش غالبًا)، وخطر لي أنها حسناء حقًّا، لكن الترمُّل أخذ هذا الحُسن وحوَّله إلى جمالٍ خارِق. أخذت تشير إلى زوجها في نشرة الأخبار باعتباره مفقودًا وليس

https://jadidpdf.com

ميتًا، وإذا عاد إليها حيًّا فلا بد أن لديه ما يجب أن يُفسِّره. طبعًا، لكن في تلك الحالة عليها أن تُفسِّر بدورها كيف تسبَّبت واحدة من كبرى جرائم القتل الجماعي في التاريخ في تحوُّلها من مجرَّد امرأةٍ حسناء إلى الفاتنة التي صارتها!

أستلقي في الفراش مستيقظًا وأستمرُّ في اجترار الذكريات؛ ارتطام ألواح التزلُّج بالأمواج، والأقراص الطائرة في أفواه الكلاب، وأيدي الأطفال في ذلك اليوم في جونز بيتش، وسرعان ما ملأني حزن عميق ظلَّ يتراكم في داخلي إلى أن أفرغته دموعًا. لكن يجب أن أعترف بأنها كانت تجربة تعليميَّة رغم كلِّ شيء، إذ كانت تلك هي الليلة التي أدركتُ فيها أن الأشياء -حتى الصغير منها كبنسٍ معلَّق في مكعَّبٍ زجاجي- يُمكنها أن تزداد ثقلًا مع مرور الزمن. لكن لأن الثقل غير واقع على جسدك المادي، فليست هناك معادَلة رياضية تُسعِفك بالحل كالمعادلات التي كنا نستخدمها في شركة التأمين، عندما ترتفع قيمة وثيقة التأمين على الحياة إلى (س) إذا كنت مدخِّنًا، وتزداد تغطية محصولك إلى (ص) إذا ضرب إعصار مزرعتك. هل تفهم ما أعنيه؟

إنها أشياء تُثقِل العقل، وتُثقِل الروح.

جمعتُ الأشياء كلها في الصباح التالي من جديد بعد أن وجدتُ واحدًا آخَر تحت الأريكة. كان ميشا بريزينسكي يحتفظ في مكتبه -الذي كان مجاورًا لمكتبي- باثنتين من دُمى «پَنش آند جودي»

https://jadidpdf.com

الشهيرة، وما وجدته تحت أريكتي كان دُمية پَنش، أما دُمية جودي فلم يكن لها أثر، لكن الأخرى كانت تكفيني على كلِّ حال. سحبتُ الدُّمية شاعرًا بالبغض نحو خطٍّ الغبار الذي خلَّفته وراءها. الأشياء التي تترك أثرًا أشياء حقيقية ذات وزنٍ ولا مجال للتشكيك في وجودها. وضعتُ الدُّمية مع بقيَّة الأشياء في الخزانة الصغيرة المعلَّقة في المطبخ حيث ظلَّت. في البدء لم أكن واثقًا ببقائها هناك، لكنها ظلَّت في مكانها.

---

قالت لي أمي ذات يومٍ إنه إذا مسح رجل مؤخِّرته ورأى قطراتٍ من الدَّم على ورق الحمَّام الذي استخدمه، فإن أفضل ما يفعله أن يقضي حاجته في الظلام طوال الأيام الثلاثين التالية ويأمل أن تتلاشى المشكلة من تلقاء ذاتها. استخدمَت أمي هذا المثال كي تُعبِّر عن إيمانها بأن حجر زاوية الفلسفة الذُّكورية هو أنك إذا تجاهلت المشكلة فقد تحل نفسها بنفسها. وأنا تجاهلتُ الأشياء التي وجدتها في شقَّتي وأملتُ أن تنتهي المشكلة، والحق أقولُ إنني شعرتُ بقدرٍ من التحسُّن. صرتُ نادرًا ما أسمع الأشياء تهمس لي من خزانة المطبخ (اللهم إلا في الليل)، وإن أضحيتُ أفضِّلُ ممارسة عملي البحثي في مكانٍ آخر خارج الشقَّة، ومع حلول منتصف نوفمبر كنتُ قد صرتُ أقضي معظم وقتي في مكتبة نيويورك العامَّة، وأعتقدُ أن تمثالَي الأسدين الواقفين على المدخل اعتادا رؤيتي في دخولي وخروجي.

سارت الأمور على هذا المنوال حتّى الأسبوع السابق لعيد

https://jadidpdf.com

الشُّكر، عندما كنتُ أغادرُ البناية ذات يومٍ فالتقيتُ پولا روبسن مصادفةً، الأميرة بارعة الحُسن التي كان قد سبق لي أن أنقذتها بإصلاح مُكيِّف الهواء في شقَّتها. الذي حدث لحظتها كان تلقائيًّا تمامًا، فلو كان قد أتيح لي ما يكفي من الوقت، فإنني مقتنعٌ بأني لم أكن لأنطق كلمةً واحدةً، لكنني وجدتُ نفسي أسألها إن كان يمكنني دعوتها إلى الغداء لأحدِّثها عن شيءٍ ما.

- «الحقيقة أن لديَّ مشكلة، وأتساءل إن كان بإمكانك مساعدتي».

كان پدرو البوَّاب جالسًا في الركن يقرأ الـ«*New York Post*» (ويُصغي إلى كلِّ كلمةٍ تقال لا ريب، فبالنسبة إليه حياة ساكني البناية أفضل دراما واقعيَّة يُمكنه مشاهدتها على الإطلاق). منحتني پولا ابتسامةً تجمع بين اللُّطف والعصبيَّة وقالت: «أظنُّ أنني مدينة لك، لكنك تعلم أنني متزوِّجة، أليس كذلك؟».

أجبتُ بالإيجاب دون أن أضيف أنها سبق وصافحتني باليد الخطأ كي لا تدع مجالًا لعدم مُلاحَظتي خاتم زفافها.

هزَّت رأسها وأضافت: «لا بد أنك رأيتنا معًا مرَّتين على الأقل، لكنه كان في أوروپا عندما كان المُكيِّف معطَّلًا، وهو في أوروپا الآن أيضًا. اسمه إدوارد. لقد قضى خلال العامين الماضيين وقتًا في أوروپا أكثر مما قضاه هنا، وعلى الرغم من أن هذا الوضع لا يروقني كثيرًا فإنني أؤكِّدُ لك أنني متزوِّجة جدًّا»، وصمتت لحظةً قبل أن تُردِف: «إنه يعمل في الاستيراد والتصدير».

https://jadidpdf.com

خطر لي أن أقول إنني كنت أعمل في مجال التأمين إلى أن جاء يوم وانفجرت الشركة، لكني فضَّلت أن أقول شيئًا أكثر عقلانيَّة.

- «لستُ أريد موعدًا غراميًّا يا مسز روبسن».

أكانت هذه لمحة من خيبة الأمل في عينيها؟ خطر لي للحظةٍ أنها كذلك فعلًا، لكنني نجحتُ في إقناعها على الأقل بأنني ما زلتُ مأمون الجانب. وضعت يديها على فخذيها وقالت بغضبٍ مصطنَع (أو لعله لم يكن مصطنَعًا تمامًا): «ماذا تريد إذن؟».

- «أحدًا أتكلَّم معه فقط. لقد جرَّبتُ عدة أطباء نفسيين، لكنهم مشغولون».

- «كلهم؟».

- «يبدو هذا».

- «إذا كنت تعاني من مشكلةٍ في حياتك الجِنسيَّة، أو تشعر بحافزٍ مُلِح لقتل الملتحين مرتديي العمامات في المدينة، فلا أريدُ أن أسمع شيئًا من هذا».

- «لا شيء من هذا على الإطلاق، أؤكِّدُ لك».

كنتُ أقولُ الحقيقة طبعًا، وإن أغفلتُ أن أقول شيئًا على غرار «أؤكِّدُ لك أنني لن أصدمك»، أو «لن تحسبينني مجنونًا».

- «لا أريدُ إلا تناوُل الغداء ونصيحة صغيرة، هذا كل ما هنالك».

https://jadidpdf.com

كنتُ مندهشًا -بل مذهولًا- من قُدرتي على الإقناع. لو كنتُ قد خطَّطت لهذه المحادثة مسبقًا فأنا واثق بأنني كنتُ لأُفسِد الأمر كله. أعتقدُ أنها شعرت بالفضول، وأنها ميَّزت الصِّدق في نبرات صوتي. لعلها خمَّنت أيضًا أنني لو كنتُ من الرجال الذين يُحاوِلون التقاط النساء في أيِّ مناسَبة، لكان اليوم الذي أصلحتُ فيه مُكيِّف الهواء في شقَّتها في أغسطس فرصة مثاليَّة، عندما كنا وحدنا تمامًا وقد غاب إدوارد في فرنسا أو ألمانيا. أتساءلُ أيضًا عن قدر اليأس الذي رأته في ملامحي.

في النهاية وافقت پولا على تناوُل الغداء معي في اليوم التالي في مطعم دونالدز جريل في نهاية الشارع، وهو المطعم الذي أحسبه الأقل رومانسيَّة على الإطلاق في مانهاتن كلها. ليس هناك سوى طعام جيِّد ومصابيح فلورسنت وسُقاة يقول أسلوب تَعامُلهم لك بكلِّ صراحةٍ إنهم يرغبون في أن تتناول طعامك ثم تنصرف وتَترُك مكانك للزبون التالي. اقترحت پولا المكان بأسلوب امرأةٍ ترغب في تسديد دَينٍ قديم كانت قد نسيته، وهو ما لم يُشعِرني بالكثير من الإطراء، لكن لا بأس. الظهيرة موعد مناسب لها، ويُمكننا أن نلتقي في لوبي البناية لنسير إلى هناك معًا، وقلتُ لها إن هذا يناسبني أيضًا.

خلدتُ إلى النوم في الحال تقريبًا في تلك الليلة، ولم أحلم بسونيا ديميكو وهي تَسقُط من البرج المحترق وقد جذبت تنورتها بيديها كي لا تَكشِف عن فخذيها.

https://jadidpdf.com

سألتُ بولا في اليوم التالي ونحن نقطع الشارع ٨٦ أين كانت عندما سمعت الخبر.

- «سان فرانسسكو. كنتُ غائبة في النوم في جناحٍ بفندق واردلينج، وإدوارد إلى جواري يغطُّ كالمعتاد. كان المفترَض أن أعود إلى نيويورك في اليوم التالي ويذهب إدوارد إلى لوس أنجليس لحضور اجتماعٍ ما. يومها أطلقَت إدارة الفندق إنذار الحريق».

- «لا بد أن هذا جمَّد الدماء في عروقك».

- «حقًّا، وإن حسبتُ في البداية أنه زلزال وليس حريقًا. ثم خرج هذا الصوت من السمَّاعات المنتشرة في أروقة الفندق ليُخبِرنا بأنه لا يوجد حريق، لكن نيويورك تتعرَّض إلى هجومٍ غير مسبوق».

- «ربَّاه!».

- «سماع الخبر هكذا وأنا في مكانٍ غريب... سماعه قادمًا من السقف كأنه صوت السماء المنذِر بالويل...»، وهزَّت رأسها وقد زمَّت شفتيها بقوة، ثم أضافت: «كان الموقف مرعبًا بكلِّ المقاييس. أتفهَّمُ الحاجة إلى إعلان خبرٍ كهذا في الحال، لكنني ما زلتُ لا أستطيعُ أن أسامح إدارة الفندق على إعلانه بتلك الطريقة، ولا أظنُّ أنني سأنزلُ عندهم مرَّة أخرى».

- «وهل ذهب زوجك إلى اجتماعه؟».

- «ألغوه، وأظنُّ أن كثيرًا من الاجتماعات قد ألغي يومها.

https://jadidpdf.com

مكثنا في الفراش أمام التليفزيون إلى أن أشرقت الشمس محاولين أن نستوعب ما يحدث. هل تفهم ما أعنيه؟».

- «بالتأكيد».

- «تساءلنا عمن قد يكون هناك من معارفنا، ولم نكن الوحيدين على ما أعتقدُ».

- «وهل كان هناك أحد؟».

- «سمسار من شركة شيرسن ليهان ومساعد مدير مكتبة بوردرز في المركز التجاري. الأول لم يحدث له شيء، والثاني... أنت تعرف. وماذا عنك؟».

اتَّضح أنني لم أكن في حاجةٍ إلى التمهيد، فلم نكن قد بلغنا المطعم بعدُ عندما فتح الموضوع نفسه.

- «كان من المفترَض أن أكون هناك. كنتُ أعمل في شركةٍ في الطابق المئة وعشرة».

تجمَّدت بولا في مكانها وحلقت إليَّ بعينين متَّسعتين. أظنُّ أننا بدونا كحبيبين للمارَّة حولنا لحظتها.

- «سكوت، لا!».

- «سكوت، نعم!»، قلتها بهدوء، ثم إنني أفصحتُ لأحدهم أخيرًا عن استيقاظي صباح ١١ سبتمبر متوقِّعًا أن أمارس طقوسي اليوميَّة المعتادة، بدايةً باحتساء كوب القهوة السوداء فيما أحلقُ ذقني، وحتّى كوب الكاكاو الذي أتناوله في منتصف الليل في

https://jadidpdf.com

أثناء مشاهَدة موجز الأنباء. يومٌ كأيٍّ يومٍ آخر كما حسبتُ. أظنُّ أن هذا ما أصبح الأمريكيون يعتبرونه نمط حياتهم الطبيعي الذي لا يتبدَّل، لكن انظر ما حدث. إنها طائرة! طائرة ترتطم بناطحة سحاب! ها ها! لقد خُدِعتَ يا أحمق ونِصف العالَم يضحك منك!

حكيتُ لها أنني تطلَّعتُ من نافذتي لأرى سماء السابعة صباحًا صافيةً تمامًا، وقد اكتست بتلك الدرجة شديدة العُمق من الأزرق التي تجعلك تحسب أنك تستطيع رؤية النجوم من ورائها. ثم إنني حكيتُ لها عن الصوت. أعتقدُ أن كلنا لديه عدد من الأصوات في رأسه يعتاد وجوده. عندما كنت في السادسة عشرة خاطبني واحد من تلك الأصوات. طبعًا لم أحكِ لپولا عن تلك المغامرة المشينة. أعتبرُ هذا الصوت بالذات صوت انعدام المسؤولية المُطلَق، أو «مستر يو جيت داون» كما أطلقتُ عليه.

سألتني پولا باستغراب: «مستر يو جيت داون؟».

- «تكريمًا لجيمس براون، مطربي المفضَّل».

- «أوكاي!».

كان مستر يو جيت داون نادرًا ما يُخاطِبني وقتها، خصوصًا أنني كنتُ قد أقلعتُ عن الكحول تمامًا، لكنه أفاق من غفوته في ذلك النهار كي يُلقي عليَّ اثنتي عشرة كلمة لا أكثر، لكنها كانت الكلمات التي غيَّرت حياتي تمامًا، وأنقذتها.

الكلمات الخمس الأولى (وأنا جالس على حافَّة الفراش): «اتَّصل

https://jadidpdf.com

بالمكتب وأخبرهم بأنك مريض!»... ثم الكلمات السبع التالية (وأنا أمشي متهاديًا نحو الحمَّام أحكُّ مؤخّرتي): «يُمكنك أن تقضي اليوم في سنترال پارك!».

لم يكن هذا هاجسًا على الإطلاق. كان صوت مستر يو جيت داون بكلِّ وضوح وليس صوت السماء، وهو مجرَّد تنويع آخر على صوتي أنا (كما جميع الأصوات الأخرى) يقول لي أن أتكاسل وأتخلَّف عن العمل اليوم. أذكرُ أن آخِر مرَّةٍ سمعتُ فيها هذا الصوت كانت خلال مسابقة كاريوكي في بار في أمستردام آفنيو قبل أعوام، عندما قال: «فلتصعد إلى المنصَّة وتُغنِّي لنيل دياموند! هَلُمَّ، امرح قليلًا!».

قالت پولا بابتسامةٍ صغيرة: «أظن أنني أفهم ما تعنيه».

- «فعلًا؟».

- «حدث مرَّة أنني خلعتُ قميصي ورقصتُ في أحد بارات كي وست لأربع عشرة دولارات! إدوارد لا يعرف هذه القِصَّة، وإذا حكيتها له فسأضطرُ إلى أن أطعنك في عينك بمسمار!».

- «انطلقي يا فتاة!»، صحت بها مازحًا، فاكتست ابتسامتها بنوعٍ من الحنين جعلها تبدو أصغر وأجمل، ولحظتها خطر لي أن هناك فرصة ما لنجاح علاقتنا.

دخلنا مطعم دونالدز. كان هناك ديك رومي مصنوع من الورق المقوَّى على الباب، وصور للمهاجرين مصنوعة أيضًا من

https://jadidpdf.com

الورق المقوَّى معلَّقة على الجدران. إن عيد الشُّكر يدنو إذا كنت قد نسيت.

- «لقد أصغيتُ إلى مستر يو جيت داون، وهأنذا هنا حيٌّ أرزَق، لكن ثمَّة أشياء أخرى هنا أيضًا، أشياء لا أستطيع الخلاص منها، وهي ما أريدُ أن أتكلَّم معك عنه».

قالت بشيءٍ من عدم الراحة: «دعني أكرِّرُ أنني لستُ طبيبة نفسية. لقد درستُ اللغة الألمانية والتاريخ الأوروبي».

قلتُ لنفسي إنها قد تملك الكثير مما تتكلَّم عنه مع زوجها، وما قلته لها إنني في حاجةٍ إلى الكلام مع أحدٍ لا أكثر.

- «ليكن، ما دمت تضع هذا في الاعتبار».

أملينا طلبنا على أحد السُّقاة -قهوة منزوعة الكافيين لها وعاديَّة لي- ثم طلبَت مني أن أريها الأشياء التي ذكرتها.

- «هذا واحد منها»، قلتها مُخرِجًا البنس المعلَّق في المكعَّب الزجاجي ووضعته على الطاولة، ثم إنني حكيتُ لها عن الأشياء الأخرى وأصحابها، عن كليف فارِل محب البيسبول، ومورين هانون التي تطيل شَعرها الأبيض إلى خصرها كدلالةٍ على عدم قُدرة الإدارة على الاستغناء عن خدماتها، وجيمي إيجلتن الذي يملك حاسَّة خاصَّة تتيح له تمييز عمليات النَّصب، وابنًا ذا إعاقةٍ تجعله بطيء التعلُّم، ووسادة تُصدِر صوت إخراج الريح يحتفظ بها في مكتبه ولا يُخرِجها إلا في حفلة الكريسماس، وسونيا ديميكو المحاسِبة الأفضل

https://jadidpdf.com

في الشركة التي حصلت على نظَّارة «*Lolita*» الشمسيَّة كهديَّة طلاقٍ من زوجها الأول، وبروس ميسون سيِّد الذُّباب الذي صرتُ لا أراه إلا واقفًا عاري الجذع على الشاطئ ينفخ في محارته فيما تتكسَّر الأمواج عند قدميه، وأخيرًا وليس آخرًا عن ميشا بريزينسكي الذي حضرتُ معه دستةً على الأقل من مباريات فريق المِتس. حكيتُ لها كيف وضعتُ كلَّ شيء -باستثناء دُمية يَنش- في كيسٍ قماشي تركته عند تقاطع الشارعين ٧٥ وبارك قبل أن يسبقني إلى شقَّتي لا أدري كيف، ربما لأنني توقَّفتُ عند مطعم جنرال تسو لأطلب وجبةً ثانيةً من الدجاج. طوال كلِّ هذا كان المكعَّب جاثمًا بيننا على الطاولة، وعلى الرغم من منظره الذي أشعرنا بعدم الراحة فقد نجح كلانا في تناوُل بضع لقيماتٍ من وجبته.

عندما فرغتُ من الكلام شعرتُ بتحسُّنٍ أكثر مما كنتُ آملُ، لكن الصمت الذي ران من جانبها بعدها كان شديد الثقل، فقلتُ كي أقطعه: «إذن؟ ما رأيكِ؟».

استغرقَت لحظاتٍ قبل أن تتكلَّم -ولا ألومها- ثم قالت أخيرًا: «أظنُّ أننا لم نعد الغريبين اللذين كناهما قبل قليل. إن تكوين صداقة جديدة ليس شيئًا سيئًا أبدًا، وأنا مسرورة لأنك حكيت لي عن مستر يو جيت داون هذا، ولأني حكيت لك عن الذي فعلته في البار إياه».

قلتُ إنني أشعر بالشيء نفسه، وكنتُ صادقًا.

- «والآن هل تسمح بأن ألقي عليك سؤالين؟».

https://jadidpdf.com

- «بالطبع».

- «هل تظنُّ أنك تعاني من ما يُطلِقون عليه شعور النَّاجين من الكوارث بالذَّنب؟».

- «حسبتُ أنكِ لستِ طبيبة نفسية».

- «لكني أقرأ، وأشاهدُ برنامج «*Oprah*» كذلك. زوجي يعرف هذا، وإن كنتُ أفضِّلُ ألا أثير غيظه بذِكر هذا البرنامج أمامه. إذن، هل تظنُّ أنك تعاني من شعور النَّاجين من الكوارث بالذَّنب؟».

تأمَّلتُ السؤال، وهو سؤال وجيه بالطبع، وقد طرحته على نفسي مرارًا في تلك الليالي التي استلقيتُ فيها في فراشي وقد جافاني النوم.

- «أشعرُ بالكثير منه على ما أعتقدُ، لكني لن أنكر أنني أشعرُ بالراحة لنجاتي كذلك. هل يصدمك هذا؟».

مدَّت يدها عبر الطاولة ومسَّت يدي مسَّة خفيفة وغمغمت: «إطلاقًا».

قولها هذا جعلني أشعر بتحسُّنٍ أكبر وأكبر، وضغطت يدها ضغطة خفيفة بدوري قبل أن أقول: «ما السؤال الثاني؟».

- «إلى أيِّ مدى يهمُّك أن أصدِّق قصتك عن عودة تلك الأشياء؟».

خطر لي أنه سؤال ممتاز حقًّا على الرغم من وجود المكعَّب إلى جوار وعاء السكَّر، فهو ليس بالشيء النادر في الواقع. خطر لي أيضًا

https://jadidpdf.com

أنها لو كانت قد درست الطب النَّفسي بدلًا من الألمانية لكانت قد أبلت بلاءً لا بأس به.

- «لم يَعُد هذا مهمًّا كما كان منذ ساعةٍ واحدةٍ فقط. مجرَّد أنني حكيتُ ساعدني».

هزَّت رأسها مبتسمةً وقالت: «عظيم. أفضل تخمين لديَّ إذن أن هناك من يُمارِس عليك حيلة قاسية».

- «يخدعني...»، قلتها محاولًا إخفاء إحباطي من الإجابة. لعل هناك طبقة من عدم التصديق تُغلِّف الناس في مواقف كتلك لتحميهم من الحقيقة، أو لعلي -وهو الاحتمال الأرجح هنا- لم أنجح في التعبير عن نفسي جيدًا. إنني على يقين بأن ما حدث قد حدث فعلًا، ولا يزال يحدث، تمامًا كالانهيارات الجليديَّة.

- «يخدعك... لكنك لا تُصدِّق هذا».

نقطة أخرى تُسجَّل لها لقوة الإدراك.

- «لقد أوصدتُ الباب عندما خرجت، وكان موصدًا عندما عُدت. سمعتُ صوت القفل وهو يُفتَح، وهو صوت عالٍ لا يُمكن ألا أسمعه».

- «ولو. هذا النوع من الشعور بالذَّنب غريب حقًّا، وقوي، على الأقل طِبقًا لما قرأته».

كدتُ أقولُ محتدًّا إن ما يحدث ليس شعورًا بالذَّنب، لكنه كان ليصبح القول الخطأ، فقد كانت الفرصة متاحة أمامي لتكوين

https://jadidpdf.com

صداقةٍ جديدة أنا في أمسّ الحاجة إليها بغضّ النظر عما سيحدث لاحقًا. هكذا قلتُ بلُطف: «لا أظنُّ أنه الشعور بالذّنب»، وأشرتُ إلى المكعَّب مضيفًا: «إنه موجود هنا، أليس كذلك؟ تمامًا كنظّارة سونيا وبقيَّة الأشياء. إنك ترينه كما أراه. من الجائز أنني اشتريته بنفسي من مكانٍ ما، لكن...».

وهزَّزت كتفَي وقد أغناني هذا عن إضافة أن كلينا يعرف أن كلَّ شيءٍ ممكن.

- «لا أظنُّ أنك فعلت هذا، ومع ذلك لا أستطيعُ تقبُّل فكرة أن بابًا قد فُتِحَ بين عالم الواقع ومنطقة الشَّفق فسقطت منه بضعة أشياء».

نعم، تلك هي المشكلة. بالنسبة إلى پولا تعدُّ فكرة وجود أصل خارق للطبيعة وراء الأشياء التي وجدتها في شقَّتي غير مقبولةٍ دون نقاش مهما كانت هناك حقائق تدعمها. كان عليَّ ساعتها أن أفاضل بين الرغبة في المزيد من الكلام حول هذه الفكرة والرغبة في أن تستمرَّ هذه الصداقة. وقرَّرتُ ألا أخوض في المزيد من الجدل.

قلتُ وأنا أشير إلى السَّاقي بإحضار الشيك: «حسن. يُمكنني أن أتقبَّل عدم قدرتك على تقبُّل هذه الفكرة».

سألتني وهي ترمقني بإمعان: «حقًّا؟».

- «نعم، بشرط أن نلتقي لاحتساء القهوة بين الحين والآخر أو نتبادل التحيَّة في اللوبي».

https://jadidpdf.com

- «بكلّ تأكيد».

لكنها بدت شاردةً نوعًا. كانت تتطلّع إلى المكعَّب الزجاجي والبنس المعدني بداخله. ثم إنها رفعت عينيها إليَّ، وأكادُ أقسمُ أنني لمحتُ مصباحًا يشتعل فوق رأسها كما في أفلام الكارتون. مدَّت بولا يدها والتقطت المكعَّب، والحق أقولُ إنني لا أستطيع وَصْف الخوف العميق الذي شعرتُ به عندما فعلت هذا، لكن ماذا أقولُ؟ إننا نيويوركيان جالسان في مكانٍ نظيف ذي إضاءة جيدة، ومن ناحيتها كانت قد أرست القواعد واستبعدت أيَّ تفسيرٍ خارق للطبيعة في الحال.

كانت في عيني بولا لمعة تشي بأن مستر يو جيت داون كان حاضرًا، ومن تجاربي الشخصيَّة أعرفُ أن له صوتًا تصعب مقاومته.

قالت مبتسمةً: «أعطني إياه».

في تلك اللحظة أدركت -للمرَّة الأولى فعلًا- أنها امرأة مثيرة بالإضافة إلى جمالها.

وكأني لا أعرف الإجابة سألتها عن السبب، فأجابت بالابتسامة ذاتها: «اعتبره أجري لقاء الإصغاء إليك».

- «لا أظنُّها فكرة...».

- «بل هي كذلك».

حزرتُ أن فكرةً ما قد بدأت السيطرة عليها، وعندما يحدث هذا مع الناس فإنهم لا يقبلون أن تكون الإجابة بلا.

https://jadidpdf.com

- «إنها فكرة ممتازة في الواقع. سأتأكَّدُ على الأقل من عدم عودة هذا التذكار إليك وهو يهزُّ ذيله كالكلاب. إن لدينا خزانة في شقَّتنا».

ثم أدَّت حركة پانتومايم كأنها تُغلِق باب الخزانة وتدير قرص الأرقام ثم تُلقي المفتاح وراء ظهرها.

- «ليكن. هو هديَّة مني إليكِ إذن».

وشعرتُ بشيءٍ يعتمل في داخلي أظنُّ أنه كان نوعًا من السرور الخبيث. من الواضح أن الكلام فقط لم يكن كافيًا رغم كلِّ شيء. هي لم تُصدِّقني تمامًا، وكان هناك من يرغب في هذا بشدَّة، ويشعر بالضِّيق منها لأنها لم تفعل. كان هذا الجزء يعرف تمام المعرفة أن السماح لها بالاحتفاظ بالمكعَّب فكرة بالغة السوء، لكنه شعر بالسرور مع ذلك لرؤيتها تضعه في حقيبة يدها.

- «هكذا، ماما تقول باي باي وتُعالِج كلَّ شيء. ربما عندما لا يعود إليك بعد أسبوعٍ أو اثنين -وهذا يعتمد على مدى عناد عقلك الباطن- يمكنك أن تبدأ في منح بقيَّة الأشياء كهدايا».

وكان قولها هذا الهديَّة الفعليَّة لي يومها، مع أني لم أعرف هذا في حينه.

- «ربما».

وابتسمتُ... ابتسامة كبيرة لصديقتي الجديدة... ابتسامة كبيرة لماما.

https://jadidpdf.com

لكنك ستعرفين أن الحل ليس بهذه البساطة يا عزيزتي.

ولقد فعلَت...

بعد ليالٍ ثلاث كنتُ أشاهدُ تشاك سكاربورو يتكلَّم عن أزمة المرور الأخيرة في المدينة في نشرة أخبار السادسة، عندما دقَّ جرس الباب، وبما أنني لم أكن أنتظرُ أحدًا فقد افترضت أنه طرد جاء به رافي ساعي البريد كالعادة، وفتحتُ الباب لأجد أنها پولا روبسن.

لم تكن هذه هي المرأة التي تناولتُ الغداء معها منذ أيامٍ معدودة. كانت تضع طلاء شفاهٍ خفيفًا لكن لا ماكياج آخَر من أيِّ نوع، وقد اكتست بشرتها بلونٍ أبيض مصفر كأنها سقيمة، وظهرت هالات سوداء تحت عينيها. أحسبُ أنها مرَّرت الفرشاة على شَعرها سريعًا قبل أن تنزل من شقَّتها في الطابق الخامس، لكن شَعرها بدا كالقشِّ وقد برز على جانبي رأسها، وهو ما كان من الممكن أن يبدو مشهدًا طريفًا في ظروفٍ أخرى. كانت تحمل المكعَّب أمام صدرها، ولاحظتُ أن أظفارها المقلَّمة بعنايةٍ في المعتاد قد اختفت، إذ يبدو أنها قضمتها حتّى اللحم.

الخاطر الأول الذي راودني -وليسامحني الله- أنها اختبرت الحقيقة بنفسها.

مدَّت المكعَّب إليَّ قائلة: «هاك، خُذه».

https://jadidpdf.com

تناولته منها بلا تردُّد ودون أن أنبس ببنت شفة.

- «كان اسمه رولاند آبلسن، أليس كذلك؟».

- «بلى».

- «وكان أحمر الشَّعر».

- «نعم».

- «غير متزوِّج لكنه يعول ابنًا غير شرعي من امرأة في راهواي».

لم أكن أعرف تلك المعلومة -ولا أظنُّ أن أحدًا في الشركة كان يعرفها- لكني أجبتُ بالإيجاب، وليس من أجل أن تُواصِل الكلام فحسب، فقد كنتُ متأكِّدًا من أنها على حق.

سألتها دون أن أدري سبب السؤال: «ما اسمها؟».

- «تونيا جرجسن».

كانت تتكلَّم كالمُغيَّبة، وإن كان ثمَّة شيء في عينيها جعلني لا أحتملُ النظر إليها. على أنني خزَّنت الاسم في ذاكرتي: تونيا جرجسن، راهواي.

- «لقد حاول أن يزحف تحت مكتبه، أكنت تعرف هذا؟ لا، من الواضح أنك لم تعرف طبعًا. كان شَعره يحترق ويبكي، لأنه فهم في تلك اللحظة أنه لن يشتري الزورق الذي يحلم به أبدًا، ولن يجزَّ الحشائش في منزله ثانيةً أبدًا».

ثم مدَّت يدها ووضعتها على وجنتي، وشعرتُ برعدةٍ تسري

https://jadidpdf.com

في جسدي كنتُ لأشعر بها على أيِّ حال حتّى لو لم تكن يدها شديدة البرودة.

- «في النهاية كان مستعدًّا للتخلِّي عن كلِّ سنتٍ يملكه وكلِّ سهم لديه في البورصة مقابل أن يتمكَّن من جزِّ الحشائش في منزله مرَّة أخرى. أتُصدِّق هذا؟».

- «نعم».

- «كان المكان يعجُّ بالصراخ ورائحة وقود الطائرات تُفعِم الهواء، وقد أدرك أن ساعته قد حانت. هل تفهم هذا؟ هل تُدرِك فداحة هذا؟».

هززتُ رأسي دون أن أقوى على الكلام. حتّى لو صوَّبت مسدَّسًا إلى رأسي لحظتها فلم أكن لأقوى على الكلام.

- «يتكلَّم الساسة عن نُصُبٍ تذكاري وعن الشجاعة وعن الحروب التي ستُجهِز على الإرهاب، لكن الشَّعر المحترق لا علاقة له بالسياسة. كان يحاول أن يزحف تحت مكتبه وقد اشتعل شَعره، وكان هناك شيء بلاستيكي تحت المكتب. ما... ما اسمه؟».

- «حصيرة؟».

- «حصيرة، نعم، حصيرة بلاستيكية. كان يتحسَّسها ويشمُّ رائحة شَعره المحترق. هل تستوعب هذا؟».

هززتُ رأسي وبدأت الدموع تجري على وجهي. كنا نتكلَّم عن رولاند آبلسن، الرجل الذي كان زميلي في العمل ولم أعرفه جيدًا

https://jadidpdf.com

ولم تتجاوز علاقتنا تبادُل التحيَّة، فأنى لي أن أعرف بوجود ابن غير شرعي له في راهواي؟ وإذا لم أتكاسل عن الذهاب إلى العمل يومها لكان شَعري قد احترق أيضًا. الواقع أنني لم أدرك هذه الحقيقة بهذا الوضوح من قبل.

- «لا أريدُ أن أراك مرَّة أخرى»، قالتها وهي تبكي. «لا أبالي بمشاكلك، ولا أبالي بالأشياء التي وجدتها. انتهينا. من الآن فصاعدًا ستدعني وشأني»، ودارت على عقبيها مغادرةً، ثم إنها التفتت لي وقالت: «لقد فعلوها باسم الله، لكن ليس هناك إله، أليس كذلك؟ لو كان هناك إله يا مستر ستالي لكان قد سوَّى بهم الأرض جميعًا قبل أن يصعدوا إلى متن تلك الطائرات. لكن شيئًا من هذا لم يحدث. لقد نادوا المسافرين ليصعدوا إلى طائراتهم وصعد السَّفلة معهم».

راقبتها وهي تعود إلى المصعد وقد تصلَّب ظهرها وبرز شَعرها على جانبَي رأسها كما في رسمٍ كاريكاتوري في صحيفة. لم تعد ترغب في رؤيتي مرَّة أخرى ولم أقدر على أن ألومها. أغلقتُ الباب وتطلعَّتُ إلى البنس المعدني الذي يحمل صورة أبراهام لينكلن داخل المكعَّب، وفكَّرتُ في رائحة لحية لينكلن إذا احترقت.

على شاشة التليفزيون كان هناك إعلان عن عرضٍ خاص على حشايا الأَسِرَّة، تلاه تقرير عن كرة السلَّة.

استيقظتُ في الثانية صباحًا في تلك الليلة لأسمع الأصوات

https://jadidpdf.com

تهمس لي. لم أكن قد رأيتُ أحد أصحاب الأشياء في حُلمٍ أو رؤيا، ولم أرَ أيهم وشَعره يحترق أو يثب من نافذة مركز التجارة العالمي هربًا من وقود الطائرات المحترق. ولِمَ أفعل؟ إنني أعرفُ من كانوا، والأشياء التي تركوها وراءهم تُرِكَت لي. كان من الخطأ أن أدع پولا روبسن تأخذ المكعَّب، لكن فقط لأنها الشخص الخطأ.

وعلى ذِكر پولا، فأحد الأصوات كان صوتها هي: «ربما يمكنك أن تبدأ في منح بقيَّة الأشياء كهدايا، وهذا يعتمد على مدى عناد عقلك الباطن».

ظللتُ مستلقيًا في الفراش حتّى غلبني النوم من جديد، وحلمتُ بأنني في سنترال پارك أُطعِم البط، عندما دوَّى انفجار هائل فجأةً وامتلأت السماء بالدخان، وفي الحُلم كانت للدخان رائحة الشَّعر المحروق.

فكَّرتُ في تونيا جرجسن في راهواي، وفي الطفل الذي ربما يملك عيني رولاند آبلسن وربما لا، لكنني سأكتشفُ هذا بنفسي بعد قليل. سأبدأ بأرملة بروس ميسون أولًا.

أخذتُ القطار إلى دوبز فيري، واستقللتُ سيَّارة أجرة من المحطَّة إلى المنزل الواقع في شارعٍ هادئ، وطلبتُ من السائق أن ينتظرني فلن أتأخَّر. ضغطتُ جرسَ الباب وقد وضعتُ العلبة التي تشبِه عُلب كعك أعياد الميلاد تحت إبطي. لم أضطرَّ إلى ضغط الجرس إلا مرَّةً واحدةً، لأنني اتَّصلتُ بجانيس ميسون مسبقًا وكانت

https://jadidpdf.com

تنتظرني. كنتُ قد توخَّيت الحذر في اختلاق القِصَّة التي حكيتها لها بقدرٍ معقول من الثقة.

يوم ٧ سبتمبر، قلت لها، كنتُ قد حاولتُ إخراج بعض النغمات من المحارة التي يحتفظ بها بروس على مكتبه مثلما فعل في الرحلة إياها إلى شاطئ جونز بيتش (وكانت السيدة حرم سيِّد الذُّباب حاضرة في تلك الرحلة بالطبع). كي لا أطيل عليكِ، قلت لها، نجحتُ في إقناع بروس بأن يُقرِضني المحارة خلال عطلة نهاية الأسبوع لأتمرَّن على استخدامها، ثم استيقظتُ صباح الثلاثاء ١١ سبتمبر مصابًا بميكروب في الأنف وصداعٍ قوي (وهي القِصَّة التي حكيتها لكثيرين)، وكنتُ أشربُ الشاي عندما سمعتُ الانفجار ورأيت الدخان من النافذة. لم أفكِّر في محارة بروس حتّى الأسبوع الماضي عندما وجدتها وأنا أنظِّف خزانتي، وخطر لي أن... إنها ليست تذكارًا بالضبط، لكنني فكَّرت أنك قد ترغبين في...

اغرورقت عيناها بالدموع كما حدث معي عندما أعادت پولا مكعَّب رولاند. فقط لم تكن الدموع مصحوبةً بنظرات الرُّعب التي بتُّ واثقًا بأنها كانت على وجهي إذ وقفت پولا هناك وقد شحب وجهها وبرز الشَّعر على جانبَي رأسها. قالت لي جانيس إن أيَّ تذكارٍ من بروس يُسعِدها.

قالت وهي تحمل العلبة: «لا أستطيع نسيان الطريقة التي تبادلنا بها الوداع. كان يغادر مبكِّرًا جدًّا دائمًا كي يلحق بالقطار. قبَّلني يومها على خدِّي وطلبتُ منه أن يشتري حليبًا في طريق عودته، فقال

https://jadidpdf.com

إنه سيفعل. كان هذا آخِر شيءٍ قاله لي على الإطلاق. عندما طلب الزواج بي شعرتُ يومها كأنني هيلين الطرواديَّة. أعرفُ أنه تشبيه سخيف لكنه حقيقي. أتمنى لو أنني قلتُ له شيئًا أفضل من طلب شراء الحليب، لكن أعوامًا كانت قد مرَّت على زواجنا واليوم بدا كأيِّ يومٍ آخر و... لكننا لا نعرف أيَّ شيء، أليس كذلك؟».

- «بلى».

- «بلى. أي وداع قد يكون وداعًا أبديًّا دون أن ندري. أشكرك جزيلًا يا مستر ستالي لمجيئك وإعطائي هذه المحارة. هذا لُطف بالغ منك»، وابتسمت وهي تسألني: «هل تذكر كيف وقف على الشاطئ ونفخ فيها وقد خلع قميصه؟».

أجبتُ بالإيجاب وأنا أتطلَّعُ إلى الطريقة التي تحمل بها العلبة. سوف تجلس لاحقًا وتضع المحارة في حِجرها وتبكي، لكني أعرفُ الآن أن هذه المحارة لن تعود إلى بيتي مرَّة أخرى، لأنها عادت إلى بيتها.

عُدت إلى المحطَّة وأخذت القطار إلى نيويورك. كانت العربات شِبه فارغة في هذه الساعة من اليوم، وجلستُ إلى جوار النافذة التي تلوَّثت بمياه المطر والغبار، متطلِّعًا إلى النهر وخط أفق المدينة التي تدنو. في الأيام الغائمة والمطيرة تجد أنك تخلق خط الأفق من مخيِّلتك قطعة قطعة.

غدًا أذهبُ إلى راهواي بالبنس المعلَّق في المكعَّب الزجاجي،

https://jadidpdf.com

وربما يحمله طفل رولاند آبلسن بيده الصغيرة المكتنزة ويفحصه بفضول. في جميع الحالات سيخرج من حياتي بدوره إلى الأبد. فكَّرتُ أن الشيء الوحيد الذي سيتعذَّر إرجاعه بعض الشيء هو وسادة جيمي إيجلتن، فمن الصعب أن أخبر زوجته بأنني اصطحبتها معي إلى البيت كي أتمرَّن على استخدامها! لكن الحاجة أم الاختراع، ولا شكَّ أنني سأنجحُ في اختلاق قِصَّة مُقنِعة.

خطر لي أن أشياء أخرى قد تظهر في شقَّتي في وقتٍ لاحق، وأكونُ كاذبًا إذا قلت لك إن هذا الاحتمال أزعجني كثيرًا.

حين يتعلَّق الأمر بإرجاع أشياء ظنَّ الناس أنها ضاعت إلى الأبد، أشياء لها طول وعرض وارتفاع وثقل، فأظنُّ أن هذا في حدِّ ذاته يمنحك شعورًا لا يُضاهى بالرضا، حتّى إذا كانت أشياء صغيرة كنظَّارة شمس أو محارة.

نعم، إنني مقتنعٌ بهذا.

---

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Things They Left Behind*» في مجموعة «*Transgressions: Volume Two*» من تحرير إد مكباين عام ٢٠٠٦.

https://jadidpdf.com

**هشام فهمي**

**مترجم مصري من مواليد مدينة الإسكندرية عام 1983، درس الأدب الإنجليزي في جامعة الإسكندرية، وعمل مترجمًا وكاتبًا صحافيًا في جريدة الدستور الأصلي وعدد من الصحف والمجلات، منها بص وطل وإيجي فيلم، ويكتب أحيانًا لمجلة أخبار الأدب وموقع منشور.**

**صدر له:**

**- عن كيان للنشر والتوزيع: «الهوبيت» لج. ر. ر. تولكين، بالاشتراك مع مي غنيم.**

**- عن دار التنوير: «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك بولانك، «المحيط في نهاية الدرب» لنيل جايمان، «لعبة العروش» و«صِدام الملوك» و«عاصفة السيوف» و«وليمة للغِربان» من سلسلة «أغنية الجليد والنار» لجورج ر. ر. مارتن.**

**- عن دار اكتب: «1408 وقصص أخرى» لستيڤن كينج، «حرب الفن» لستيڤن برسفيلد.**

**للتواصل:**

**twitter.com/HishamFahmy**

**facebook.com/Almutargem**

https://jadidpdf.com
جديد بدف
jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية
بحجم خفيف جدا على مكتبة جديد بدف
https://jadidpdf.com
جديد بدف
jadidpdf.com

جديد بدف®
jadidpdf.com

أعدُّ نفسي متخصصًا في ترجمة كل ما يتعلَّق بأدب الفانتازيا والخيال العلمي والرعب، في هذا الكتاب ستجدون قصصًا متنوِّعة من هذه الألوان الأدبية وغيرها، هي جزء من تجربتي في الترجمة أعرضها عليكم لتطَّلعوا وتحكموا عليها. بعض النصوص هنا لكُتاب معروفين مثل: ستيفن كينغ، كافكا، نيل غيمان و تشاك بولانك، لكن من المحتمل أنك لم تقرأ لهم شيئًا، وبعضها لكُتاب ربما لم تسمع عنهم على الإطلاق، وإن كانت لهم كتابات قيِّمة تستحقُّ أن تُترجم، والعامل المشترك الوحيد بينها أنها من اختيار المُترجم، وقد جمعتها بعناية كي أقدِّم لكم وجبة شهيَّة أصنافها منتقاة من هنا وهناك، لتستمتعوا بقراءتها كما استمتعتُ بترجمتها.

المترجم

"مع هشام تصير الترجمة عملًا مرهِقًا مدقَّقًا خاليًا من الثغرات، خاصة مع لغته العربية الممتازة".

أحمد خالد توفيق

# الشبح الذي جاء يعتذر

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
9 789921 723441
www.takweeen.com | Publishing@takweeen.com